شرح الحديث المقتفى

في مبعث النبي المصطفى ﷺ

تأليف

الشيخ الإمام شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن
ابن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي
(٥٩٩هـ - ٦٦٥هـ)
رحمه الله تعالى

قرأه وعلق عليه

جمال عزون

مكتبة العمرين العلمية

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

مكتبة العمرين العلمية
دولة الإمارات العربية المتحدة - الشارقة
شارع الزهراء - جوار مستشفى الزهراء
هاتف: ٥٦١٠٤٨٤ - فاكس: ٥٦١٠٤٩٤ - متحرك: ٠٥٠٦٧٠٠٥٧

شرح الحديث المقتفى

في مبعث النبي المصطفى ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ با لله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجالاً كَثِيراً وَنِسَاءً واتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً

---

(١) آل عمران : آية ١٠٢.

(٢) النّساء : آية ١.

عَظِيماً﴾[٣].

أما بعدُ :

فهذا أثرٌ نفيسٌ خطّهُ يَراعُ عالِمٍ محقّقٍ، وحافظٍ بارعٍ، وفقيهٍ مقرىءٍ لغويٍّ، وهو أبو شامة عبدُ الرّحمن بن إسماعيل المقدسيّ المتوفّى سنة ٦٦٥ هـ، صاحب التّصانيف الكثيرة التي تميّزت بالتّحرير والجودة والإتقان، وقد تناول أبو شامة في هذا الكتاب بالشّرح حديثاً جليلاً حفظته لنا أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو الحديثُ المشهور بحديث المبعث أو حديث بدء الوحي، ولهذا الحديث الجليل تعلُّقٌ واضحٌ بالمراحل الأُولى لمجيء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وفيه يتجلّى شدّة ما لقيه النّبيُّ ﷺ من رؤية جبريل عليه السّلام وأمره له بالقراءة وغطّه غطّاً شديداً. كما يتجلّى في هذا الحديث فضلُ أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها التي واست رسولَ الله وآنسته غاية المؤانسة بمالها ونفسها، وآمنت به وصدّقت بالحق الذي جاءه به جبريلُ، إلى غير ذلك من فوائد وفرائد ضمّها هذا الكتاب؛ فرحم الله أبا شامة المقدسيَّ، وأجزل له المثوبة على ما ترك لنا من هذه الآثار النّادرة والأعلاق النّفيسة.

وكتب :

جَمَال عَزُّون في المدينة النّبويّة

يوم الإثنين ٢٢/ ٣/ ١٤٢٠ هـ .

---

(٣) الأحزاب : آية ٧٠ ـ ٧١.

أوّلاً :

ترجمةٌ مختصرةٌ لأبي شامةَ المقدسيّ
(٥٩٩ هـ - ٦٥٦ هـ)

وفيها :

- مدخلٌ ، ثمّ :

١ - اسمُه ، نسبه .
٢ - مولدُه .
٣ - نشأتُه العلميّة .
٤ - رحلاتُه .
٥ - شيوخه .
٦ - تلاميذه .
٧ - ثناء العلماء عليه .
٨ - مؤلّفاته .
٩ - شعْرُه .
١٠ - وفاتُه .



أوّلاً :

ترجمةٌ مختصرةٌ لأبي شامةَ المقدسيّ
(٥٩٩ هـ - ٦٥٦ هـ)

مدخلٌ :

لقد ترجمَ أبو شامة لنفسه ترجمةً ذاتيةً في كتابه « الذّيل على الرّوضتين » حين جاء ذِكْرُ سنة ٥٩٩ هـ وهي سنةُ مولده، وتعتبر هذه التّرجمةُ المعينَ الأوّل الذي استقى منه المترجمون له، وهي ترجمةٌ لها قيمتُها العلميّةُ لإنّها صدرت من المؤلِّف نفسِه؛ فهي أوثقُ مصدرٍ يحددُ لنا معالمَ التّرجمة من اسمٍ ونسبٍ وكنيةٍ ونشأةٍ وشيوخٍ ومؤلّفاتٍ، وغير ذلك من أمورٍ لها صلةٌ بالعَلَمِ المُتَرجَم.

لقد تحدّث أبو شامة عن اسمه وكنيته ولقبه ونسبه ومكان مولده وتاريخه، وعن أصل جده أبي بكرٍ محمّدٍ، وسلسلَ ذِكْرَ نسل هذا الجَد إلى أن وصلَ إلى ذِكْرِ نفسه، وهنا يبدأُ بالحديث عن نشأته العلميّة، وتحبيب الله تعالى له من صغره حفظَ القرآن وطلبَ العلم، ثمّ حجّه ورحلاته العلميّة، والمنامات الحسنة التي رُؤيت له، وقد أطال في ذِكْرها لكنّه اعتذر عن ذلك قائلاً: « وإنّما سطّرتُ هذه المناماتِ وغيرها تحدُّثاً بنعم الله تعالى

كما أمر سبحانه في قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبكَ فَحَدثْ﴾، وقال النبيّ ﷺ: لم يبقَ من المُبشرات إلاّ الرّؤيا الصّالحة يراها المؤمنُ أو تُرى له. اللّهُمَّ أوزعنا شكرَ هذه النِّعم، واختم بخيرٍ، واستُرنا في الدُّنيا والآخرة، وآمِنّا مكرَك، ولا تُنسنا ذِكْرَك »[١]. ثمّ ذكرَ أسماءَ كثيرٍ من مؤلّفاته، وشيئاً من الشّعر الذي مدحه به أصحابُه، ولم يُخل ذلك من ذِكْرِ شيءٍ من صفاته وشمائله، وختم التّرجمة بشيءٍ من نظمِه.

والحاصلُ أنّ هذه التّرجمةَ أصلٌ في بابها، كشف لنا بها أبو شامة عن أشياء مهمّةٍ تتعلّقُ بحياته الشّخصيّة والعلميّة، وفي حكم هذه التّرجمة ما بثّه أبو شامة في مؤلّفاته العديدة خاصّة منها كتابه « الذّيل على الرّوضتين » ابتداءً من سنة مولده ٥٩٩ هـ إلى سنة وفاته ٦٦٥ هـ، وهي ستّةٌ وستّون عاماً بثّ فيها أبو شامة في الكتاب المذكور معلوماتٍ هامّةٍ جداً تُعتبرُ في حكم التّرجمة الذّاتيّة، حيث تحدّث فيها عن شيوخه وأسرته ومؤلّفاته وحوادثَ كثيرةٍ جدّاً عاشها طيلة هذه السّنوات. وشيءٌ آخرُ لاحظتُه في تراث أبي شامة هو كثرةُ إحالاتِه على مصنّفاته ممّا يُساعدُ الباحثَ في وصف كثيرٍ من تُراث هذا العَلَمِ الفَذِّ.

أمّا سائرُ مصادر ترجمته[٢] فلا يلاحظُ النّاظرُ فيها إضافاتٍ جادّةٍ على ما ذكره أبو شامة نفسُه في كتابه السّابق، إلاّ أشياء نادرة تتعلّق بأوصافه العلميّة، وما سمعه من بعض شيوخه، ونحو ذلك من أمورٍ لها صلةٌ به.

---

(١) الذّيل على الرّوضتين ص ٣٩ .

(٢) انظر مصادر ترجمته الكثيرة جدّاً في حاشية تاريخ الإسلام ، وفيات ٦٦٥هـ، ص ١٩٤.

١ ـ اسمُه ، نسبه :

هو العلاّمةُ الحافظُ أبو القاسم عبدُ الرّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكرٍ بن إبراهيم بن محمّد بن محمّدٍ المقدسيُّ الدّمشقيُّ الشّافعيُّ، عرف بأبي شامة لشامةٍ كبيرةٍ فوق حاجبه الأيسر[١].

٢ ـ مولدُه :

وُلد أبو شامة ليلة الجمعة الثّالث والعشرين من ربيع الآخر من سنة ٥٩٥ هـ، برأس دَرْبِ الفَواخير بدمشق داخل الباب الشّرقيّ[٢].

٣ ـ نشأتُه العلميّة :

نشأ أبو شامة محبّاً للعلم، ورزق من صغره همّةً عاليةً في طلبه، وفي هذا يقول: « وحَبَّبَ الله تعالى إليه[٣] من صغره حفظَ الكتاب العزيز وطلب العلم، فجعل ذلك همّتَهُ فلم يشعُر والدُه به إلاّ وهو يقول له: قد ختمتُ القرآن حفظاً، ثمّ أخذ في معرفة القراءات السّبع والفقه والعربيّة والحديث وأيّام النّاس ومعرفة الرّجال وغيرها من العلوم »[٤].

٤ ـ رحلاتُه :

خرج أبو شامة من دمشق أربع مرّاتٍ سنة ٦٢١هـ، ٦٢٢هـ، ٦٢٤هـ، ٦٢٨هـ وفي هذا يقول: « وحجّ مع والده سنة إحدى وعشرين

---

(١) الذّيل على الرّوضتين ص ٣٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) يعني نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

وستّمائة، ثمّ حجّ في التي بعدها أيضاً، ثمّ سافر إلى البيت المقدس زائراً سنةَ أربع وعشرين، وسافر إلى الدّيار المصريّة سنةَ ثمانٍ وعشرين، واجتمع بشيوخ هذه البلاد في ذلك الوقت بمصر والقاهرة ودمياط والإسكندريّة، ثمّ لزم الإقامةَ بدمشق عاكفاً على ما هو بصدده من الاشتغال بالعلم وجمعه في مؤلّفاته، والقيام بفتاوى الأحكام وغيرها »(١).

٥ ـ شيوخه(٢) :

حظي أبو شامة بالتّلمذ على علماء أجلّاء، واستفاد منهم علماً كثيراً، وأشهرُ هؤلاء :

- ـ ابنُ قدامة المقدسيّ ت ٦٢٠ هـ .
- ـ سيف الدِّين الآمديّ ت ٦٣١ هـ .
- ـ ابن الصّلاح الشّهرزوري ت ٦٤٣ هـ .
- ـ علم الدّين السّخاوي ت ٦٤٣ هـ .
- ـ ابن الحاجب ت ٦٤٦ هـ .
- ـ العزّ بن عبد السّلام ت ٦٦٠ هـ .

٦ ـ تلاميذه :

كان لاشتغال أبي شامة بالتّدريس أثرٌ في كثرة تلاميذه الذين أقبلوا عليه للنّهل من واسع علمه، وصاروا بعده أئمّةً ذاع صيتُهم في الأمصار وأشهرُهم :

---

(١) الذّيل على الرّوضتين ص ٣٩ .

(٢) انظر عن شيوخه وتلاميذه مقدّمة الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ١٥ ـ ١٦ لمشهور حسن سلمان.

● ـ محيي الدِّين النّووي ت ٦٧٦ هـ .
● ـ أبو بكر الحريري المزّي ت ٧٢٦ هـ .
● ـ أيّوب بن نعمة المقدسيّ ت ٧٣٠ هـ .
● ـ أحمد أبو الهدى ت ٧٢٢ هـ .
● ـ أبو عبد الله الكفري ت ٧١٩ هـ .
● ـ أبو العبّاس اللّبّان ت ٧٠٦ هـ .
● ـ أبو العبّاس الفزاريّ ت ٧٠٥ هـ .
● ـ برهان الدِّين الإسكندرانيّ ت ٧٠٢ هـ .

٧ ـ ثناء العلماء عليه :

تبوّأ العلاّمةُ أبو شامة مكانةً رفيعةً عند العلماء، فأثنوا على علمه وديانته، وهذه بعضُ أقوالهم في ذلك :

قال ابنُ كثيرٍ : « وبالجملة فلم يكن في وقته مثله في نفسه وديانته وعفّته وأمانته »[١].

وقال الفزاريُّ:« بلغ الشّيخُ أبو شامة درجةَ الاجتهاد »[٢].

وقال الذّهبيُّ: « الإمامُ العلاّمةُ ذو الفنون...الفقيهُ المقرىءُ النّحويُّ »[٣].

وقال ابنُ جماعةٍ : « كان إماماً في علوم القرآن والحديث والفقه والعربيّة وأيّام النّاس ومعرفة الرّجال وغير ذلك »[٤].

---

(١) البداية والنّهاية ١٣/٢٥٠ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) تاريخ الإسلام وفيات ٦٦٥ هـ ، ص ١٩٥ .
(٤) مشيخة ابن جماعة ١/٣٠٠ .

وقال السّخاويُّ : « كان عالماً راسخاً في العلـم، مُقرئـاً محدثـاً نحويـاً، يكتبُ الخطَّ المليحَ المُتقنَ، مع التّواضع والانطراح، والتّصانيف العدّة »[١].

٨ ـ مؤلّفاته :

حظي أبو شامة بكثرة التّآليف مع الجـودة والتّحقيـق والإتقـان، وقـد مدحها العلماء، وأشادُوا بقيمتها العمليّة .

قال الذّهبيُّ : « وتصانيفُه كثيرةٌ مفيدةٌ »[٢] .

وقال ابن كثيرٍ : « هو صاحبُ المصنّفات الكثيرة العديدة المفيدة »[٣].

وقال ابن جماعة ـ بعد أن ذكرَ إمامتَه في فنون عـدّة ـ: « وصنّـف في جميع ذلك تصانيفَ مفيدةً »[٤].

ومن أشهر[٥] مؤلّفات العلاّمة أبي شامة :

« الرّوضتين في أخبار الدّولتين »، و« الذّيل عليه »، و« إبـراز المعـاني من حرز الأماني »، و« المرشد الوجيز إلى علومٍ تتعلّـق بالكتـاب العزيـز »، و« البسملة »، وكتابنا هذا « شرح الحديث المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى ﷺ »، و« السّواك » وغير ذلك من مؤلّفاته النّافعة المفيدة.

---

(١) الإعلان بالتّوبيخ ص ٦٠ .

(٢) تذكرة الحفّاظ ٤/١٤٦١ .

(٣) البداية والنّهاية ١٣/٢٥٠ .

(٤) مشيخة ابن جماعة ١/٣٠٠ .

(٥) قد ذكر المؤلّفُ في الذّيل على الرّوضتين ص ٣٩ ـ ٤٠ عـدداً كبـيراً مـن أسمـاء مؤلّفاتـه، واستقصى الكلام على مطبوعهـا ومخطوطهـا البحّاثـةُ مشـهور حسـن سـلمان في تحقيقـه لكتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث.

٩ - شِعْرُه :

قال الحافظُ كثيرٍ : « وقد كان ينظمُ أشعاراً في أوقاتٍ؛ فمنها ما هو مُستحلى، ومنها ما لا يُستحلى، فالله يغفرُ لنا وله »[١].

ومن شِعْر أبي شامة رحمه الله تعالى قولُه في السّبعة الذين يُظلّهم الله بظلّه :

وقال النّبيُّ المصطفى إنّ سبعةً يُظِلُّهمُ اللهُ العظيمُ بظلِّـهِ
محبٌّ عَفيفٌ ناشيءٌ مُتصدقٌ وباكٍ مُصَلٍّ والإمامُ بعدلِـهِ[٢]

ويقول عن العزلة والانفراد : « كان المصنِّفُ - يعني نفسه - عفا الله عنه محبّاً للعزلة والانفراد، غير مؤثرٍ للتّردُّد إلى أبواب أهل الدُّنيا، مُتجنِّباً المزاحمةَ على المناصب، لا يُؤثرُ على العافية شيئاً ، ومن شِعْرِه :

الثّوبُ واللُّقمةُ والعافيـهْ لقانعٍ مِنْ عيشهِ كافيـهْ
وما يَزِدْ فالنّفسُ ليستْ به وإن تكُنْ بملكهِ راضيـهْ »[٣].

وقال الدّمياطيُّ : « أنشدنا أبو محمّدٍ الشّافعيُّ - يعني أبا شامة - لنفسه في أوّل كتابه الذي صنّفه وهو: جواب المسألة في وجوب البسملة :

ضمّنتُ ذا الجُزْءِ جوابَ المسألَهْ في ذِكْرِ تقريرِ وجُوبِ البسملَهْ
وسُنّةِ الجَهْرِ بها كالحَمْدَلَـهْ وشَرْحِها بعون الله والحَمْدُ لَهْ »[٤]

---

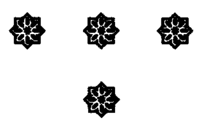
(١) البداية والنّهاية ١٣/٢٥٠ .
(٢) الذّيل على الرّوضتين ص ٤٥ .
(٣) المصدر نفسه ص ٤٣ .
(٤) معجم الدّمياطي ٢/ل ١٦ أ .

١٠ ـ وفاتُه :

اتّفقت مصادرُ ترجمة أبي شامة على أنّ وفاته كانت في التّاسع عشر من شهر رمضان سنة ٦٦٥ هـ. وقبل ذلك ببضعة أشهر وبالضّبط في السّابع من شهر جمادى الآخرة من هذه السّنة جاءه اثنان من الجَبَلِيَّةِ إلى بيته في صورة صاحب فُتيا، فضرباهُ ضرباً مبرحاً كاد أن يتلف منه، وراحا ولم يدر بهما أحدٌ، ولا أغاثهُ أحدٌ[1]. وقد ضرب أبو شامة في محنته هذه مثلاً رائعاً في الصّبر على الأذى، ولم يجزع ولا تسخّط، بل احتسب فيما حصل له الأجرَ والثّواب من ربٍّ العالمين.

رحم الله أبا شامة ، وأجزل له المثوبة على ما ترك من مؤلّفاتٍ نافعةٍ، ما زال النّاسُ ينهلون منها، رغم مرور سبعة قرونٍ على وفاته، ورحم الله القائلَ :

ولا تكتُب بكفِّك غيرَ شيءٍ يسرُّك في القيامة أن تراهُ .



(١) انظر الذّيل على الرّوضتين ص ٢٤٠، وتاريخ الإسلام ـ وفيات ٦٦٥هـ، ص ١٩٦.

ثانياً :

دراسةُ الكتابِ

١ ـ عنوانُ الكتاب .

٢ ـ توثيقُ نسبة الكتاب لأبي شامة .

٣ ـ تاريخُ تأليف الكتاب .

٤ ـ مصادرُ المؤلّف في الكتاب .

٥ ـ قيمة الكتاب العلميّة .

٦ ـ مقدّمةُ كتاب المرقُوم في جملةٍ من العلوم .

٧ ـ وصف النّسختين الخطّيّتين للكِتاب .

ثانياً :
دراسةُ الكتابِ

١ ـ عنوانُ الكتاب :

سمّاه المؤلِّف في المقدّمة « شرحُ الحديث المقتفى في مبعث النّبي المُصطفى ﷺ »، وكذا فعل في كتابه الآخر « الذّيل »[(١)].

وهي التّسميّةُ التي ذكرها المترجمون لأبي شامة كالذّهبيّ وابن كثيرٍ وابن الجزري والكُتبي وابن تغري بردي والدّاوديّ[(٢)] وغيرهم.

ويُسمِّيه المؤلِّفُ أحياناً « شرح حديث مبعث المصطفى ﷺ »[(٣)] أو « المبعث »[(٤)] وهو اختصارٌ في التّسميّة رُوعي فيها موضوع الكتاب.

---

(١) الذّيل على الرّوضتين ص ٣٩. وسمّاه الزّركشيُّ في النّكت على مقدّمة ابن الصّلاح ٤١/١: « المقتفى في مبعث المصطفى ﷺ ». وسمّاه د. صلاح الدّين المنجّد في معجم ما ألّف عن رسول الله ﷺ ص ١٩٩: « المقتفى في ذِكْر فضائل المصطفى » ولم يذكر مستنده في هذه التّسميّة.

(٢) انظر تاريخ الإسلام ـ وفيات ٦٦٥هـ ، ص ١٩٥، ومعرفة القُرّاء الكبار ٦٧٤/٢، والبداية والنّهاية ٢٥٠/١٣، وغاية النّهاية ٣٦٥/١، وفوات الوفيات ٢٧٠/٢، والمنهل الصّافي ١٦٥/٧، وطبقات المفسّرين ٢٦٩/١.

(٣) كما في كتابه كرّاسة جامعة في مسائل نافعة ل ١ / أ، ويذكر أبو شامة في هذا الكتاب أنّه لخّص فيه بعض مصنّفاته ومنها هذا الكتاب « المقتفى »، غير أنّي لم أجد تلخيصه لهذا الكتاب فيه.

(٤) انظر الذّيل على الرّوضتين ص ٢٣٠، والمرشد الوجيز إلى علومٍ تتعلّقُ بالكتاب العزيز ص١٤، ٣١ ، ونور المسرى في تفسير آية الإسرا ص٨٠ ، وعلّق محقّقُ الأخير د. عليّ =

وجديرٌ بالذِّكْرِ أن نعلم أنّ هذا الكتابَ أحدُ كتبٍ ستّةٍ جمعها أبو شامة في سلسلةٍ واحدة ـ إن صحّ التّعبيرُ ـ سمّاها « الكتابُ المرقوم في جملةٍ من العُلوم »، وقد صرّح بهذا في كتابه « الذّيل على الرّوضتين » فقال ـ وهو يعدُّ أسماء مؤلّفاته ـ :

« ومنها الكتابُ المرقُوم في جملةٍ من العلوم؛ يجمعُ عدّةَ مصنّفاتٍ في مجلّدين الأوّل فيه[1]: خطبة العلم الكبرى التي سمّاها خطبة الكتاب المؤمَّل للرّدِّ إلى الأمر الأوَّل، وكتاب نور المسرى في تفسير آية الإسرا، وشرح الحديث المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى، وضوء السّاري إلى معرفة رؤية الباري، والمحقَّقُ من علم الأصول فيما يتعلّقُ بأفعال الرّسول، وكتاب البسملة[2] »[3].

حسين البوّاب فقال: « سمّاه المؤلّفُ في الذّيل: شرح الحديث المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى ﷺ، ولم أقف على الكتاب ! ».

(١) يعني أنّ كتاب المرقوم في جملةٍ من العلوم وضعه في مجلّدين الأوّل منهما حوى ستّة كتبٍ وهي المذكورةُ أعلاهُ، وهذه السّتّةُ هي المذكورةُ في طرّة نسخة الجزائر، إلاّ ضوء السّاري فجاء بدله كتاب المرشد الوجيز، وكذا ما نظمه بعض الفضلاء ـ كما قال المؤلّفُ في الذّيل ص ٤٠ ـ فأدخل في الكتاب المرقوم كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث وكتاب السّواك، فلعلّهما في المجلّد الثّاني منه، والله أعلم.

(٢) ظاهر العبارة يقتضي أنّه يعني كتابه الكبير في البسملة، ويؤكّدُ ذلك أنّه ذكر بعده كتاب البعث وكتاب السّواك وكتاب مختصر البسملة. والملاحظُ أنّه في نسخة الجزائر إنّما يوجد مختصر كتاب البسملة.

(٣) الذّيل على الرّوضتين ص ٣٩ .

كما صرّح بذلك أيضاً في مقدّمة « الكتاب المرقوم في جملةٍ من العلُوم » فقال رحمةُ الله عليه :

« ... وبعون الله تعالى وتوفيقه قد سبق منّي عدّةُ مصنّفاتٍ صغارٍ مفرّقةٍ في عدّةٍ من هذه العلُوم، مختصّةٍ ببعض الأبواب منها وغير مُختصَّة، كلُّ مصنَّفٍ منها مُتْقِنٌ لذلك الباب إن شاء الله عزّ وجلّ، جامعٌ أشْتاتَه، مستوعبٌ مسائلَه، ضامٌّ أطرافَه، استدلالاً واعتراضاً، جمعاً وبياناً، ضبطاً وتقريراً، شرحاً وتفسيراً.

وأردتُ أن أجمعَ تلك المُصنَّفَات، أو مُعظمَها في مجلّدَاتٍ، كلُّ مجلَّدَةٍ مشتملةٌ على عدّة مصنّفاتٍ، كلُّ مصنّفٍ منها في فنٍّ من هذه الفُنون ....، وسمّيتُ ما يجمعُ تلك المصنّفات بالكتاب المرقُوم في جملةٍ من العلُوم، وكلُّ مُصَنَّفٍ منها منفردٌ باسمٍ دالٍّ على ما يتضمّنُه ذلك التّصنيف، وابتدأتُ بالخُطبة الكبرى[1] التي جعلتُها مقدِّمَةَ كتابٍ لو تهيّأ لم يكن له نظيرٌ، ونرجُو من الله تعالى التّوفيق له والإعانة عليه فهو على ما يشاءُ قديرٌ ».

٢ ـ توثيقُ نسبة الكتاب لأبي شامة :

لا مجال للشّكِّ إطلاقاً في أنّ هذا الكتاب الذي أمامنا هو « شرحُ الحديث المقتفى في مبعث النّبي المُصطفى ﷺ » لأبي شامة، فقد جاء منسوباً إليه في غلاف نسخة الجزائر، ولم نجد هذا الكتاب معزوّاً لغيره.

ويؤكِّدُ صحّةَ هذه النّسبة أمورٌ منها :

---

(١) وهي خطبة الكتاب المؤمّل للرّدِّ إلى الأمر الأوّل .

أوّلاً : تطابقُ بعض النُّقول الموجودة في بعض المصادر مع ما هو موجودٌ في هذا الكتاب.

ثانياً : الأسلوبُ واضحٌ أنّه من نسج أبي شامة لمن قارن بين كتابه هذا وسائر مؤلّفاته الأخرى.

ثالثا : أحال في هذا الكتاب على أربعة كتبٍ أخرى معروفةٍ أنّها من تأليفه هي: « شرح ذات الدُّرر »، و« شرح الشّقراطيسيّة »، و« شرح ذات الأصول »، و« شرح ما نظمه في النّحو ».

٣ ـ تاريخُ تأليف الكتاب :

يبدُو أنّ أبا شامة ألّف كتاب « شرح الحديث المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى ﷺ » قبل سنة ٥٥٢ هـ[١] أو فيها على أبعد تقدير، ويدلُّ على هذا أنّ كتابه الآخَر « نور المسرى في تفسير آية الإسرا » سُمع عليه سنة ٥٥٢هـ[٢]، وفي هذا الكتاب[٣] بالذّات يحيلُ على كتابنا « شرح الحديث المقتفى »، وذلك يعني بوضوحٍ أنّ هذا الأخير أُلّف قبل كتاب « نور المسرى ».

٤ ـ مصادرُ المؤلّف في الكتاب :

اعتمد أبو شامة في كتابه « شرح الحديث المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى ﷺ » على مصادر كثيرةٍ متنوّعةٍ صرّح بكثيرٍ من أسمائها، واكتفى في مواطن عدّة بأسماء المؤلّفين دون تحديد مؤلّفاتهم.

---

(١) والمؤلّفُ في هذه السّنة لم يجاوز ثلاثاً وخمسين عاماً .

(٢) انظر هذا السّماع في نور المسرى ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٨ .

فمن أهمّ المصادر التي صرّح بها ما يلي ـ سوى كتب الحديث المشهورة ـ :

١ ـ الأربعين لأبي المعالي ابن الجُويني الفقيه .

٢ ـ أمالي أبي بكر محمّد بن منصور السّمعانيّ .

٣ ـ تذييل تاريخ بغداد لأبي سعدٍ السّمعانيّ .

٤ ـ التعليق لأبي حامدٍ الإسفرايينيّ .

٥ ـ تفسير أبي بكر النّقّاش .

٦ ـ تفسير ابن القُشيري .

٧ ـ دلائل النّبوة للحافظ أبي نعيمٍ .

٨ ـ شرح صحيح البخاريّ لأبي الحسن عليّ بن خلف بن بطّالٍ.

٩ ـ شرح صحيح مسلم لقوام السُّنّة .

١٠ ـ الغريبين للهروي .

١١ ـ القصائد العشرينيات اللاّتي مُدح بهنّ رسولُ الله ﷺ لأبي زيدٍ عبد الرّحمن بن يَخْلَفْتين القرطبي الفازازيّ .

١٢ ـ كتاب الزّبير بن أبي بكرٍ .

١٣ ـ المعلم بفوائد مسلم للمازري .

١٤ ـ مغازي موسى بن عقبة .

ومن الأعلام الذين نقل عنهم دون التّصريح بأسماء مؤلّفاتهم :

أبو عُبيدٍ، والهروي، والزّجّاج، والخطّابي، وابن سيده، والجوهري، والفرّاء، وابنُ بطّالٍ، وابن عبد البرّ، والقاضي عياض، والحَليميّ، وأبو بكر ابن العربيّ، والسّهيلي، والزّمخشري، وغيرهم كثير.

٥ ـ قيمة الكتاب العلميّة :

يكتسي الكتابُ قيمةً علميّةً من قيمة مؤلِّفه ومكانته في العلم وقيمة الموضوع الذي عالجه الكتابُ، ولا شكَّ أنّ أبا شامة المقدسيَّ عالمٌ فذٌّ، ومحقِّقٌ بارعٌ، يميلُ مع الدّليل حيث كان، وينبذ التّقليد، ومؤلّفاتُه خيرُ شاهدٍ على مسلكه الاجتهادي حتّى قال الشّيخُ تاجُ الدِّين الفزاريُّ: « بلغ الشّيخُ شهابُ الدِّين أبو شامة رتبةَ الاجتهاد »[١].

ثمّ إنّ موضوع الكتاب هامٌّ للغاية لتعلُّقه بالوحي والنّبوّة، ولا يخفى ما نفثت به ألسنةُ شياطين المستشرقين من تشكيكٍ في نبوّة سيّد الأوّلين والآخِرين، وزعمُوا ـ قاتلهُم الله ـ أنّ مجيءَ جبريل بالوحي وإخباره الرّسول ﷺ أنّه مُرسلٌ إليه من ربِّه قضيّةٌ مشكوكٌ في صحّتها، فضلّوا وأضلُّوا، وتجاهلُوا أنّ رسول الله ﷺ أوتي اليقين الأعظم بصدق ما جاء به جبريلُ عن ربِّ العالمين، وأراهُ عزّ وجلَّ آياتٍ بيّناتٍ قبل بعثته، علم بها قطعاً صحّةَ ما جاءه من ربِّه سبحانه، وقد أثنى الله على نبيِّه بذلك فقال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ ...﴾.وكتابُنا « شرح الحديث المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى ﷺ » تناول فيه أبو شامة هذا الموضوع مع أمورٍ أخرى مهمّة، وأورد في الكلِّ نقولاً قيّمةً عن أهل العلم؛ ولأجل هذا نَرى أبا شامة قد اهتمّ بإقراء هذا الكتاب مع إضافاتٍ علميّةٍ زادها أثناء الإقراء، وفي هذا يقول رحمه الله تعالى ـ بعد أن ذَكَرَ وفاة الشّيخ القاضي عماد

---

(١) البداية والنّهاية ١٣/٢٥٠ .

الدين عبد الكريم بن عبد الصّمد بن محمّد المعروف بابن الحرستاني سنة ٦٦٢ هـ :

« تولّيتُ مكانَهُ بدار الحديث الأشرفيّة، وحضرَ عندي فيها أوّل يومٍ ذكرتُ الدَّرْسَ فيها قاضي القُضاة وأعيانُ البلد من المُدرسين والمحدثين وغيرِهم، **وذكرتُ من أوّل تصنيفي في كتاب المبعث الخطبةَ والحديثَ، والكلامَ على سنده وفنه، مع زياداتٍ على ذلك من مكان آخر**، وكان بحمد الله تعالى وحَوْلِه وقُوّته مجلساً جليلاً عليه سُكونٌ وإخباتٌ وجَلالةٌ وإنصاتٌ من الحاضرين، ووَقارٌ من المستمعين، وعمل في ذلك بعضُ الأدباء أبياتاً منها :

العِلْمُ والمَعْلُومُ قد أدركْتَهُ ... وسماعُك البَحْرَ المحيطَ فَحَدثِ
وبعثتَ في دار الحديث بمُعْجزٍ ... وأبانَ له عنك **افتتاحُ المَبْعَثِ**
مَكَثَتْ به الألبابُ طائعةَ النِّدَا ... والحُسْنُ من طربٍ به لم يمكُثِ »[1].

وذكر أبو شامة أيضاً أنّ بعض الفضلاء نظم بعض مصنّفاته في أبياتٍ كتبها له منها قولُه :

وكتابُه المَرْقُومُ فيه مُصنّفَا ... تٌ في علومٍ حازَها في مِرْطِهِ
منها المُحَقَّقُ والسواكُ وباعثٌ ... **مَعَ مبعثٍ أَحْسِنْ به وبقِمْطِهِ**
والضّوءُ والإسْرَا وبسملةٌ ومُرْ ... شِدُها الذي أَحْيَا بحُسْنِ مَحَطِّهِ

(١) الذّيل على الرّوضتين ص ٢٣٠ .

٦ ـ مقدّمةُ الكتاب المرقُوم في جملةٍ من العلوم[١] :

علمنا ممّا سبقَ أنّ أبا شامة جمع في « الكتاب المرقُوم في جملةٍ من العلُوم » عدّةَ مصنّفاتٍ، وقدّم لهذا الكتاب بمقدّمةٍ قيّمةٍ، وتعتبرُ هذه المقدّمةُ تمهيداً لكل المصنّفات التي جمعها في هذا الكتاب، مع ملاحظة أنّه أفرد لكل مصنَّفٍ مقدّمةً خاصّةً به، ولنفاسة هذه المقدمة رأيتُ من المناسب أن تُذكرَ هنا حتّى يتّضح لنا منهجُ أبي شامة في تأليف هذه الموسوعة العلميّة النّادرة التي سمّاها « الكتاب المرقُوم في جملةٍ من العلُوم »، وهذا نصُّ المقدّمة :

« الحمدُ لله[٢]، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى :

أمّا بعدُ :

فأفضلُ ما شغل به المُكَلَّفُ عُمُرَهُ بعد معرفةِ الله تعالى والعملِ بطاعتِه وتعلُّم ما يلزمُه علمُه، إتقانُ العلوم الشّرعيّة، وحفظُها على الأمّة خوفاً من إضاعتها، وتعطُّل معرفتها، ومبادرةً لما يُتوقَّعُ من انتزاعها منهم بسبب قبض

---

(١) اعتمدتُ في هذا المقدّمة أيضاً على نسخة الجزائر وجعلتُها أصلاً، ونسخة مكتبة شستربتي تحت رقم: ٣٣٠٧، ولها صورة فلميّة في قسم مخطوطات الجامعة الإسلاميّة، ورمزتُ لها بالحرف « ش » .

(٢) في الأصل ـ أعني نسخة الجزائر ـ قبل هذا ما يلي: « قال الشّيخُ الإمامُ العالِمُ العلاّمةُ رئيسُ الأصحاب أبو محمّدٍ عبدُ الرّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشّافعيّ كثّر الله أصحابَه، ونفع المسلمين بطُول حياتِه، وأعادَ على الكافّةِ من بركة دعواتِه »، وخلت منها نسخة شستربتي، وجاء بدلها جملة: « مقدّمة الكتاب ».

العُلماء، وتقدُّم الجُهلاء، على ما صحَّ في الخبر عن خاتَم الأنبياء ﷺ؛[١] فالاشتغالُ بالعلوم الشّرعيّة وإتقانُها موصِلٌ إلى الوقوف على أحكام الله تعالى، وفهمِ ما بُعث به نبيُّه المُرْسَل، وما اقتضاهُ كتابُه المُنْزَل، وما كان عليه الصّدرُ الأوّلُ، لتُسلكَ تلك الطّرائقُ، ويُتّصَفَ بتلك الحقائق.

صحّ عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: « خيرُكم من تعلّم القرآنَ وعلّمه »[٢].

وقال: « نضّر الله امرءاً سمع منّا شيئاً فبلّغهُ كما سمعهُ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى مِن سامعٍ »[٣].

وقال: « مَن يُرد الله به خيراً يُفقِّهْهُ في الدين »[٤].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٥].

وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٦].

---

(١) إشارة إلى ما أخرجه البخاري ١/١٩٤، رقم: ١٠٠، ومسلم ٤/٢٠٥٨، رقم: ١٣ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « إنّ الله لا يقبضُ العلم انتزاعاً ينتزعُه من العلماء، ولكن يقبضُ العلمَ بقبض العلماء ... ».

(٢) أخرجه البخاري ٩/٧٤، رقم: ٥٠٢٧ من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه التّرمذي ٥/٣٣، رقم: ٢٦٥٧ ـ شاكر، وابنُ ماجه ١/٨٥، رقم: ٢٣٢، من حديث عبد الله بن مسعودٍ. قال التّرمذي: « هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ».

(٤) أخرجه البخاري ١/١٦٤، رقم: ٧١، ومسلم ٢/٧١٩، رقم: ١٠٠ من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٥) الدّخان: الآية ٥٨.

(٦) يوسف: الآية ٢.

وقال : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[١].

ومعلومٌ أنّه لا يحصلُ التّدبّرُ والتّفكُّرُ إلاّ بعد معرفة اللّسان الذي به نزل القرآنُ، ولا يَفْهَمُ معاني كلامِ الرّسول ﷺ وألفاظِ أصحابه رضي الله عنهم مَنْ لا يَعْلَمُ مجاري كلام العرب.

والتّفقُّهُ في الدّين هو استنباطُ المعاني الصّحيحة من الكتاب والسُّنّة على ما يقتضيه علمُ العربيّة، وما تَشهدُ له قواعدُ الدِّينِ المعلُومةُ والمظنُونةُ، وآثارُ الصّحابة والتّابعين، ومذاهبُ أئمّةِ المسلمين الذين اختلافُهم رحمةٌ لهذه الأمّة.

فحصل من هذا أنّ العلوم الشّرعيّة هي العلومُ النّافعةُ في الدّنيا والآخرة لمن قوي إيمانُه، وصحّت عقيدتُه، وهي :

علمُ الكتاب والسُّنّة، وما استُخرج منهما أصولاً وفروعاً، وعلمُ طريق الاستنباط منهما وهو علمُ العربيّة.

ثمّ يتّصلُ بكلِّ علمٍ من هذه العلُوم أمورٌ بعضُها أهمُّ وأمسُّ بها من بعضٍ؛ فالأهمُّ من علم الكتاب العزيز الوقوفُ على إعجازه وتفسيره، وفهمِ ما أُريد منه، وذلك يحصلُ لمن نوّر الله قلبَه بعد حفظِهِ والتّبحُّرِ في علم العربيّة والبيان، ومعرفةِ النّاسخ والمنسوخ، والآثارِ المرويّةِ في التّأويل، وما أُجمع عليه و[٢] اختُلف فيه من الأحكام. ويتّصلُ بذلك علمُ الحروفِ

---

(١) ص : الآية ٢٩ .

(٢) في ش : و ما .

المختلفِ فيها بين القُـرّاء، مـع بـاقي علـم القـراءات مـن التّجويـد ومخـارج الحروف، والوقف والابتداء، وخطِّ المصحف والعَدَدِ، وغير ذلك.

والأهمُّ من علم السُّـنَّةِ فهـمُ متـون الأحـاديث النّبويّـة بعـد حفظهـا، وذلك متوقِّفٌ أيضاً على مثل ما توقّف عليه علـمُ تفسـير القـرآن. ويتّصـلُ بذلـك اختـلافُ الرّوايـات في ألفاظـه، ومعرفـةُ الأسـانيد، والخِبْرَةُ بـالرُّواة تعديـلاً وتجريحـاً، واتِّصـالاً وانقطاعـاً، ورفعـاً ووقفـاً، وتعليـلاً وتصحيحـاً وتضعيفاً، والبحث عن أخبار الرُّواة وأحوالهـم وتواريخهـم، وكـذا في آثـار الصّحابة والتّابعين رضي ا للهُ عنهم أجمعين.

وعلمُ العربيّة منقسمٌ إلى نحوٍ ولغةٍ وبيانٍ، وهو علمُ الفصاحة في النّظم والنّثر، ويتّصلُ بذلك معرفةُ الأوزان والأشعار، والخُطَب والرّسـائل، وغـير ذلك.

والمُستنبَطُ من الكتاب والسُّنّة بطريق علم العربيّة هـو علـمُ مـا يتعلّـقُ بعقائد المكلَّفِين وأفعالهم ظاهراً وباطناً من علوم الأصول والفروع.

وعلمُ الأصول منقسـمٌ إلى مـا يُسَـمَّى أصـولَ الديـن وإلى مـا يُسَـمَّى أصولَ الفقه، وقد أُلحـق بكـل واحـدٍ مـن العِلْمَيْـنِ أشـياءُ كثـيرَة، وأبحـاثٌ عسيرَة، من علم الكلاَم، وشُبَهِ أهل الجَدَلِ[١] والخِصَام. والأَوْلى لمن[٢] صحَّ إيمانُه، ووضح برهانُه، أن لا يضيع فيها زمانَه، وقـد دسّ فيهمـا بعـضُ مـن انتهَض، أو كان في قلبِه مـرَض، مِن علُـوم الأوائـل المنكـرَة، أمـوراً ضـارّةً

(١) في ش : الجدال .

(٢) في ش : بمن .

مستنكرَة، حتّى صار المشتغلُ بتلك العلُوم، يتستّرُ باسم الأصُول وهو ملُوم.

وعلمُ الفرُوع منقسمٌ إلى ما يُسمَّى علم المذهب وهو: البحثُ عن أحكام الله تعالى فيما يتعلَّقُ بأفعال المُكلّفين ظاهراً، من العبادات والمُعاملات والمُحاكمات ونحو ذلك. وينبغي لمن اشتغل به أن لا يقتصر على مذهب إمامٍ مُعيَّنٍ بل يرفعُ نفسَهُ عن هذا المقَام، وينظرُ في مذهب كل إمَام، ويعتقدُ في كل مسألةٍ صحّةَ ما كان أقربَ إلى دلالة الكتاب والسُّنّة المُحْكَمَة، وذلك سهلٌ عليه إذا كان قد أتقنَ معظمَ العلُوم المتقدمَة. وليجتنب التّعصُّبَ والنّظرَ في طرائق الخلاف المتأخِّرَة، فإنّها مَضيعةٌ للزّمان ولصَفْوِهِ مُكَدرَة.

القسمُ الثّاني من علم الفروع :

ما يتعلّقُ بأفعال المُكَلّفين باطناً وهو ما يُسمّى علم المعاملة والحقيقة، وآداب أهل الطّريقة، ويتّصلُ بذلك البحثُ عن أخبار القوم وأحوالهم[١]: نسائهم ورجالهم، وذلك من أعلى ما ينتفعُ به السّالِك، وأقلُّ ما فيه أن يعلمَ كيفيّةَ خدمة المملُوك للمالِك.

---

(١) يعني أبو شامة رحمه الله أخبار الزّهّاد والصّالحين، ولا شكّ أنّها تزيدُ من همّة المرء في المسارعة إلى الخيرات، ولزوم الطّاعات، وفي مقدّمة هؤلاء أصحابُ رسول الله ﷺ فهم أبرُّ هذه الأمّة قلوباً، وأصفاها نفوساً، ويليهم التّابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأستبعدُ أن يكون مرادُ أبي شامة طريقة الصّوفية وآدابهم، خاصّة وهو العالمُ المجتهدُ الذي يدركُ خطورة ما جناه التّصوفُ على أمّة محمّدٍ ﷺ .

فهذه هي العلومُ الشّرعيّةُ المعتبرة، وكلُّها ـ و لله الحمدُ ـ مُتَيَسّرَة، فمن وفّقه الله تعالى اشتغل بها أو بشيءٍ منها، و لم يحملهُ شياطينُ الجنّ والإنس على الرّغبة عنها.

وعليك يا أخي بالأهمِّ منها :

فالأهمُّ وهو حفظُ القرآن وشيءٍ من السُّنّة الصّحيحة، والتّفقّهُ فيهما، والعملُ بما تتعلّمُه منهما من علمي الظّاهر والباطن، ومهما زدتَ على ذلك زادَ فضلُك، وعلا محلُّك.

فوفّق الله مَن شغلَ نفسَهُ بالعلم النّافع فلم يُرَ إلاّ عاملاً به، أو مُفكِّراً فيه، أو دَارِسَه، وسدّدَ مَن أعانَ على إحيائه فإنّ معالمَه دارسَة.

وبعون الله تعالى وتوفيقه قد سبق منّي عدّةُ مصنّفاتٍ صغارٍ مفرّقةٍ في عدّةٍ من هذه العلُوم، مختصّةٍ ببعض الأبواب منها وغير مُختصَّة، كلُّ مصنَّفٍ منها مُتْقِنٌ لذلك الباب إن شاء الله عزّ وجلّ، جامعٌ أشْتاتَه، مستوعبٌ مسائلَه، ضامٌّ أطرافَه، استدلالاً واعتراضاً، جمعاً وبياناً، ضبطاً وتقريراً، شرحاً وتفسيراً.

وأردتُ أن أجمعَ تلك المُصنَّفات، أو مُعظمَها في مجلّدَاتٍ، كلُّ مجلَّدَةٍ مشتملةٌ على عدّة مصنّفاتٍ، كلُّ مُصَنَّفٍ منها في فنٍّ من هذه الفُنون، يعرفُ به طالبُ ذلك الفنِّ كيف ينبغي أن تكون معرفتُه له، وأنّه إن لم يعرفهُ أو إن لم يعرف أكثرَه على ذلك الوجه فليعلم أنّه ناقِصُ الحظِّ منه، وأنّه قد فاتهُ علمٌ كثيرٌ، وإن كان يظنُّ أنّه مستغنٍ عنه. وبعضُ هذه المُصنّفات يستمدُّ من باقي الفنون المذكُورة أو بعضها لارتباط بعضها ببعضٍ؛ لأنّ كلَّ ذلك مُستنبَطٌ من الأصلين الكتاب والسُّنّة، وفهمُ العربيّة

هو المُعينُ على ذلك؛ فلا بُدَّ لكلِّ مُصَنِّفٍ مُحَقِّقٍ في علمٍ من العُلوم الشّرعيّة من هذه الأصول الثّلاثة، ومهما قصّرَ في واحدٍ منها اختلَّ كلامُه، وضَعُفَ إحكامُه، وسمّيتُ ما يجمعُ تلك المصنّفات بالكتاب المرقُوم في جملةٍ من العلُوم، وكلُّ مُصَنَّفٍ منها منفردٌ باسمٍ دالٍّ على ما يتضمّنُه ذلك التّصنيف، وابتدأتُ بالخُطبة الكبرى التي جعلتُها مقدِّمَةَ كتابٍ لو تهيّأَ لم يكن له نظيرٌ، ونرجُو من الله تعالى التّوفيقَ له والإعانةَ عليه فهو على ما يشاءُ قديرٌ[1] ».

٧ ـ وصف النّسختين الخطّيّتين للكتاب :

● للكتاب ـ حسب علمي ـ نسختان خطّيّتان :

النّسخةُ الأولى :

نسخة الجزائر، وجعلتُها أصلاً لكونها تامّةً، ولأنّ عليها خطُّ المصنّف في بعض المواطن. وقد وقفتُ على هذه النّسخة قديماً في مدينة « البَرْوَاقِيَّةِ » أثناء رحلةٍ تراثيّةٍ في بعض مدن الجنوب الجزائريّ، وذلك ضمن مكتبة المسجد العتيق، وهي نسخةٌ نفيسةٌ للغاية عليها خطُّ المؤلِّف أبي شامة في مواطنَ كثيرةٍ منه، ولم يتيسّر لي مع الأسف تصويرُ النّسخة ولا نسخُها. ثمّ قدّر اللهُ تعالى أن تُنقل هذه المكتبةُ إلى وزارة الشّؤون الدّينيّة في منطقة « حِيدْرَة » بالجزائر العاصمة، ونبّهتُ بعضَ فضلاء الطّلبة إلى أهمّيّة هذا الكتاب وسائر مؤلّفات أبي شامة التي معه، فوفّق اللهُ الأخَ الفاضل

---

(١) في ش زيادة بعد هذا ونصُّها : « والحمدُ لله رب العالمين، وصلواتُه على سيّدنا محمّدٍ وآله وعترته الطّاهرين، وسلّم تسليماً كثيراً ».

عبد الرّحمن حمادو فقام بنسخ الكتاب على فـترات متفاوتـة، ثـمّ وفّـق ا لله الأخ الفاضل محمّد تيقمومين فقابل معـه النّسـخة. ثـمّ حـدث أمرٌ غريـبٌ مؤسفٌ للغاية حيث فُقدت النّسخةُ الأصليّـةُ مـن هـذا المجمـوع الـذي فيـه كتابُنا هذا، وكادت المُصيبةُ تعظمُ لولا مـا يسّره ا لله تعـالى علـى يـد الأخ عبد الرّحمن من نسخ الكتاب، فبقي لنـا فـرعٌ منسـوخٌ مـن أصـلٍ مفقـودٍ؛ نسألُ ا لله تعالى أن يُعثر على هذا المجموع النّفيس فتحفظـه أيـدٍ أمينـةٌ محبّةٌ للتّراث وأهله.

● يقع كتابُ « شرح الحديث المقتفى » ضمن مجموعٍ نفيس كلّه من تأليف أبي شامة رحمه ا لله تعالى، وهو أحدُ ستّة كتبٍ جمعها أبـو شـامة في موضعٍ واحدٍ وسمّاها « الكتاب المرقُوم في جملةٍ من العلوم ».

● وهذا ما جاء في طرّة نسخة الجزائر : « الكتابُ المرقُوم في جملةٍ من العلوم لأبي محمّدٍ عبد الرّحمن بن إسماعيل؛ فيه ستّةُ كتبٍ :

۞ خطبة الكتاب المُؤَمَّل للرَّدِّ إلى الأمر الأوّل [ق ١/ ب - ٣١ / أ].

وهي مقدِّمةٌ نافعةٌ بين يدي كتاب « العِلْمُ الجامع بين الفقه والأثـر »، قرّبه ا لله وسهّله، وأعان من عَنِيَ به وغفرَ له آمين. للفقيـه(١) الإمـام العـالم الصّدر الكبير الكامل شرف الدِّين موسى بن داود بن أحمد المزّيّ نفعهُ ا لله بالعلم، وسهّل له العملَ به، بمحمّدٍ النّبيِّ وآله وصحابته وعترته(٢).

---

(١) يعني أنّ هذا الكتاب وما معه من تملُّك موسى بن داود المزّي .

(٢) لا يخفى أنّ هذا توسّلٌ غيرُ مشروعٍ، ولنا في الشّرع ما يُغـني عنـه، كالتّوسّـل بأسمـاء ا لله وصفاته، أو بعملٍ صالحٍ قام به الدّاعي، أو بدعـاء الرّجـل الصّـالح. وانظـر ـ إن شئتَ ـ كتاب العلاّمة الألباني حفظه المولى وأطال في عمره : التّوسّل أنواعُه وأحكامُه.

﴿ وفيه الكلامُ على الإسراء[1] لأبي شامة [ق ٣٢ / أ ـ ٥٠ / أ].

﴿ وفيه المحقّقُ من علم الأصول فيما يتعلّقُ بأفعال الرّسول صلّى الله عليه وآله له أيضاً [ق ٥١ / أ ـ ٨٣ / ب].

﴿ وفيه شرحُ الحديث المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى ﷺ [ق ٨٤ / أ ـ ١١٦ / أ].

﴿ وفيه المرشدُ الوجيز إلى علومٍ تتعلّقُ بالكتاب العزيز لـه أيضـاً [ق ١١٧ / أ ـ ١٥٧ / ب].

﴿ وفيه مختصر الكلام على البسملة له أيضاً [ق ١٥٨/ أ ـ ١٧٣/ب].

● وعلى هذا المجموع ختمُ وقف الكتاب علـى الجـامع العتيـق بمدينـة البَرْواقية ـ ولادية المديّة ».

● جاء في أوّل كتابنا ما يلي :

« كتابٌ فيه شرحُ الحديث المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم كما بجّلهُم وشرّفهُم وكرّم، تصنيـف الشّيخ الفقيه الإمام العالِم الفاضل أبي القاسم عبد الرّحمن بن إسماعيل بـن إبراهيـم المقدسيّ، نفع الله المسلمين بطُول بقائه، وأشركنا في صالح دعائه آمين ».

● يقعُ كتابُنا « شرح الحديث المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى ﷺ » ما بين الورقة ٨٤ أ والورقة ١١٦ أ، وهذا يعني أنّه يحتوي على ٣٢ ورقةً.

---

(١) وهو المسمّى : نور المسرى في تفسير آية الإسرا .

● نسخ الكتابَ محمّدُ بن عليّ بن أبي بكر بطلبٍ من الشّيخ شرف الدِّين موسى بن داود بن أحمد المزّي، وذلك غرّة يوم الإثنين ثامن شهر المحرّم سنةَ ٦٥٥هـ[١]، يعني في حياة المؤلِّف وبالضّبط قبل وفاته بعشر سنين.

النّسخةُ الثّانية :

نسخةُ دار الكتب الأزهريّة بمصر، ورمزتُ لها بالحرف : م .

وهذه أوصافُها :

● تحملُ هذه النّسخة رقم : ٣٧٨٥ في المكتبة الأزهريّة، ومسطرتُها ٢١ سطراً[٢].

● تقعُ ضمن مجموع فيه كتابان لأبي شامة :

أحدُهما : « ضوء السّاري إلى معرفة رؤية الباري » [ق ١ / ب ـ ١٢ / أ].

والثّاني : كتابنا « شرح الحديث المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى ﷺ » [ق ١٢ ب ـ ٦٢ أ].

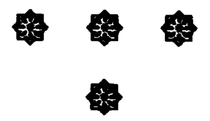
ولم ينتبه مفهرسُ المكتبة إلى وجود الكتاب الثّاني، واعتبر أنّ المجموع كلّه عبارةٌ عن كتابٍ واحدٍ هو « ضوء السّاري »، وظنّ أنّ الكتاب يحتوي على ٦١ ورقة، والواقعُ أنّ ١٢ ورقة الأولى عبارة عن كتاب « ضوء السّاري » مع نقصٍ في أوّله وآخره، و٥٠ ورقة عبارةٌ عن كتاب « شرح

(١) انظر آخر كتاب المقتفى .

(٢) انظر فهرس المكتبة الأزهريّة ١/٥٥٣ .

الحديث المقتفى » مع نقص فيه هو الآخر من أوّله فقط. وسببُ هذا الاشتباه هو النّقصُ الموجودُ في آخر كتاب « ضوء السّاري » وأوّل كتاب « شرح الحديث المقتفى »، ممّا أدّى إلى اختلاط أوراق الكتابين. ولو دقّق المفهرسُ النّظر في الورقة ١٤ أ لرأى المؤلِّف يقول: «وسمّيتُه: شرحُ الحديث المقتفَى في مبعث النّبيِّ المُصطفى صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم، كما بَجّلهُم وشرّفهم وكرّم »، ممّا يعني أنّ ثَمّة كتابٌ آخر في هذا المجمُوع سقطت من أوّله بعضُ الورقات.

● ليس في هذا المجموع اسمُ النّاسخ ولا تاريخُ النّسخ، لكن بالتّأمُّل بين خطّ المجموعين يظهرُ بكلٍّ وضوحٍ أنّ الخَطّ واحدٌ وهو خطٌّ عليّ بن أيّوب بن منصور المقدسيّ الذي نسخ مجموع تشستربيتي في سنواتٍ متتابعة بدءاً من سنة ٧٠٨هـ وانتهاءً بسنة ٧١٣هـ[١]، فلعلّ هذا النّاسخ المقدسيَّ نسخ هذه الكتبَ مراراً خاصّة وهو المشهورُ بخطّه المتقن الرّائق[٢].



(١) انظر فهرس المخطوطات العربيّة في مكتبة تشستربيتي لآرثر ج. آربري ١/١٨٢ - ١٨٥.

(٢) انظر الدّرر الكامنة ٣/٣٠ - ٣١ .

نماذج

من النّسختين الخطّيّتين

[١/٨٤] كتاب فيه شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كما جاء وشرفه وكرم
تصنيف الشيخ الفقيه الإمام العالم الفاضل أبي القاسم
عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي
نفع الله المسلمين بطول بقائه وأشركنا
في صالح دعائه آمين.

[٨٤/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة أبو القاسم شهاب الدين [illegible] الرحمن
بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي نفع الله المسلمين بطول بقائه وأشركنا في صالح
دعائه:

الحمد لله مولي كل نعمة. وموفق من يشاء [illegible].
أحمده على أن جعلنا من خير أمة. ووفقنا [illegible] [illegible] (صلى
الله عليه وسلم) فلنا بهما أتم حرمة. وجنبنا [illegible] [illegible] إلا و
له ذمة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له [illegible] [illegible] [illegible]
نقمة. مانعة من كل وخمة[1]. جالبة للفوز في الآخرة بالنضرة[2] [illegible] [illegible]
عبده ورسوله نبي الرحمة. وكاشف الغمة. وسراج [illegible] [illegible] [illegible]
امتن الله تعالى به على هذه الأمة. فقال (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم
رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) [illegible]
عليه وعلى جميع الملائكة والنبيين المؤيدين بالزلفى والعصمة وعلى آله [illegible]
العزم والهمة الذين أحسنوا له الخدمة ونقلوا إلينا [illegible] [illegible] [illegible]
وهديه وحكمه. وشبههم بالنجوم النيرة في الليالي المدلهمة [illegible] [illegible]
وقدمهم [illegible] [illegible] [illegible] الذين جعل اختلافهم أمتنا رحمة[3]. [illegible] [illegible]
بعدهم من العلماء الأئمة [illegible] [illegible] [illegible]
التي هي أجل نعمة. أما بعد: فقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
حسنة مهمة. والعلوم المتعلقة به كثيرة [illegible] [illegible] [illegible]
ينبغي مع فترة[4] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) الوخمة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
(٢) النضرة [illegible] [illegible] [illegible] (٣) [illegible]

بداية نسخة الجزائر

(101)

أحفاد الأحفاد بالأجداد قرأ عليه كتاب مسلم جماعة من الأئمة والحفاظ [illegible]

منهم القشيري والواحدي والبحيري وممن رواه عنه الإمام أبو عبد الله [illegible] الصاعدي الفراوي ثم النيسابوري كان أبوه من فراوة بلدة [illegible] وفراوة بضم الفاء، فتحها وكان يقال له: فقيه الحرم رحلت إليه الطلبة من [illegible]

«للفراوي ألف راوي» سمع الكتاب من الفارسي بقراءة أبي [illegible]

التي مات فيها وتفقه على الإمام أبي المعالي ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائة [illegible] و

توفي في شوال سنة ثلاثين وخمسمائة روى الكتاب عنه خلق كثير [illegible]

القاسم علي بن الحسين وحفيده أبو القاسم منصور بن عبد المنعم [11/116] وأبو

البركات عبد الله فقيه الحرم المذكور وأبو عبد الله محمد بن علي بن [illegible]

الحراني وأبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي [illegible] النيسابوري

وقد سمعت على جماعة من أصحاب هؤلاء وقرأته [illegible]

إجازة وكان شيخنا [illegible] الكتاب من الفراوي [illegible]

حتى تفرد به عنه وحتى ألحق الأحفاد بالأجداد [illegible]

رب العالمين.

وافق الفراغ من نسخه غرة يوم الاثنين

ثامن شهر الأول من شهور سنة خمس وخمسين وأربعمائة

[illegible]

كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير [illegible]

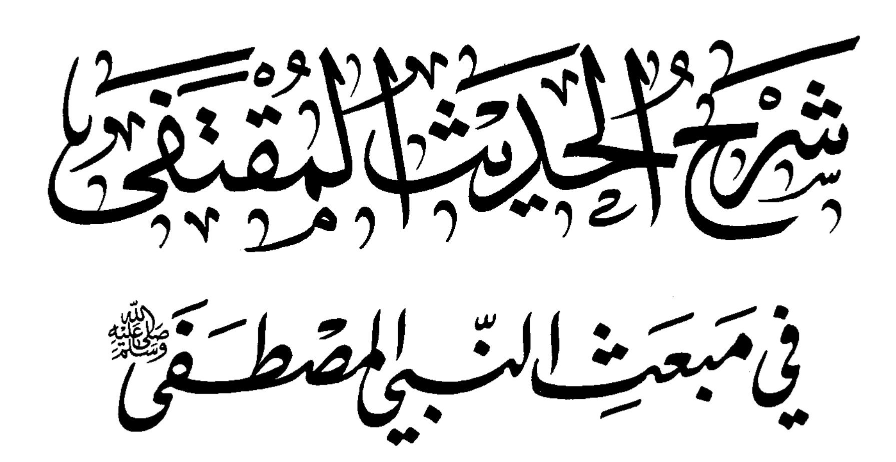
الشيخ الفاضل البارع شرف الدين [illegible] بن داود [illegible]

[illegible] الله بالعلم وجميع المسلمين.

نهاية نسخة الجزائر

[illegible] المشرح [illegible] وأخرج أبو سعد [illegible]
لنا [illegible] عن إسحاق بن إبراهيم قال قيل لإسحاق بن [illegible]
يحدث [illegible] في ترجمة [illegible]
[illegible] أحمد بن حنبل [illegible] الشافعي [illegible]
[illegible] رضي الله عنهم فقال لي أحمد [illegible]
[illegible] ولا يضرك في دينك [illegible]
[illegible] هذا [illegible] أخاف أن لا [illegible] إلى يوم القيامة [illegible] أحدا [illegible]
كتاب الله عز وجل من هذا الفتى [illegible] وسئل أبو بكر [illegible]
[illegible]
[illegible] بن [illegible]
والحفظ فقال الدراية فوق الحفظ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الحفظ [illegible]
كيف كان الأمر في نظرهم على ما ذكرنا وإن كان [illegible]
[illegible] أن سبيل كل طائفة بكلام أئمتها [illegible]
[illegible] الأقرب إلى [illegible] إلى سلوك طريقتهم [illegible]
عن السلف رضي الله عنهم [illegible] أهل الحديث [illegible]
[illegible] إنما كان [illegible] بما ذكرناه من [illegible] والتفقه [illegible]
[illegible] صحيحه من سقيمه والتمسك [illegible]
[illegible] الحفظ [illegible] في الفقه [illegible]

بداية نسخة المكتبة الأزهرية



شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى ﷺ

تأليف

الشيخ الإمام شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن
ابن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي
(٥٩٩هـ - ٦٦٥هـ)
رحمه الله تعالى

قرأه وعلّق عليه
جمال عزّون



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشّيخُ الفقيهُ الإمامُ العالِمُ العَلاّمةُ أبو القاسمِ شهابُ الدين عبدُ الرّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسيُّ الشّافعيُّ نفعَ الله المسلمين بطُول بَقائِه، وأشركَنا في صالحِ دعائِه :

الحمدُ لله مُولي كل نعمَة، ومُؤتي مَن يشاءُ إيماناً وحكمَة، أحمدُه على أن جعلنا مِن خير أُمَّة، ووفّقنا للاشتغال بكتابه وسُنّةِ نبيه ﷺ فلنا بهما أتمُّ حُرْمَة، وجَنّبنا طريقةَ الذي لا يَرقبُونَ في الله إلاًّ ولا ذِمَّة، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً دافعةً لكل نِقمَة، مانِعَةً مِن كل وَصْمَة، جالبَةً للفوزِ في الآخرة بالنَّضْرَةِ والنِّعْمَة، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه نبيُّ الرّحمَة، وكاشفُ الغُمَّة، وسراجُ الأمَّة، المنورُ لكل ظُلْمَة، الذي امتنَّ الله تعالى به على هذه الأمَّة، فقال: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ**﴾(١)، صلّى الله عليه وعلى جميع الملائكةِ والنّبيّين

---

(١) آل عمران : الآية ١٦٤ .

المُؤيَّدِين بالزُّلْفَى والعِصْمَة، وعلى آلِه وأصحابـه أُولي العَـزْمِ والهِمَّـة، الذيـن أحسنُوا له الخدمَة ونقلُوا إلينا علمَه، ووصفُوا لنـا حُكْمَـهُ وهديَـه وحِلْمَـه، وشبّهُهُـم بالنُّجُومِ النيرة في اللّيالي المُدْلَهِمَّة[(١)]، فرضي الله عن تابعيهم ومَـن بعدهُم مِن العلماءِ الأئمَّة، الذين جُعل اختلافُهم لنا رحمَة[(٢)]، وقسمَ لهم مع العلمِ طاعتَهُ التي هي أجَلُّ قِسْمَة .

أمّا بعدُ :

فقد صُنِّفَ في علمِ الحديثِ وشرفِ أهلِه كتبٌ حسنةٌ مُهِمَّة، والعلـومُ المتعلّقَةُ به كثيرةٌ يَقصـرُ الزّمـانُ عـن تحصيلِهـا كمـا ينبغـي، مـع فَتْرَةِ أهلِـه وكسلِهم حتّى قال بعضُ مَن تَقدّم: « يَكفي مِن الحديثِ شَـمُّه »[(٣)]، فقنـعَ الجمهورُ منهم بالإجازاتِ والسّماعِ مِن عَوام الشُّيوخِ فلهم في ذلك نَهْمَـةٌ، وتَجري بينهم في ذلـك منافسـاتٌ وزَحْمَـة، وأعرضُـوا عـن علومِـه النّافعـةِ

---

(١) يشيرُ المصنِّفُ إلى حديث: « أصحابي كالنّجوم بـأيهم اقتديتُـم اهتديتُـم »، وهـو حديـثٌ موضوعٌ، وانظر الكلام عنه مفصَّلاً في السّلسلة الضّعيفة للعلاّمة الألباني رقم: ٥٨.

(٢) يشيرُ المصنِّفُ أيضاً إلى حديث: « اختلاف أمّتي رحمةٌ » ، وهو حديثٌ لا أصلَ له، وترى الكلامَ عليه أيضاً مفصَّلاً في المصدر السّابق رقم : ٥٧ .

(٣) أخرجه الحافظُ عبدُ الغني بن سعيد، عن حمزة بن محمّدٍ الحافظ بإسناده عـن عبـد الرّحمـن ابن مهدي أنّه قال: « يكفيك من الحديثِ شَمُّه ». قال عبدُ الغنيّ: قال لنا حمـزة: « يعـني إذا سُئل عن أوّل شيءٍ عرفه، وليس يعني التّسهُّل في السّـماع ». ذكـره ابـنُ الصّـلاح في علوم الحديث ص ١٣٢. وقال ابنُ الصّلاح أيضـاً: « رُوينـا عـن أبـي عبـد الله بـن منـده الحافظ الأصبهاني أنّه قال لواحدٍ من أصحابه: يا فلان، يكفيك من السّماع شَمُّه ».

المأمورِ بها فما يُحَرِّكُهم إليها هِمَّة، ولا لهم عليها عَزْمَة، حتّى استولت على خواطرهم العُجْمَة، ولو كان أحدُهم في الفصاحةِ جارياً مجرى ذي الرُّمَّة، أو إبراهيم بن هَرْمَة[1]، أو ابن قيس بن صرمَة، وأطلق بعضُهم على بعضٍ اسمَ المُحَدِّثِ والحافظِ فاغترَّ بهذا الإطلاقِ كلُّ غِرٍ يحسَبُ أنّ كلَّ سوداءَ تمرَةٌ وكلَّ بيضاءَ شَحْمَة، ولم يَدْرِ أنّ هذا الاسمَ قد هانَ على مُطلقيه كما هانَ على قومٍ آخَرين اسمُ الفقيهِ الذي لم يكن يُطلَقُ إلاّ على المجتهدِ النّبيهِ الذي أتقنَ علمَه، وشكرَ الواصفونَ مِن أهلِ الحَلِّ والعَقْدِ فهمَه.

فاعلم أنّ علومَ الحديثِ الآن على ثلاث درجاتٍ :

الدّرجةُ الأولى :

أعلاها وأشرفُها وهي حفظُ مُتونِه ومعرفةُ غريبِها والتّفقّهُ فيها، ففي فهمِها مع فهمِ كتاب الله تعالى عن غيرهما شُغْلٌ شاغِل، ولا يُضَيَّعُ الزّمانُ فيما لا فائدةَ فيه الآن مِن السّماع في البلدان فإنّ الأحاديثَ قد دُوِّنت وبُيِّنت ورُتِّبت وقُسِّمت وتعبَ عليها وأتقنَها[2] الأوائِل، فلم تبق ضرورةٌ تدعُو إلى تحصيلِ ما هو حاصِل .

---

(١) شاعرٌ من مخضرمي الدّولتين الأمويّة والعبّاسيّة، انظر ترجمته في الشّعر والشّعراء ٢/٧٥٣ - ٧٥٤، وخزانة الأدب ١/٢٠٤.

(٢) في الأصل : إتقانها ، ولعلّ المثبت أولى .

الدّرجةُ الثّانيةُ(١) :

حفظُ أسانيدِها ومعرفةُ رجالِها وتمييزُ صحيحِها مِن سقيمِها، وهذا كان الأهمَّ في الزّمن الأوّل حيث لم تكن كتبٌ مُسطّرَةٌ، ولا أمورٌ محرَّرَة، وقد كُفي المشتغِلُ بالعلمِ هذا التّعبَ بما قد صُنِّف وأُلِّف مِن الكتب(٢).

❁ ❁ ❁

(١) في هامش نسخة الأصل بخطٍّ دقيق مغايرٍ تعليقٌ هذا نصُّه : « هذه الدّرجةُ الثّانية يُناقضُها ما ذكرهُ في كتابه المُؤَمّل في الرّدّ إلى الأمر الأوّل في أثناء كلامٍ له: بل الواجبُ في الاستدلال أنّ من يستدلّ بحديثٍ يذكرُ سندَه ويتكلّم عليه بما يجوزُ الاستدلال به، أو يعزوهُ إلى كتابٍ مشهورٍ من كتب الحديث المعتمدة، فيرجعُ من يطلب صحّةَ ذلك الحديث وسقمَه إلى ذلك الكتاب، وينظر في سنده، إلى آخر كلامه وفيه ما يُناقضُ ما قاله هنا [في] كلامٍ طويلٍ جدّاً ». وانظر كلام أبي شامة المشار إليه في هذا الهامش في مختصر المؤمّل ـ ضمن الرّسائل المنيرية ص ٢٩.

(٢) تعقّب الحافظُ ابن حجر في نكته على ابن الصّلاح ٤٢/١ كلام أبي شامة فقال: « يقال عليه: إن كان التّصنيفُ في الفنِّ يوجبُ الاتّكال على ذلك وعدم الاشتغال به فالقولُ كذلك في الفنِّ الأوّل، فإنّ فقه الحديث وغريبه لا يُحصى كم صُنِّف في ذلك، بل لو ادّعى مُدَّعٍ أنّ التّصانيفَ التي جُمعت في ذلك أجمع من التّصانيف التي جمعت في تمييز الرّجال، وكذا في تمييز الصّحيح من السّقيم لما أبعدَ بل ذلك هو الواقعُ، فإن كان الاشتغالُ بالأوّل مهمّاً فالاشتغالُ بالثّاني أهمّ لأنّه المرقاةُ إلى الأوّل، فمن أخلّ به خلطَ الصّحيحَ بالسّقيم، والمُعدَّل بالمجروح، وهو لا يشعرُ، وكفى بذلك عيباً بالمحدِّث؛ فالحقُّ أنّ كلاً منهما في علم الحديث مهمٌّ لا رجحانَ لأحدهما على الآخر، نعم لو قال: الاشتغالُ بالفنِّ الأوّل أهمّ كان مُسَلّماً مع ما فيه ».

الدّرجةُ الثّالثةُ : الاشتغالُ بجَمعِـه وكتابتِـه وسماعِـه وتطريقِـه وطلـبِ العُلوِّ فيه والرّحلة في ذلك؛ فالمشتغِلُ بهذا مشتغلٌ عمّا هو الأهمُّ مِن علومِـه النّافعةِ[١] فضلاً عن العملِ به الذي هو المطلوبُ الأصليُّ مِـن المكلّفـين قـال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون**﴾[٢].

وما أحسنَ ما قال جعفرُ بن أحمد السّرّاج[٣] :

إذا كنتمُ تكتبُونَ الحَدِيـ ـثَ ليلاً وفي صُبْحِكُم تسمعُونا
وأفنيتُم فيه أعمارَكُـــمْ فـأيَّ زمــانٍ به تعملُــــونا[٤]

إلاّ أنّ هذا لا بأسَ به للبَطّالين لما فيه مِن إبقاءِ سلسلةِ العنعنـةِ المُتّصلـةِ بأشرف البشر[٥] فهي مِن خصائص هذه الأمّةِ المرحُومَة.

---

(١) وعلّق الحافظُ أيضا على هذا فقال: « ولا شكّ أنّ من جمعهُما حاز القـدح المُعلّى، ومـن أخلّ بهما فلا حظَّ له في اسم المحدِّث، ومن حرّر الأوّل وأخلّ بالثّاني كان بعيداً من اسـم المحدِّث عُرْفاً، هذا لا ارتيابَ فيه. بقي الكلامُ في الفنِّ الثّالث وهو السّماعُ وما ذكر معه، ولا شكَّ أنّ من جمعه مع الفنِّ الأوّل كان أوفرَ قِسْماً، وأحظَّ قَسْماً، لكن وإن كـان مـن اقتصر عليه كان أنحس حظّاً وأبعدَ حفظـاً، فمـن جمع الأمـورَ الثّلاثـةَ كـان فقيهـاً محدِّثـاً كاملاً، ومن انفردَ باثنين منها كان دونه، وإن كان ولابدَّ من الاقتصار على اثنين فليكـن الأوّل والثّاني، أمّا من أخلّ بالأوّل واقتصر على الثّاني والثّالث فهو محدِّثٌ صرفٌ لا نزاعَ في ذلك، ومن انفرد بالأوّل فلا حظَّ له في اسم المحدِّث كما ذكرنا ». وللسّـيوطي تخريـجٌ آخر لقول أبي شامة فانظره في البحر الذي زخر ٢٥٦/١.

(٢) الذّاريات : الآية ٥٦ .

(٣) أبو محمّدٍ المقرىءُ المحدِّثُ الأديب، توفّي سنة ٥٠٠هـ، ذيل طبقات الحنابلة ١٠٠/١.

(٤) البيتان في المصدر السّابق .

(٥) من قوله : « علوم الحديث الآن » إلى هنـا نقلـه ابنُ حجـر في نكتـه علـى ابـن الصّلاح ٢٢٨/١ ـ ٢٢٩ مع تصرُّفٍ يسيرٍ.

وممّا يُزَهِّدُ مَن كان له لُبٌّ في هذه الطّريقة ما تشتملُ عليه مِن مُشاركةِ الصّغير فيها للكبير، والفَدْمِ للفاهمِ، والجاهلِ للعالِم، بل أهلُ هذه الدّرجةِ لا يُبالُونَ بتقديمِ المُسَمِّعِ الجاهلِ، فإذا كان علوُّ السّندِ مع النّاقصِ لم يُلتفت إلى الكامل.

واعلم أنّ أئمّةَ المتقدّمين، لم يكونوا إلى هذا مُلتفتين، قال عبدُ الله بن هاشم الطُّوسيُّ وغيرُه :

« كنّا عند وكيعٍ فقال: الأعمشُ أحبُّ إليكم عن أبي وائلٍ عن عبدِ الله، أو سفيان عن منصورٍ عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله، وهما شيخاهُ الأعمشُ وسفيان؟ قال: فقلنا: الأعمشُ عن أبي وائلٍ أقربُ، فقال: الأعمشُ شيخٌ وأبو وائلٍ شيخٌ، وسفيانُ عن منصورٍ عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله فقيهٌ عن فقيهٍ عن فقيهٍ عن فقيهٍ عن فقيهٍ، وحديثٌ يتداولُه الفقهاءُ خيرٌ[1] ممّا يتداوَلُهُ[2] الشّيوخُ »[3].

---

(١) من أوّل الكتاب إلى هنا ساقطٌ من نسخة دار الكتب المصرية « م » .

(٢) في م : تداولَهُ .

(٣) أخرجه الرّامهرمزيُّ في المحدث الفاصل ص ٢٣٨، والحاكمُ في معرفة علوم الحديث ص١١، والخطيبُ في الكفاية ص ٤٣٦، والبيهقيُّ في المدخل إلى السّنن الكبرى ص ٩٤ - ٩٥، والسلَفيُّ في شرط القراءة على الشّيوخ ل ٩أ، وابن أبي حاتم في الجرح والتّعديل ٢/٢٥ مختصراً، من طرقٍ عن وكيعٍ به، وانظر إرشاد الخليلي ١/١٧٧، وسير أعلام النّبلاء ٩/١٥٨، وتدريب الرّاوي ٢/١٧٢.

(وأخرجَ أبو سعدٍ السّمعانيُّ[١] في مقدّمة « تذييله لتاريخ بغـداد »[٢] عن إسحاق بـن إبراهيـم قـال: قيـل لسـفيان بـن عيينـة: إنّ فلانـاً يُحـدِّثُ بنزولٍ، فقال: يُزينُها الصِّدقُ)[٣].

ورُوِّينا في « التّاريخ »[٤] في ترجمة الشّافعيّ رضي ا لله عنه أنّ أحمد بن حنبلٍ لامَهُ إنسانٌ في حضورِه مجلسَ الشّافعيّ وتركِه مجلسَ سفيانَ بن عيينـة رضي ا لله عنهم، فقال له أحمد: اسكُت، فـإن فـاتَك حديـثٌ بعلُـوٍّ تجـدْهُ بنزولٍ، ولا يضرُّك في دينِك ولا في عقلِك ولا في فهمِك، وإن فاتَك عقـلُ هذا الفتى أخاف أن لا تجـدَه[٥] إلى يـوم القيامـةِ، مـا رأيـتُ أحـداً أفقـهَ في كتاب ا لله عزّ وجلّ من هذا الفتى[٦].

وسُئل أبو بكر محمّد بن عمر الجِعابيُّ الحـافظ: « أكـان ابـنُ صـاعدٍ يحفظُ؟ فتبسّم وقال: لا يُقال لأبي بكرٍ يحفظ ، كان يَدري »[٧] .

---

(١) الحافظ عبد الكريم بن محمّد التّميمي المتوفّى سنة ٥٦٢هـ، السّير ٢٠/٤٥٦ - ٤٦٥.

(٢) ذيّل به تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وهو ممّا فقد من تراث هذا الحافظ.

(٣) سقط هذا النّصُّ من نسخة الأصل ، واستُدرك من م .

(٤) يعني تاريخ دمشق لابن عساكر، وقد أخرج فعلاً هذه القصّة في تاريخه كما سيأتي.

(٥) من قوله : « علوم الحديث الآن » إلى هنا نقله السّيوطيُّ في البحر الذي زخر ١/٢٥٣.

(٦) أخرجه ابنُ أبي حاتمٍ الرّازيّ في آداب الشّافعيّ ومناقبه ص ٥٨ - ٥٩، ومـن طريقـه أبـو نعيمٍ في حلية الأولياء ٩/٩٨ - ٩٩، والبيهقيُّ في مناقب الشّافعيّ ٢/٢٥٦ - ٢٥٧، وابـنُ عساكر في تاريخ دمشق ٥١/٣٣١.

(٧) من قولـه « علـوم الحديـث الآن » إلى هنـا نقلـه الزّركشـيُّ في النّكـت علـى مقدّمـة ابـن الصّلاح ١/٤١ - ٤٥ مع تصرُّفٍ واختصارٍ.

قال حمزةُ بن يوسفَ السَّهْمِيُّ : « قلتُ لأبي بكر بن عبدان : أَيْشٍ الفرقُ بين الدِّرايةِ والحفظِ ؟ فقال : الدِّرايةُ فوقَ الحفظِ »(١) .

قال الحاكمُ أبو عبد الله : سمعتُ أبا عليٍّ الحسينَ بن عليٍّ الحافظَ يقول: « لم يكن في أقرانِ أبي محمّد بن صاعدٍ في فهمِه وكان أحفظَ منه، أي وكان يوجدُ مَن هو أحفظُ منه ، قال : والفهمُ عندنا أجلُّ مِن الحفظِ »(٢).

قلتُ :

فانظُرُوا إلى كلامِ هؤلاء الأئمّة الحُفّاظ حقّاً كيف كان الأمرُ في نظرِهم على ما ذكرنا، وإن كان هذا ممّا لا يخفى على عالمٍ إلاّ أنّي أحبُّ أن أستدلَّ على كلِّ طائفةٍ بكلام أئمّتِها لتكونَ الحجّةُ عليهم أبلغَ، ولأنّ ذلك أقربُ إلى تحريكِهم إلى سُلوكِ طريقهم .

ثمّ اعلم أنّ كلَّ ما جاء عن السّلف رضي الله عنهم مِن الثّناء على أهل الحديثِ ووصفِهم ومدحِ علمِهم إنّما كان باعتبارِ ما ذكرناهُ مِن حفظِ متونِه والتّفقُّهِ فيها وتمييزِ صحيحِه مِن سقيمِه، والتّمسُّكِ به علماً وعملاً، وإن كانوا مُتفاوتين في ذلك؛ فبعضُهم بَرَّزَ في الحفظِ، وبعضُهم في

---

(١) أخرج كلامَ السّهمي والجعابي الخطيبُ البغداديُّ في تاريخ بغداد ٢٣٣/١٤، ومن طريقه ابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٣٦١/٦٤.

(٢) أخرجه ابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٣٦١/٦٤، ومختصَراً بنحوه الخطيبُ في تاريخ بغداد ٢٣٣/١٤، وانظر سير أعلام النّبلاء ٥٠٤/١٤، وتذكرة الحُفّاظ ٧٧٦/٢.

الفقه ، وبعضُهم في التّمييز مع مشاركةِ كل فريقٍ للباقينَ بما لم يُبَـرِزْ فيـه؛ (ولهذا جاءَ عن أبي عبيدٍ القاسمِ بن سلاّمٍ أنّه قال : « انتهى علمُ الحديثِ في زمانِنا إلى أربعةٍ: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعليّ بن المدينيّ وأبي بكر ابن أبي شيبة، ثمّ وصف أحمدَ بأنّه أفقهُهم فيه، ووصف يحيى بأنّه أعلمُهم بصحيحِ الحديث وسقيمِه، ووصف ابنَ المدينيّ بأنّه أعلمُهم به أي بعللِه ، ووصف أبا بكر بأنه أحفظُهم له[1] »[2].

قال يحيى بن أبي بكير : « قيل لسفيانَ الثّوري: إلى متى تطلب الحديثَ؟ قال: وأيُّ خيرٍ أنا فيه خيرٌ مِن الحديثِ فنصير إليه - يعني بدلاً مِن الحديث - إنّ الحديثَ خيرُ علومِ الدّنيا، وإنّ نورَ الآخرةِ الحديثُ »[3].

قال موسى بن عبد الرّحمن بن مهدي: سمعتُ أبي يقول: « رأيتُ سفيانَ الثّوريَّ في المنامِ فقلتُ: أيّ شيءٍ وجدتَ أفضل؟ قال: الحديث»[4].

(وجاءَ عن ابن المبارك وغيرِه: ما أعلمُ شيئاً أفضلَ مِن طلبِ الحديث لمن أرادَ الله به)[5].

وقال وكيع: « لولا أنّ الحديثَ أفضلُ عندي مِن التّسبيحِ ما حدّثتُ»[6].

---

(١) أخرجه الخطيبُ في تاريخ بغداد ٤٢/٩، ٢/١٢، والمزيُّ في تهذيب الكمال ٢٠/٢١، من طريق عبد الله بن أبي زيادٍ القطواني، عن أبي عبيد القاسم بن سلاّمٍ به.

(٢) من م .

(٣) انظر سير أعلام النّبلاء ٢٤٣/٧ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٦٦/٦ .

(٥) من م .

(٦) أخرجه الخطيبُ البغداديُّ في شرف أصحاب الحديث رقم : ١٧٩ بإسناده إلى وكيعٍ.

قال محمّد بن إسحاق بن خزيمة: سمعتُ يونسَ بن عبد الأعلى يقول: سمعتُ الشّافعيَّ يقول: « إذا رأيتُ رجلاً مِن أصحاب الحديثِ فكأنّي رأيتُ رجلاً مِن أصحاب النبي ﷺ »[1].

ورُوِّينا عن الإمام الشّافعيّ رحمه الله أيضاً أنّه قال: « عليكم بأصحاب الحديث فهم النّاسُ »[2].

قال أبو محمّدٍ عبدُ الله بن جعفر الخبازي: سمعتُ أبا أحمدَ عبدَ الله ابن بكر بن محمّدٍ[3] العالِمَ الزّاهدَ بالشّامِ في جبل لبنان يقولُ:

« أبركُ العلومِ وأفضلُها وأكثرُها نفعاً في الدِّين والدُّنيا بعدَ كتاب الله عزّ وجلّ أحاديثُ رسول الله ﷺ؛ لما فيها مِن كثرة الصّلواتِ عليه، وإنّها كالرِّياض والبساتين تجدُ فيها كلَّ خيرٍ وبِرٍّ، وفضلٍ وذِكْرٍ ».

(وفي « جامع التّرمذي » مِن حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال: « أولى النّاسِ بي يومَ القيامةِ أكثرُهم عليّ صلاةً »[4]، صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) أخرجه الهرويُّ في ذمّ الكلام وأهله ٢/٣٠٦، رقم: ٤٠١، من طريق يونس بن عبد الأعلى والبويطي، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/١٠٩، عن الرّبيع، عن الشّافعيّ أنّه قال: فذكره، زاد البويطيُّ: قال الشّافعيُّ: « فجزاهم الله خيراً؛ فهم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا فضلٌ ».

(٢) أخرجه الهرويُّ في ذمّ الكلام ٢/٣٠٧ - ٣٠٨، من طريق السّاجي، عن البويطي قال: سمعتُ الشّافعيَّ يقول: « عليكم بأصحاب الحديث فإنّهم أكثرُ النّاس صواباً ».

(٣) المحدثُ الحجّةُ الطّبرانيُّ الزّاهدُ، توفّي سنة ٣٩٩هـ، انظر السِّير ١٧/١٠٦ - ١٠٧.

(٤) أخرجه التّرمذي ٢/٣٥٤، رقم: ٤٨٤، من طريق عبد الله بن كيسان، أنّ عبد الله بن شدّادٍ أخبره، عن عبد الله بن مسعودٍ به فذكره. قال التّرمذي: « هذا حديثٌ حسنٌ

=

وقال الفقيهُ أبو زيدٍ المروزيُّ الزّاهدُ :

« كنتُ نائماً بين الرّكنِ والمقامِ فرأيتُ النّبيّ ﷺ فقال: يا أبا زيدٍ، إلى متى تدرسُ كتابَ الشّافعيّ ولا تدرس كتابي؟ فقلتُ: يا رسولَ الله، وما كتابُك؟ قال: جامعُ محمّد بن إسماعيل - يعني البخاريَّ »[١] -.

وكان أبو زيدٍ يرويه عن الفربريّ وهو أجلُّ مَن رواه عنه)[٢].

ولله دَرُّ القائلِ :

طلبُ الحديثِ طريقةُ   الماضينَ مِن أهل الرّشادِ
فاسلُكْ سبيلَهم تنل   درجاتِهم يومَ المعادِ

وللحافظِ أبي طاهر السِّلفي رحمه الله :

دينُ النّبيِّ وشَرْعُهُ أخبارُه   وأجلُّ علمٍ يُقتنى آثارُه
مَن كان مُشتغلاً بها وبنشرِها   بين البريّةِ لا عَفَتْ آثارُه[٣]

غريبٌ ». وعبدُ الله بن كيسان هو القرشيُّ الزّهريُّ مولى طلحة بن عبد الله بن عوفٍ ذكره ابنُ حبّان في الثّقات ٤٩/٧، وقال ابنُ القطّان: لا يعرف، التّهذيب ٣٧٢/٥. وقد ضعّف الحديثَ العلاّمةُ الألبانيُّ في ضعيف التّرمذي ص ٥٤، وحاشية المشكاة ٢٩١/١.

(١) أخرجه الهرويُّ في ذمّ الكلام وأهله ٢٧٢/٢، رقم: ٣٤٩، ومن طريقه الذّهبيُّ في السّير ٤٣٨/١٢، ٣١٤/١٦ - ٣١٥، عن خالد بن عبد الله المروزيّ، سمعتُ أبا سهل محمّد بن أحمد المروزي، سمعتُ أبا زيد المروزيَّ الفقيه يقول: فذكره.

(٢) من م .

(٣) قال السّمعانيُّ في الأنساب ١٧١/٧ ـ السّلفيّ : « ومن شعره المليح الحسن » ثمّ ذكر البيتين عن بعض شيوخه سمّاهُم عن السلَفيّ.

فسهّلَ اللهُ علينا الاستمرارَ على الاشتغال به على الوجه المَرْضِي، وإن كان قد أصبح أكثرُ النّاسِ[١] عنه مُعرِضينَ، فما ذاكَ بمانعٍ لمن سبقَ له الوعدُ بالنّصر[٢] مِن سيّد المرسلين؛ فقد صحَّ عنه ﷺ من طُرقٍ أنّه قال:

« لا يزالُ ناسٌ[٣] مِن أمّتي منصورين، لا يضرُّهم مَن خذلهم حتّى تقومَ السّاعةُ »[٤].

وذكر (أبو بكر محمّد بن منصور السّمعانيُّ في « أماليه » عن)[٥] غير واحدٍ من الأئمّة منهم: عبدُ الله بن المبارك ويزيدُ بن هارون وأحمدُ بن حنبل وعليُّ بن المدينيّ والبخاريُّ وغيرُهم أنّ هذه الطّائفةَ المنصورةَ هُم أصحابُ الحديثِ[٦].

قلتُ : وأصحابُ الحديثِ جندُ اللهِ ورسولِه؛ لاعتنائهم بنشر شريعتِه وإعلاءِ كلمتِه؛ فالفَأْلُ لهم بالفوزِ والنّصرِ والغلبةِ مِن كلامِ رب العالمين قولُه سبحانه: **﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[٧].

---

(١) في م : النّاسُ ، بدل : أكثرُ النّاسِ .

(٢) ساقطة من م .

(٣) في م : لا تزالُ طائفةٌ .

(٤) أخرجه التّرمذي - ٤/٤٨٥، رقم: ٢١٩٢ - ط عطوه، وابنُ ماجه ١/٤، من طريق شعبة، عن معاوية بن قرّة، عن أبيه به. قال التّرمذي: « هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ».

(٥) من م .

(٦) انظر أقوالَ هؤلاء الأئمّة في شرف أصحاب الحديث ص ١٢، ٢٦ - ٢٧ للخطيب.

(٧) الصّافّات : الآيات ١٧١ - ١٧٣ .

وقـد رأيـتُ أن أذكُـرَ في هـذا الكتـابِ حديثـاً مِـن الأخبـارِ النّبويّـة، وأشرحَه شرحاً مُتقَناً، مُستوعِباً للكلامِ عليه متناً وإسناداً في كـلِّ مـا يتعلّـقُ به مِن العلومِ الشّرعيّةِ بجهدي وطاقتي، ولا حولَ ولا قُـوّةَ إلاّ بـا لله، أجعـلُ ذلك عُنواناً وأُنموذجاً لما ينبغي أن تُعرف الأخبارُ عليه .

ووقع اختياري على حديث مبعث النّبي ﷺ الذي في « الصّحيحـين » مِن رواية عائشةَ وجابرٍ رضي ا لله عنهما .

وسمّيتُه : شرحُ الحديث المقتفَـى في مبعـث النّبـيِّ المُصطفـى صلّـى ا لله عليه وعلى آله وصحبِه وسلّم، كما بَجّلهُم وشرّفهم وكرّم .





فَصْلٌ

أخبرنا الشّيخانِ البغداديان أبـو القاسمِ أحمـدُ بـن عبدِ الله بـن عبـد الصّمد بن عبد الرّزّاق السّلميّ العطّـار وأبـو البَركـاتِ داود بـن أحمـد بـن محمّد بن مُلاعبٍ رحمهما الله قـراءةً عليهمـا وأنـا أسمعُ سـنة أربـع عشـرة وستّمائة بدمشق، قالا: أخبرنا أبو الوقتِ عبدُ الأوّلِ بن عيسى بـن شـعيبٍ السّجزيُّ الصُّوفيُّ، أخنا[1] أبو الحسن الدّاوديُّ، أخنا أبو محمّـد بـن حمّويـه، أخنا محمّد بن يوسف بن مطر الفربريُّ، أخنا أبو عبدِ الله محمّد بن إسماعيلَ البخاريُّ رحمه الله قال: حدّثني يحيى بن بكيرٍ، ثنا اللّيثُ، عـن عُقَيـلٍ، عـن ابن شهابٍ، عن عروةَ، وزادَ في أوّلِ كتابِ التّعبيرِ: وحدّثـني عبـدُ الله بـن محمّدٍ، ثنا عبدُ الرّزّاقِ، أخنا معمر، قال الزّهريُّ: أخبرني عروةُ، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين أنّها قالت.

ح وأنبأنا أبو الحسن المُؤَيَّدُ بن محمّد بن عليّ بن المقرىء الطُّوسـيُّ في إجازتِه سنةَ تسعٍ وستّمائة، وأخبرنا عنه وعن غيرِه غيرُ واحـدٍ قـالوا: أخنـا أبو عبدِ الله الفُراويُّ، أخبرنا عبدُ الغافر بن محمّد الفارسيُّ، أخنا أبـو أحمـدَ الجلوديُّ، أنا إبراهيم بن محمّد بن سفيان، ثنا أبو الحسين مسلمُ بن الحجّاجِ

(١) اختصار لصيغة أخبرنا ، واشتهر به المغاربة ، انظر تدريب الرّاوي ٨٧/٢ .

قال: حدّثني أبو الطّاهر أحمدُ بن عمرو بن عبد الله بـن عمـرو بـن سَـرْحٍ، أخنا ابنُ وهب، أخبرني يونسُ، عن ابن شهابٍ، حدّثني عروةُ بن الزّبير أنّ عائشة زوجَ النّبي ﷺ أخبرته أنّها قالت :

كان[١] أوّل ما بُدىءَ به رسولُ الله ﷺ مِن الوحيِ الرّؤيا الصّالحـةُ في النّومِ، فكانَ لا يَرى رُؤيا إلاّ جاءتْ مثلَ فلقِ الصُّبحِ، ثُمّ حُبِّبَ إليّ الخَـلاءُ، فكانَ يخلو بغار حِراء يتحنّثُ فيه، وهو التّعبّـدُ اللّيـالي أُلاتِ العَـدَدِ قبـل أن يَرجعَ إلى أهلِه، ويتزوّدُ لذلك، ثمّ يَرجـعُ إلى خديجة فيـتزوّدُ لمثلِهـا، حتّـى فَجئَهُ[٢] الحقُّ وهو في غارِ حِراء، فجاءهُ المَلَكُ فقال: اقرأ، قال: قلتُ[٣]: ما أنا بقارىء، قال[٤]: فأخذني فغطّني حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ[٥]: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطّني الثّانيـةَ حتّى بلـغ منّـي الجهد، ثمّ أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارىء: فأخذني فغطّني الثّالثةَ حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ أرسلني فقال: **﴿اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّـمَ الإِنْسَـانَ مَـا لَمْ يَعْلَمْ﴾**[٦]، فرجعَ بها رسولُ الله ﷺ ترجفُ بَوادِرُه[٧] حتّى دخـلَ علـى

---

(١) لا توجد في م .

(٢) في م : ينزع حاءه ، بدل : فجئه .

(٣) في م : فقلتُ ، بدل : قال : قلتُ .

(٤) غيرُ مثبتةٍ في م .

(٥) في م : فقلتُ ، بدل : قال : قلتُ .

(٦) العلق : الآيات ١ - ٥ .

(٧) في هامش الأصل ، و في م : يرجفُ فؤادُه .

خديجةَ فقال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني؛ فزمَّلوه حتّى ذهبَ عنه الرّوعُ، ثمّ قال لخديجة: أَيْ خديجة مَالِي، وأخبرها الخبرَ قال: لقد خشيتُ على نفسي، قالت له خديجةُ: كلاّ أبشر، فو الله لا يُخزيك الله أبداً؛ والله[1] إنّك لَتصلُ الرّحِمَ، وتَصدُقُ الحديثَ، وتحملُ الكَلَّ، وتُكسبُ المعدومَ، وتَقري الضّيفَ، وتُعين على نوائبِ الحقِّ، فانطلقتْ به خديجةُ حتّى أتت به ورقةَ ابنَ نوفل بن أسد بن عبد العُزّى، وهو ابنُ عمِّ خديجةَ أخي أبيها، وكانَ امرءاً تنصّرَ في الجاهليّة، وكان يكتبُ الكتابَ العربيَّ، ويكتبُ مِن الإنجيل بالعربيّة[2] ما شاء الله أن يكتبَ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِي، فقالت له خديجةُ: أي عمّ، اسمعْ مِن ابنِ أخيك، فقال ورقةُ: يا بنَ أخي، ما ذا ترى؟ فأخبرهُ رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى، فقال له ورقةُ: هذا النّاموسُ الذي أُنزل على موسى ﷺ، يا ليتني فيها جَذَعاً، يا ليتني أكونُ حيّاً حين يُخرجُك قومُك، فقال[3] رسول الله ﷺ: أو مُخْرِجيَّ هُمْ؟ قال ورقةُ: نَعَمْ؛ لم يأتِ رجلٌ قطُّ بما جئتَ به إلاّ عُودِي، وإن يُدْرِكْني يومُك أنصُرْكَ نصراً مُؤزَّراً.

انتهى متنُ الحديثِ إلى هنا في « كتاب مسلمٍ »[4] واللّفظُ له، وأخرجهُ البخاريُّ في أوّل « صحيحه »[5]، ثمّ في تفسير سورة اقرأ[6]، وفي

(١) والله : غيرُ مثبتة في م .
(٢) في هامش الأصل ، و في م : بالعبرانيّة .
(٣) في م زيادة : له .
(٤) صحيح مسلم ١/١٣٩ - ١٤٢، رقم: ٢٥٢ .
(٥) صحيح البخاري ١/٢٢ ، رقم : ٣ .
(٦) صحيح البخاري ٨/٧١٥ ، رقم : ٤٩٥٣ .

أوّل كتاب التّعبير[١]، وقد عَلَّمْتُ على ألفاظِه المُخالفـةِ بالخـاء[٢]، ولـهُ فيـه إسنادٌ آخَرُ نازِلٌ ذكرهُ في التّفسير[٣].

وزادَ البخاريُّ على مسلمٍ بـإخراجِ تتمّـةِ هـذا الحديـثِ فقـال ــ بعـدَ قوله: « نصراً مُؤَزَّراً » ــ: « ثُمّ لم يَنْشبْ ورقةُ أن تُوفِّي، وفترَ الوحيُ »[٤].

زادَ في كتاب التّعبير: « فترةً حتّى حزنَ النّبيُّ ﷺ فيما بلغنا حُزْناً غـدَا منه مِراراً كي يَتردّى مِن رُؤوس شَواهقِ الجبال، فكُلّما أُوفـى بـذروة جبـلٍ لكي يُلقي نفسَه منه تَبدَّا له جبريلُ فقال: يا محمّد، إنّك رسـولُ الله حقّـاً، فيسكن لذلك جَأشُه، وتقرّ نفسُه، فيرجعُ فإذا طالتْ عليه فترةُ الوحيِ غـدَا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبلٍ تَبدَّا له جبريلُ فقال له مثلَ ذلك »[٥].

---

(١) صحيح البخاري ١٢/٣٥١ - ٣٥٢ ، رقم : ٦٩٨٢ .

(٢) وقد أشرتُ إلى ذلك في حواشي التّحقيق .

(٣) فقال: وحدّثني سعيدُ بن مروان، حدّثنا محمّد بن عبد العزيز بـن أبـي رزمـة، أخبرنـا أبـو صالحٍ سَلمويه، قال: حدّثني عبدُ الله، عن يونس بن يزيد، قال: أخبرني ابـنُ شـهابٍ، أنّ عروة بن الزّبير أخبره أنّ عائشة به. صحيح البخاري ٨/٧١٥، رقم: ٤٩٥٣. قال الحافظُ ابن حجر في الفتح ٨/٧١٦: « وقد نزل البخاريُّ في حديثه في هذا الإسناد درجتين، وفي حديث الزّهري ثلاث درجاتٍ ».

(٤) صحيح البخاري رقم : ٣ ، ٤٩٥٣ ، ٦٩٨٢ .

(٥) صحيح البخاري رقم : ٦٩٨٢. وهذه الزّيادةُ مرسلةٌ معضلةٌ فإنّ القائل: « فيمـا بلغنـا » هو الزّهريُّ كما جزم بذلك الحافظُ ابنُ حجر في فتح الباري، وأفـاد العلاّمـةُ الألبـانيُّ في كتابه دفاع عن الحديث النّبوي ص ٤١ ــ ٤١ أنّ معمـراً تفـرّد بهـا دون يونـس وعقيـل وعليه فهي شاذّةٌ، ويضيف الشّيخُ الألبانيُّ أنّ هذه الزّيادة لم تأت من طريقٍ موصولةٍ يحتجُّ بها، وأنّه يمكنُ القولُ بأنّها زيادةٌ منكرةٌ من حيث المعنى لأنّه لا يليـقُ بـالنّبي ﷺ المعصـوم أن يُحاول قتلَ نفسه بالتّردّي من الجبل مهما كان الدّافع له على ذلك وهـو القـائلُ: مـن =

وزادَ البخاريُّ في أوّل « الصّحيح »[١] وفي التّفسير[٢] وهو أيضاً في « صحيح مسلمٍ »[٣]: قال ابنُ شهابٍ: أخبرني أبو سلمةَ بن عبد الرّحمن أنّ جابرَ بن عبد الله الأنصاريَّ قال: قال رسول الله ﷺ ـ وهو يُحدِّثُ عن فترة الوحي قال في حديثِه ـ: « فبينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً مِن السّماء، فرفعتُ رأسي فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحِراء جالساً[٤] على كُرسيٍّ بين السّماء والأرضِ، فجئثتُ منه فَرَقاً، فرجعتُ فقلتُ: زَمِّلُوني زَمِّلُوني، فَدَثَّرُوني فأنزلَ الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[٥]، ثُمّ تتابعَ الوحيُ » لفظُ حديثِ مسلمٍ.

وفي البخاريّ[٦]: « فَرُعِبْتُ منه »، و في موضعٍ[٧] : « فجئيتُ منه رُعباً »، وفي آخر[٨]: « فجئثتُ منه حتّى هويتُ إلى الأرضِ، ثمّ حَمِيَ الوحيُ وتتابعَ ».

تردّى من جبلٍ فقتل نفسَه فهو في نار جهنّم يتردّى فيها خالداً مخلّداً فيها أبداً أخرجه الشّيخان.

(١) صحيح البخاري ١/٢٧ ، رقم : ٤ .

(٢) صحيح البخاري ٨/٧١٥ ، رقم : ٤٩٥٤ .

(٣) صحيح مسلم ١/١٤٢ - ١٤٣ ، رقم : ٢٥٤ .

(٤) في هامش الأصل ، و في م : جالسٌ .

(٥) المدّثّر : الآيات ١ - ٥ .

(٦) صحيح البخاري رقم : ٤ .

(٧) صحيح البخاري ٨/٦٧٨ - ٦٧٩ ، رقم : ٤٩٢٥ .

(٨) صحيح البخاري ٨/٦٧٩، رقم: ٤٩٢٦ لكن فيه: « فجئثتُ » بدل « فجئثتُ ».

ساقَ البخاريُّ رحمه الله متنَ الحديثِ مِن روايةِ عُقيلٍ عن الزُّهري في أوّل « صحيحه »، ثمّ قال في آخرِه : « تابعَهُ[١] عبدُ الله بن يوسفَ وأبو صالحٍ عن اللّيث، وتابعَهُ هلالُ بنُ رَدّادٍ عن الزُّهري، وقال يونسُ ومعمرٌ: ترجفُ بوادِرُه[٢] »[٣].

وساقَ مسلمٌ[٤] رحمه الله الحديثَ مِن رواية يونسَ عن الزُّهري[٥]، ثمّ قال: وحدّثني محمّدُ بن رافعٍ، حدّثنا عبدُ الرّزّاق، أخنا[٦] معمر قال: قال الزّهريُّ: فذكره، غير أنّه قال: « فو اللهِ لا يَحْزُنُكَ اللهُ أبداً » بالحاءِ المهملةِ والنّونِ، وزادَ[٧] - بعدَ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ -: « قبلَ أن تُفرضَ الصّلاةُ ».

---

(١) يعني يحيى بن بكيرٍ عن اللّيث ، وانظر فتح الباري ١/ ٢٨. ومتابعةُ عبد الله بن يوسف هي في البخاري ٦/ ٤٢٢، ٣٣٩٢، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى ...﴾. ومتابعةُ أبي صالحٍ - وهو عبدُ الله بن صالحٍ كاتب اللّيث - أخرجها يعقوب ابن سفيان في تاريخه عنه مقروناً بيحيى بن بكيرٍ كما ذكر الحافظُ في الفتح.

(٢) قال الحافظُ في فتح الباري ١/ ٢٨: « يعني أنّ يونس ومعمراً رويا هذا الحديث عن الزّهري فوافقا عقيلاً عليه، إلاّ أنّهما قالا بدل قوله: يرجف فؤادُه: ترجفُ بوادرُه، والبوادرُ جمعُ بادرةٍ وهي اللّحمةُ التي بين المنكب والعنق تضطربُ عند فزع الإنسان؛ فالرّوايتان مستويتان في أصل المعنى لأنّ كلاًّ منهما دالٌّ على الفزع ».

(٣) صحيح البخاري ١/ ٢٧ ، رقم : ٤ .

(٤) صحيح مسلم ١/ ١٤٢ ، رقم : ٢٥٣ .

(٥) بل من رواية معمر عن الزّهري .

(٦) اختصار : أخبرنا ، كما تقدّم .

(٧) صحيح مسلم ١/ ١٤٤ ، رقم : ٢٥٦ .

قال(١) : وحدّثني عبدُ الملك بن شُعيب بن اللّيث، حدّثني أبي، عن جدّي، حدّثني عُقيلُ بن خالدٍ، قال ابنُ شهابٍ: سمعتُ أبا سلمةَ قال: أخبرني جابرٌ فذكره، وزادَ: « قال أبو سلمة: والرُّجْزُ: الأوثانُ ».

قلتُ : فتحصّلَ لنا مِن مجموعِ ما ذَكرنا أنّ الذين رووا حديثَ عائشة عن الزّهري ثلاثةٌ وهُم: عُقيلُ بن خالدٍ ويونسُ بن يزيدَ ومعمرُ بن راشد، إلاّ أنّ البخاريَّ ساقَ متنَ عُقيلٍ، ومُسلماً ساقَ متنَ يونسَ وأحال عليه متنَ معمرٍ وعُقيلٍ ، وكلاهُما قال: « فجثثتُ » بثاءين ، وقال يونسُ : « جئثتُ » بالهمزة.

و« يحزنك » بالحاءِ المهملةِ والنّونِ روايةُ معمرٍ وحدَهُ، وعُقيلٌ ويونسُ رَوَياهُ بالخاءِ المعجمةِ والياءِ.

وهؤلاءِ الثّلاثةُ أيضاً رووا عن الزّهري حديثَ جابرٍ، إلاّ أنّ حديثَ جابرٍ جاء في « الصّحيحين » أيضاً مِن رواية غير الزّهري مِن طريق يحيى بن أبي كثيرٍ، رواهُ عنه الإمامُ الأوزاعيُّ وعليُّ بن المبارك وحربُ بن شدّادٍ؛ ذكرَ البخاريُّ في تفسير سورة المُدَّثِّر مِن « صحيحه » روايةَ عليٍّ بن المبارك وحربِ بن شدّاد(٢).

وذكرَ في كتاب بدء الوحيِ روايةَ عُقيلٍ عن الزّهريّ، وأشارَ بعدَها إلى رواية يونسَ ومعمرٍ عنه(٣).

---

(١) صحيح مسلم ١٤٣/١ ، رقم : ٢٥٦ .
(٢) سوف يذكرُها المؤلِّفُ بعد هذا .
(٣) صحيح البخاري ٢٧/١ ، رقم : ٤ .

وأخرجَ في تفسير سورة المُدَّثِّر روايةَ معمرٍ وعُقيلٍ عن الزّهـريّ[١] ولم يَذكر روايةَ الأوزاعيّ عن يحيى، ولم يَذكر مسلمٌ روايـةَ حربِ بـن شـدّادٍ عنه وذكرَ روايةَ الأوزاعيّ وعليٍّ بن المبارك[٢].

قال مسلمٌ: ثنا زهيرُ بن حربٍ، ثنا الوليدُ بن مسلمٍ، حدّثني الأوزاعيُّ قال: سمعتُ يحيى يقولُ:

سألتُ أبـا سـلمةَ أيُّ القـرآنِ أُنـزل قبـلُ؟ قـال: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾**، فقلتُ: أو **﴿اقْرَأْ﴾**؟ قال جابرٌ: أُحدِّثُكـم مـا حدّثنـا رسـولُ الله ﷺ قـال: جاورتُ بحـراءٍ شـهراً، فلمّـا قضيـتُ جِـواري نزلـتُ فاسـتبطنتُ الـوادي، فنودِيتُ فنظرتُ أمامي وخَلفي، وعن يميني وعن شمالي، فلـم أر أحـداً، ثـمّ نُوديتُ فنظرتُ فلم أرَ أحداً، ثمّ نُوديتُ فرفعتُ رأسي فإذا هو على العرشِ في الهواءِ - يعني جبريل ﷺ - فأخذتني رَجْفَةٌ شديدةٌ، فأتيتُ خديجةَ فقلـتُ: دَثِّروني، فدَثَّروني وصَبُّوا عليّ ماءً، فأنزلَ الله عزّ وجلّ: **﴿يَـا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾**[٣].

حدّثنا محمّدُ بن مُثنّى، ثنا عثمانُ بن عمر، أخنا عليُّ بن المبارك، عـن يحيى بن أبي كثيرٍ بهذا الإسنادِ قـال: « فـإذا هـو جـالسٌ علـى عـرشٍ بـين السّماءِ والأرضِ »[٤].

---

(١) سوف يذكرُها المؤلِّفُ.

(٢) رواية مسلم من طريق الأوزاعي الآتية بعد هذا.

(٣) صحيح مسلم ١/١٤٤، رقم: ٢٥٧.

(٤) صحيح مسلم رقم: ٢٥٨.

وقال البخاريُّ: ثنا يحيى، ثنا وكيع، عن عليّ بن المبارك، عن يحيى ابن أبي كثير فذكرهُ بنحوه وقال: « فرفعتُ رأسي فرأيتُ شيئاً، فأتيتُ خديجةَ فقلتُ: دَثِّرُوني وصُبُّوا عليّ ماءً بارداً، فدَثَّرُوني وصَبَّوا عليّ ماءً بارداً »[١].

حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، ثنا عبدُ الرّحمن بن مهدي وغيرُه قالا: حدّثنا حربُ بن شدّاد، عن يحيى بن أبي كثيرٍ فذكره[٢].

حدّثنا إسحاقُ بن منصورٍ، ثنا عبدُ الصّمد، ثنا حربٌ، ثنا يحيى فذكره، وقال في الموضعين[٣]: فقلتُ: أُنبئت أنّه ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[٤].

حدّثني عبدُ الله بن محمّد، ثنا عبدُ الرّزّاق، أخنا معمر[٥].

ح[٦] وحدّثنا عبدُ الله بن يوسف التّنّيسيّ، ثنا اللّيثُ، عن عُقيلٍ[٧].

كلاهُما[٨] عن الزُّهريّ قال: وأخبرني أبو سلمةَ، عن جابرٍ فذكر الحديثَ بنحو ما تقدّم.

---

(١) صحيح البخاري ٨/٦٧٦ - ٦٧٧، رقم: ٤٩٢٢.

(٢) صحيح البخاري ٨/٦٧٧، رقم: ٤٩٢٣.

(٣) الأوّل: الذي من طريق عليّ بن المبارك لكن فيه: « قلتُ: يقولون: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ». والثّاني: هذا الذي ذكره هنا.

(٤) صحيح البخاري ٨/٦٧٧ - ٦٧٨، رقم: ٤٩٢٤.

(٥) ؟

(٦) علامة تحويل الإسناد، وهي غيرُ مثبتةٍ في م.

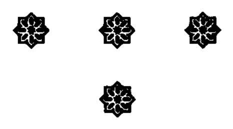
(٧) صحيح البخاري ٨/٦٧٩، رقم: ٤٩٢٦.

قلتُ :

هذا حديثٌ صحيحٌ متّفقٌ عليه مِن حديث الزُّهري ويحيى بن أبي كثيرٍ - أعني حديثَ جابرٍ - .

وأمّا حديثُ عائشة الذي تقدّم فصحيحٌ أيضاً متّفقٌ عليه مِن حديث الزّهريّ وحدَه، وقد جمعتُ هنا طرقَهما المخرَّجةَ في « الصّحيحين »، وسنتكلّمُ على رجالهما على طريق الاختصار بعد الفراغِ مِن شرح متنِهما.

ونحنُ بعونِ الله وتوفيقِه نُوردُ في شرح هاذين الحديثَين مِن كلام أهل العلم وما يفتحُه الله تعالى على منهج أهلِ الحديث وأربابِ اللّغة وأئمّةِ الفقه والأصول، ونوضحهما بطرقٍ أُخَر لهما مخرّجةٍ في غير « الصّحيحين »، ونأتي بكلِّ شيءٍ في موضعِه إن شاء الله تعالى، ونشرحُ ألفاظَ الحديثين مُفردةً ومُركّبةً شيئاً بعد شيءٍ.



(٨) أي معمر وعقيل .

فَصْلٌ

فأوّلُ ذلك قولُ عائشة رضي الله عنها: « أوّل ما بُدىءَ به رسولُ الله ﷺ مِن الوحيِ الرّؤيا » .

قال القاضي أبو الفضل عياضُ بن موسى :

« في هذا حكمةٌ مِن الله تعالى وتدريجٌ لنبيِّه ﷺ لما أرادَه الله به جلّ اسمُه؛ لئلاّ يفجأَهُ المَلَكُ ويأتيه صريحُ النّبوّةِ بغتةً فلا تحتملها قوى البشريّة، فبدأ أمرَه بأوائل خصالِ النّبوّة وتباشيرِ الكرامة، مِن صدقِ الرُّؤيا، وما جاءَ في الحديث الآخر مِن رؤيةِ الضّوء وسماعِ الصّوت[1]، وسلامِ الحجر والشّجر[2] عليه بالنّبوّة، حتّى استشعرَ عظيمَ ما يُراد به، واستعدَّ لما يَنتظرُه، فلم يأتِه الملكُ إلاّ لأمرٍ عنده مُقدّماتُه وبِشاراتُه.

وفيه أنّ الرُّؤيا الصّادقةَ أحدُ خصالِ النّبوّةِ وجزءٌ منها وأوّلُ منازلِ الوحيِ، وأنّ رُؤيا الأنبياءِ وحيٌ وحقٌّ صدقٍ، لا أضغاثَ فيها ولا تخييلَ ولا سبيلَ للشّيطانِ إليها.

---

(١) يشيرُ القاضي عياض إلى ما أخرجه مسلم ٤/٨٢٧، رقم: ١٢٣، عن ابن عبّاسٍ قال: « أقام رسول الله ﷺ بمكّة خمس عشرة سنةً، يسمعُ الصّوت ويرى الضّوءَ سبعَ سنين ولا يرى شيئاً، وثمانَ سنين يُوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً ».

(٢) يأتي ذِكْرُ ذلك عند المؤلّف ص ٧٨ ، ١١٠ .

وقال أبو عبدِ الله القَزّازُ[١]: قولُه: « مِن الوحي » « مِنْ »[٢] هنا لإبانةِ الجنسِ كأنّه قال: مِن جنس الوحي وليست مِن الوحي فتكون « مِن » للتّبعيض؛ ولذلك قالت: « في النّوم » فقرنتها بالنّوم لئلاّ تكون من رؤية الملكِ في اليقظةِ، ونحنُ نقولُ: إنّ رؤيا الأنبياء في الصّحّةِ كالوحيِ[٣].

قال القاضي : قد جاءَ في حديثٍ آخرَ: « إنّها جزءٌ مِن أجزاء النّبوّة »[٤]، وقد بيّنّا أنّها مِن جملة خصالِها؛ فالوحيُ أنواعٌ وضروبٌ وينطلقُ على معانٍ، فلا يبعدُ أن تكون « من » للتّبعيض على هذا، وأصلُه الإعلامُ، ورُؤيا المنامِ إعلامٌ وإنذارٌ وبِشارةٌ »[٥].

قلتُ :

أصلُ الوحيِ في اللّغةِ إعلامٌ[٦] بسرعةٍ في خَفاءٍ؛ فتارةً مباشرةً، وتارةً بإرسالٍ، وتارةً بإلهامٍ، وقد جمعَ الثّلاثةَ قولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ

---

(١) إمام الأدب أبو عبد الله محمّد بن جعفر التّميميُّ القيروانيُّ النّحويُّ، توفّي سنة ٤١٢هـ، انظر السّير ١٧/٣٢٦ - ٣٢٧.

(٢) من : ساقطة من م .

(٣) قول ابن القزّاز : إنّ « مِنْ » هنا بيانية لا تبعيضية ذكره أيضاً ابنُ حجر في فتح الباري ١/٢٣. ومعنى كلام القزّاز أنّ رؤيا الأنبياء ليست من الوحي وإن كانت كالوحي في الصّحّة، وهذا مرجوحٌ، وكونُ « مِنْ » للتّبعيض أقوى قاله د. الحسن بن محمّد شوّاط في حاشية إكمال المعلم ص ٦٢٠.

(٤) يأتي تخريجُ ذلك قريباً .

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض - تحقيق د. يحيى إسماعيل ١/٤٧٩ - ٤٨٠.

(٦) في م : الإعلام .

﴿يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً﴾[١]، يعني الإلهام أو في المَنام، ثمّ قال: ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كما كلّم موسى ﷺ ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ الآية، فحيثُ استُعمل الوحيُ فهو بهذا المعنى نحو: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾[٢]، ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوَارِيِّينَ﴾[٣]، ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[٤]، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[٥]، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾[٦]؛ وكذلك أُطلق على الإشارة في نحو ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾[٧].

وقال بعضُ العلماءِ: الوحيُ قذفٌ في القلوبِ، وكأنّ القرآنَ سُمِّيَ وحياً لأنّ الملكَ كان يُفَهِّمُه النّبيَّ ﷺ ولا يَفهمُه[٨] عنه سواهُ، كما سَمّوا ضربَ الأمثالِ وحياً مِن جهة اللّفظِ، وذلك أن يَضرب الرّجلُ لأخيه[٩] مَثَلاً فيعرف به أمراً بينهما ولا يفهمه سواه، وكلُّ مَن أشار إلى معنىً مِن غير إفصاحٍ قبله بذلك المراد فقد أَوحى.

(١) الشّورى : الآية ٥١ .
(٢) القصص : الآية ٧ .
(٣) المائدة : الآية ١١١ .
(٤) النّحل : الآية ٦٨ .
(٥) الزّلزلة : الآية ٥ .
(٦) الأنعام : الآية ١٢١ .
(٧) مريم : الآية ١١ .
(٨) في م : ولا يفهمُ .
(٩) في م : لصاحبه .

قلتُ : يُقال : أوحى ووَحى لغتانِ مثل: أَوْمَى ووَمَى بمعناه، وأصلُه: أَوْمَأَ وَوَمَأَ بالهمز، وإنّما بعضُهم خفّف همزَه، حَكى ذلك الهرويُّ[1]، وأجودُ اللّغتين: أوحى وأومأ بالألف، فأوحى: هي المشهورةُ المستعملةُ في القرآنِ والكلامِ الفصيحِ، وإن كان استعمالُ مصدرِها قليلاً، والوحيُ مصدرُ وحى وإن كان استعمالُ فعلِه قليلاً، وأنشد فيه قول العَجّاج:

❁ وحَى لها القرارَ فاستقرّتِ[2] ❁

أي أمرَ الأرضَ بالقَرارِ .

وأنشدَ الجوهريُّ :

❁ لِقَدَرٍ كانَ وَحَاهُ الواحِي[3] ❁

قال[4]: « والوحيُ أيضاً الإشارةُ، والكتابةُ، والرّسالةُ، والإلهامُ، والكلامُ الخَفِيُّ، وكلُّ ما ألقيتَهُ إلى غيرِك، يقال: وحيتُ إليه الكلامَ وأوحيتُ وهو أن يُكلِّمَهُ بكلامٍ يُخفيه »[5].

---

(١) الغريبين ١٩٧٩/٦ ـ تحقيق المزيدي .

(٢) ديوان العجّاج ـ رواية الأصمعي ٤٠٨/١ ونصُّه :

الحمدُ لله الذي استقَلّتِ بإذنه السّماءُ واطمأنّتِ

بإذنه الأرضُ وما تعنّتِ وَحَى لها القَرارَ فاستقرّتِ

وانظر تهذيب اللّغة ٢٩٦/٥، والصّحاح ٢٥٢٠/٦، واللّسان ٣٨٠/١٥.

(٣) البيت للعجّاج ، ونصُّه كما في ديوانه ١٤٨/٢ :

لقد نَحَاهُمْ جَدُّنا والنّاحي لِقَدَرٍ كان وحاهُ الواحي

(٤) أي الجوهري .

(٥) صحاح الجوهري ٢٥٢٠/٦ .

وأنشدَ غيرُه :

وَحَى للطّيرِ فارتفعتْ وخَلاّ   طريقَ الرّيحِ وابتعثَ السَّفينَا

قلتُ : ومِن هذه اللّغةِ مجيءُ اسمِ الفاعلِ على واحٍ كبيت العَروضِ:

ما هيّجَ الشَّوقُ مِن أطلالِ   أضحتْ خَلاءً كوحي الواحِي

وقال الفرّاء : « أهلُ الحجازِ يقولون: أوحيتُ، وأسدٌ وحيتُ ».

وكان جُؤيَّةُ بن أبي إياسٍ أحدُ بني نصر بن معاوية يقرأُ: ﴿قُلْ أُحِيَ إِلَيَّ﴾[١] يريدُ: وُحِيَ بضمِّ الواو لا لانضمامِها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[٢].

قلتُ :

ثمّ قد أُطلق الوحيُ على المُوحَى قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٣]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالوَحْيِ﴾[٤]، وفي « الصّحيح »[٥] عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ قال :

« وإنّما كانَ الذي أُوتيتُه وحيٌ أوحاهُ الله إليّ » ــ يعني القرآن ــ، وهذا كما أُطلق العلمُ على المعلومِ والقدرةُ على المقدورِ.

---

(١) الجنّ : الآية ١ . بإبدال واو « وحي » همزةً، وانظر إعراب القرآن ٣/٥٢٠ للنّحّاس، والمحتسب ٢/٣٣١ لابن جنّي، وتهذيب اللّغة ٥/٢٩٧ للأزهري.

(٢) المرسلات : الآية ١١ .

(٣) النّجم : الآية ٤ .

(٤) الأنبياء : الآية ٤٥ .

(٥) صحيح البخاري ٩/٣، رقم: ٤٩٨١، ومسلم ١/١٣٤، رقم: ٢٣٩.

ولمّا كانت المعالمُ والمعارفُ التي وصلت إلى رسول ا لله ﷺ من جهة ربِّه عزّ وجلّ مختلفةَ الطُّرقِ والأسبابِ على ما نبيِّنُه أخبرت عائشةُ رضي ا لله عنها عن أوّل سببٍ وطريقٍ حصلَ له منها وكيف كان ابتداءُ ذلك.

وقد جمع الحافظُ أبو القاسم السُّهيليّ تلك الطُّرقَ وحصرَها في سبعِ صُوَرٍ[١]، وتكلّم الفقيهُ أبو عبد ا لله الحَليميّ على بعضِها[٢].

فمنها النّومُ كما في حديث عائشة هذا، وكقول إبراهيم خليلِ ا لله لابنِه ذبيحِ ا لله صلّى ا للهُ عليهما: ﴿**إنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾[٣]، فدلّ على أنّ الوحيَ كان يأتيهم في النّوم كما يأتيهم في اليقظة، وفي « صحيح البخاري »[٤] عن عبيد بن عمير قال: « رؤيا الأنبياءِ وحيٌ، وقرأ هذه الآية ».

ومنها أن ينفث في روعِه الكلامَ نفثاً كما قال ﷺ: « إنّ رُوحَ القدسِ نفثَ في رُوعِي: إنّ نفساً لن تموتَ حتّى تستكملَ رزقَها وأجلَها؛ فاتّقوا ا لله وأجملوا في الطّلب »[٥].

---

(١) في الرّوض الأنف ١/٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢) في المنهاج في شعب الإيمان ١/٢٣٩ - ٢٤٠.

(٣) الصّافّات: الآية ١٠٢.

(٤) صحيح البخاري ١/٢٣٨ - ٢٣٩، رقم: ١٣٨.

(٥) أخرجه أبو عبيدٍ في غريب الحديث ١/٢٩٨، ومن طريقه القضاعيُّ في مسند الشّهاب ٢/١٨٥، من طريق زبيد اليامي، عمّن أخبره عن عبد ا لله بن مسعودٍ به، وفيه الرّجلُ المبهمُ الذي لم يُسمّ، غير أنّ الحديث له شواهد كثيرة منها عن جابر عند ابن ماجه =

قال أبو عُبيدٍ: « النّفثُ بالفمِ شبيهٌ بالنّفخِ، فأمّا التّفلُ فلا يكونُ إلاّ ومعهُ شيءٌ مِن الرِّيقِ، ومعناه: أوحَى إليّ، والرُّوعُ بضمِّ الرّاءِ أي في خلدي ونفسي »[1].

قال الحليميُّ: « وهذا هو الوحيُ الذي يخصُّ القلبَ دون السّمعِ، وحُمل على ذلك قولُه تعالى: ﴿**إذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الذِينَ آمَنُوا**﴾[2] ».

قال[3] : « وذلك ـ والله أعلمُ ـ أن ينفثَ المَلَكُ في رُوعِ المؤمنِ الإطماعَ في الظَّفَرِ بالعدوِّ، والتّرغيبَ في الثّواب والأجر، والاستنكافَ مِن الفرار[4]، فيحملُه ما يجدُه في قلبِه مِن هذه المعاني على الثّباتِ »[5].

ومنها أن يَأتيه الوحيُ في مثل صلصلة الجرسِ وهو أشدُّه عليه كما أخبر ﷺ عن ذلك في حديثٍ صحيحٍ سيأتي.

وقيل : إنّ ذلك كان ليستجمع قلبه عند تلك الصّلصلةِ فيكون أوعى لما يَسمعُ، وألقنَ لما يُلقى عليه .

٢/٧٢٥، رقم: ٢١٤٤، وعمران بن الحصين عند عبد الرّزّاق ١١/١٢٥، وأبي أمامة عند أبي نعيم في الحلية ١٠/٢٧، وانظر تخريج أحاديث مشكلة الفقر للألباني رقم : ١٥.

(١) غريب الحديث ١/٢٩٨ لأبي عبيدٍ .

(٢) الأنفال : الآية ١٢ .

(٣) أي الحليمي .

(٤) الاستنكاف من الفرار : تحرّفت في منهاج الحليمي إلى : الاتّكال من القرار !

(٥) المنهاج في شعب الإيمان ١/٢٤٠ للحليمي .

ومنها أن يتمثّل له المَلَكُ رجلاً وقد كان يأتيه في صورة دِحية الكلبيّ رضي الله عنه، ورآه كذلك جماعةٌ مِن الصّحابةِ على ما نقلناه في « شرحِ ذاتِ الدُّرَر »[(١)]، ففي أوّل « صحيح البخاريّ »[(٢)] مُقَدَّماً على هذا الحديثِ المُعتنى بشرحِه في هذا الكتاب عن عائشة أيضا :

« أنّ الحارثَ بن هشام سألَ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، كيف يأتيكَ الوحيُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: أحياناً يَأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّه عليّ، فيُفصَمُ عنّي وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يَتمثّلُ لي المَلَكُ (رجلاً)[(٣)] فيُكلّمني فأعي ما يقول، قالت عائشةُ: ولقد رأيتُه يَنزلُ عليه الوحيُ في اليومِ الشّديدِ البَرْدِ فيفصمُ عنه وإنّ جَبينَه ليتفصّدُ عَرَقاً ».

قلتُ : وهذا العَرَقُ الذي كان يغشاهُ ﷺ كما في هذا الحديثِ، واحمرارُ الوجهِ والغطيطُ المذكورانِ في حديث يَعلى بن أميّة[(٤)]، وثقلُه على الرّاحلةِ وعلى فخذِ زيد بن ثابتٍ كما وردَ في حديثين آخرين[(٥)]، إنّما

---

(١) انفرد المؤلّف بذكر هذا الكتاب هنا .

(٢) صحيح البخاري ١/١٨، رقم : ٢، ومسلم ٤/١٨١٦ - ١٨١٧، رقم: ٨٧.

(٣) من م .

(٤) يأتي تخريجُ ذلك قريباً .

(٥) أمّا ثقلُه على فخذ زيدٍ فما أخرجه البخاريُّ ٨/٢٥٩، رقم: ٤٥٩٢، من حديث زيد ثابتٍ وفيه: « فأنزل الله على رسوله ﷺ ، وفخذُه على فخذه، فثقُلتْ عَلَيَّ حتّى خفتُ أن ترضَّ فخذي ... ».

كانت لِثِقَلِ الوحي عليه كما أخبره سبحانه في ابتداءِ أمرِه بقوله: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾[١]، وذلك لضعف القوّة البشريّة عن تحمّل مثل ذلك الواردِ العظيمِ مِن ذلك الجَنابِ الجليل، وللوجلِ مِن توقُّعِ تقصيرٍ فيما يُخاطَبُ به مِن قولٍ أو فعلٍ.

قال ابنُ إسحاق: « وللنّبوّة أثقالٌ ومُؤْنَةٌ لا يحملُها ولا يستطيعُ لها إلاّ أهلُ القوّةِ والعزمِ مِن الرّسل بعونِ الله عزّ وجلّ »[٢].

ويفصم : أي يُقلَعُ، مِنْ تفصّمَ[٣] المطرُ أي أقلعَ، وأفصمتْ عنه الحُمّى، وأفصمَ الفَحْلُ عن الضِّرابِ أي كفَّ[٤].

وحكى ابنُ بطّال[٥] عن صاحب « الأفعال » : « فصمَ الشّيءُ عنه[٦] ذهبَ »[٧] ، قال[٨]: « فيُقال منه: فَعَلَ وأَفْعَلَ »[٩] .

---

(١) المزمّل : الآية ٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٤٠ .

(٣) في م : أفصمَ .

(٤) انظر أعلام الحديث ١/١٢٠ ـ ١٢١، وتهذيب اللّغة ١٢/٢١٣، ومشارق الأنوار ٢/١٦٠، فتح الباري ١/٢٠ ـ ٢١.

(٥) العلاّمة أبو الحسن عليُّ بن خلف بن بطّال القرطبيّ شارح صحيح البخاري، توفّي سنة ٤٤٩هـ، انظر سير أعلام النّبلاء ١٨/٤٧ ـ ٤٨.

(٦) في شرح صحيح البخاري لابن بطّال : عنك .

(٧) في الأفعال ٢/٤٥٣ ـ ٤٥٤ لابن القطّاع : « فصمت الشّيء صدعتُه، والشّيءُ عنك : ذهب، والعقدةَ : حللتها، وأفصم المطرُ : أقلعَ ».

(٨) أي ابن بطّالٍ .

(٩) شرح صحيح البخاري لابن بطّال ١/ل ٤ ب بإيجازٍ .

ويتفصّدُ : أي يسيلُ سَيَلانَ الدّمِ مِن الفِصادِ[١].

ومنها أن يَظهرَ له المَلَكُ في الصُّورة التي خلقهُ الله تعالى فيها له ستّمائة جَناحٍ، رآه النّبيُّ ﷺ كذلك مرّتين على ما أخبر الله تعالى به في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ﴾[٢]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى﴾[٣]، وقد أوضحتُ ذلك بتوفيق الله عزّ وجلّ في « شرح الشّقراطيسية »[٤].

وفي « الصّحيح » « أنّ عائشة سألتْ النّبيَّ ﷺ عن هاتين الآيتين؟ فقال: هو جبريلُ لم أرَهُ على صُورتِه التي خُلق عليها غيرَ هاتين المرّتين، رأيتهُ منهبطاً مِن السّماء سادّاً عِظَمُ خَلْقِه ما بين السّماء إلى الأرضِ »[٥] .

---

(١) قال الحافظ في فتح الباري ٢١/١: « قوله: ليتفصّدُ بالفاء وتشديد المهملة مأخوذٌ من الفصد وهو قطعُ العِرْقِ لإسالة الدّم، شبّه جبينه بالعِرْقِ المفصود مبالغةً في كثرة العَرَقِ ». وانظر شرح صحيح البخاري لابن بطّال ١/ل ٤ ب.

(٢) التّكوير : الآية ٢٣ .

(٣) النّجم : الآية ١٤ .

(٤) سمّاهُ المؤلّفُ في كتابه نور المسرى في تفسير آية الإسرا ص ١٣٠: « المقاصد السّنيّة في شرح القصائد النّبويّة »، واختصر التّسميّةَ في الذّيل على الرّوضتين ص ٣٩ فقال: « شرح القصائد النّبويّة ». والكتابُ شرحٌ على قصيدةٍ لاميّةٍ في السّيرة النّبويّة نظمها محمّدُ بن يحيى بن عليّ الشّقراطيسيّ المتوفّى سنة ٤٦٦هـ، انظر كشف الظّنون ص ١٣٣٩. ويذكرُ المؤلّفُ في الذّيل أنّ هذا الكتاب هو أوّل ما أظهر من مصنّفاته. ومن كتاب أبي شامة نسخةٌ في دار الكتب المصريّة كما في فهرس فؤاد السّيّد ٥٦/٢ ومعجم ما ألّف عن رسول الله ﷺ ص ٣٤٠ للمنجّد، ونسخةٌ في مكتبة باريس أوّل رقم: ٣١٤٢/٢ كما في مقدّمة تحقيق كتاب الباعث ص ١٨. وقد أخبرني الأخُ البحّاثةُ عبدُ اللّطيف الجيلاني أنّ الكتاب حُقّق بالمغرب في رسالةٍ علميّةٍ.

(٥) صحيح البخاري ٦٠٦/٨، رقم: ١، ومسلم ١٥٩/١، رقم: ٢٨٧، واللّفظُ لمسلمٍ.

ومنها أن يُكلِّمه الله تعالى مِن وراءِ حجابٍ، وذلك على ضربين :

أحدُهما : في اليقظة وهو أعلى درجاتِ الوحي، كما كلّمهُ في ليلة الإسراء قال ﷺ: « فأَوْحى إليّ ما أُوحى، ففَرض عليّ خمسينَ صلاةً »[(١)].

فقيل : كان ذلك بلا واسطةٍ، وقيل: بواسطةٍ، وأمّا موسى عليه السلام فقد اختصّ بتكليمِ اللهِ إيّاه بلا واسطةٍ.

والثّاني : أن يُكلِّمه في النّوم كما في حديث معاذٍ الذي خرّجه التّرمذيُّ[(٢)] قال: « أتاني ربّي في أحسنِ صُورةٍ فقال: فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟ فقلتُ: لا أدري، فوضع كفَّه بين كتفي فوجدتُ بَرْدَها بين ثندوتيّ[(٣)]، وتجلّى لي علمُ كلِّ شيءٍ ».

هذه الوجوهُ السّتّةُ مِن كيفيّة الوحيِ إلى النّبيّ ﷺ ذكرها السّهيليُّ[(٤)] وزدتُها أنا بياناً وإيضاحاً[(٥)].

ثمّ ذكرَ وجهاً آخرَ وجعله سابعاً فقال: « قد بيّنّا الطُّرقَ الصّحاحَ عن عامر الشّعبيّ أنّ رسول الله ﷺ وُكِلَ به إسرافيلُ عليه السلام، فكان

---

(١) جزءٌ من حديث الإسراء أخرجه البخاري ٤٧٨/١٣، رقم: ٧٥١٧، ومسلم ١٤٦/١، رقم: ٢٥٩، واللّفظُ له، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) جامع التّرمذي ـ ط شاكر ٣٤٢/٥ ـ ٣٤٣، رقم: ٣٢٣٤ من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما. وصحّحه العلاّمةُ الألبانيُّ في صحيح التّرمذي ٩٨/٣.

(٣) في حاشية الأصل : الثّندوتان للرّجل بضمّ الثّاء والهمز، وبفتحها بلا همزٍ، بمنزلة الثّديين للمرأة، ذكره الهرويُّ وغيرُه.

(٤) في الرّوض الأنف ٢٦٩/١ ـ ٢٧٠ .

(٥) في م : إيضاحاً وبياناً .

يَتراءى له ثلاثَ سنين، ويأتيه بالكلمةِ مِن الوحيِ، ثمّ وُكل به جبريلُ عليه السلام فجاءهُ بالقرآن والوحي[١] »[٢].

قلتُ :

لا ينبغي أن تُعَدَّ هذه حالةً سابعةً باعتبار اختلاف ما بين جبريل وإسرافيل عليهما السّلام؛ لأنّ كلاهما مَلَكٌ جاءه بالوحيِ مِن الله تعالى، على أنّ هذه روايةٌ مرسلةٌ، وحديثُ عائشةَ لا يُنافيها فإنّه يجوزُ أن يكون أوّل أمره[٣] الرُّؤيا، ثمّ وُكِلَ به إسرافيلُ في تلك المُدّة التي كان يخلو فيها بحِراء، فكان يُلقي إليه الكلمةَ بسرعةٍ ولا يُقيم معه تدريجاً له وتمريناً وتدريباً، إلى أن جاءه جبريلُ فعلّمه بعدما غطّه ثلاثَ مرّاتٍ، فحكت عائشةُ ما جَرى له مع جبريل و لم تحكِ ما جَرى له مع إسرافيلَ اختصاراً للحديث، أو لم تكن وقفتْ على قصّة إسرافيلَ، فما كلُّ ما جَرى للنّبيّ ﷺ مِن الآياتِ والعجائبِ قبل البعثة وبعدها روته عائشةُ رضي الله عنها، وقد

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في العلل ومعرفة الرّجال ٣٣٧/٢، وفي تاريخه ـ كما في الفتح ٢٧/١ ـ، وابنُ سعد في الطّبقات ١٩١/١، وابن عبد البرّ في الاستيعاب ٣٦/١، والطّبريّ في تاريخه ٥٧٣/١، من طريقين عن الشّعبي قال: فذكره. وهذا مرسلٌ؛ غير أنّ الإسناد إلى الشّعبي صحيح كما قال ابنُ كثيرٍ في البداية ٤/٣، ونقل ابنُ كثيرٍ عن أبي شامة أنّ مجيء إسرافيل كان تمهيداً وتدريجاً لمجيء جبريل، وواضحٌ أنّ هذا النّقل هو من هذا الكتاب، ثمّ إنّ المؤلّفَ سيُورد لهذا الحديث ص ١٧٩ إسناداً آخر من طريق أحمد بن حنبل، عن محمّد بن أبي عديّ، عن داود، عن عامر به.

(٢) الرّوض الأنف ٢٦٩/١ .

(٣) في م : مرّة .

كان النّبيُّ ﷺ يَرى عجائبَ قبل بعثتِه؛ فمن ذلك ما في « صحيح مسلمٍ »[١] مِن حديث جابر بن سَمُرَةَ قال: قال النّبي ﷺ: « إنّي لأعرفُ حَجَراً كان يُسلِّمُ عليّ قبلَ أن أُبعثَ، إنّي لأعرفُه الآنَ ».

ووقعَ في « سير ابن إسحاق » عن عبيد بن عمير أنّ النّبيَّ ﷺ قال: « فجاءني جبريلُ وأنا نائمٌ بنَمَطٍ مِن ديباجٍ فيه كتابٌ، فقال: اقرأْ، قلتُ: ما أقرأُ، فغَتَّني حتّى ظننتُ أنّه الموتُ »، فذكر نحوَ حديثِ عائشة[٢].

وليس في حديث عائشةَ أنّ ذلك كان في النّوم، وليس فيه ما يُنافيه، ويُجمع بين الحديثين مِن وجهٍ حسنٍ قالهُ السُّهيليُّ وهو أن يكون النّبيُّ ﷺ رأى جبريلَ[٣] في المنامِ قبل أن يأتيه في اليقظةِ توطئةً وتيسيراً عليه ورفقاً به؛ لأنّ أمرَ النّبوّةِ عظيمٌ، وعِبْأَها ثقيلٌ والبشرُ ضعيفٌ[٤]، وهذا كما ذكرهُ في حديث الإسراء واختارَه ثَمَّ جماعةٌ مِن العلماء[٥]، وفي حديث عائشةَ ما كأنّه يُرشد إلى ذلك إذ أخبرتْ أنّه ﷺ كان لا يَرى رؤيا إلاّ جاءتْ مثلَ فلقِ الصُّبحِ، تريدُ في صحّتِها وظهورِها، فكانت رؤيتُه جبريلَ عليهما السّلام في النّوم مِن ذلك لمّا رآه مناماً رآه يقظةً واللهُ أعلم.

---

(١) صحيح مسلم ١٧٨٢/٤ ، رقم : ٢ .

(٢) أخرجه ابنُ إسحاق ـ كما في سيرة ابن هشام ٢٣٦/١ ـ، ومن طريقه الطبريُّ في تاريخه ٣٠٠/٢ ـ ٣٠١ قال ابن إسحاق: حدّثني وهبُ بن كيسان قال: قال عبيدٌ: فذكره. وعبيدٌ هو ابن عمير بن قتادة اللّيثي مختلفٌ في صحبته انظر الإصابة ٧٩/٥.

(٣) في م : جاءه جبريلُ .

(٤) الرّوض الأنف ٢٦٨/١ ـ ٢٦٩ .

(٥) المصدر نفسه ١٤٩/٢ ـ ١٥٠ .

فإن قلتَ : هذه التّوطئةُ هل فُعِلَتْ مع غير نبيّنا صلّى الله عليهم أجمعين ؟

قلتُ : لم يبلغني بعدُ في ذلك شيءٌ، والأمرُ محتملٌ، فيجوزُ أن تكونَ فُعِلَتْ مع كلٍّ واحدٍ منهم أو مع بعضِهم، ويجوزُ أن يكون ذلك مِن خصائص محمّدٍ ﷺ عنايةً من ربِّه به، وزيادةً في إكرامِه، وتفضيلاً له على غيرِه، وإظهاراً لعلوِّ منزلتِه عنده وشرفِ محلِّه، كما عُرف ذلك منه به في غير ذلك، والله أعلم.

ثمّ إنّي وجدتُ في « كتاب دلائل النّبوة » للحافظ أبي نعيمٍ أحمد بن عبد الله الأصبهاني: ثنا محمّدُ بن أحمد بن الحسن، ثنا محمّدُ بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا منجاب بن الحارث، ثنا عبدُ الله بن الأجلح، عن إبراهيم، عن علقمة بن قيس قال: « إنّ أوّلَ ما يُؤتى به الأنبياءُ في المنامِ حتّى تهدأَ قلوبُهم، ثمّ ينزل الوحيُ بعدُ »[١].

وقد ذكرَ الحليميُّ مِن وجوه الوحي أمراً آخر فقال : « ومنها أن يُلهم الله عزّ وجلّ أحداً - يعني من الأنبياءِ - بلا كلامٍ[٢] يسمعُه عِلْمَ[٣] شيءٍ فيجدُه في نفسِه مِن غير توصُّلٍ تقدّم منه إليه[٤] بخبرٍ أو استدلالٍ ».

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النّبوّة بإسنادٍ حسن عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعودٍ، قاله الحافظُ ابنُ حجر في فتح الباري ٩/١، وحسّنه أيضاً الحافظُ ابن كثيرٍ في البداية ٥/٣.

(٢) بلا كلام : تحرّفت في منهاج الحليمي إلى : بالكلام ، فانقلب المعنى !

(٣) علم : تحرّفت في منهاج الحليمي إلى : على .

(٤) غير مثبتة في م .

ثمّ قال : « ومنها أن يُؤمرَ المَلَكُ فينفثَ[١] في رُوعِه »[٢].

قلتُ : فجعلهما قسمين و لم يُمثِّل القسمَ الأوّلَ ، فا للهُ أعلمُ.

وقال : « قد رُوي في قول ا لله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾[٣] أنّ ا لله تعالى إذا تكلّم بالوحي سمعَ أهلُ السّمواتِ مثلَ صوتِ السّلسلة على الصّفوان ففزعوا[٤] »[٥].

قال: « فالنّبيُّ ﷺ إذا أُوحي إليه بصوتٍ مثل صلصلة الجرس كان تشبيهاً بالوحيِ الذي يُوحى إلى الملائكة، فيشبه ـ وا للهُ أعلمُ ـ أنّه في تلك[٦] الحالِ كان يُكرَمُ بإدنائِه مِن طباع الملائكةِ، وتمثيلِه من بعض الوجوه بهم، كما كان المَلَكُ في بعض الأحوالِ يُمَثَّلُ رجلاً لتكليمِه ومخاطبتِه »[٧].

قال : « ومنها أن يَسمع النّبيُّ ﷺ صوتاً ولا يَرى مُكَلِّماً، فيقع له العلمُ بما قيل له، ذكر وهبٌ في كتابِه أنّه كانت للأنبياءِ منازلُ؛ فمنهم مَن كان يسمع الصّوتَ فيفهمه[٨] »[٩].

---

(١) في م : أن ينفث .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان ١/٢٤٠ للحليمي .

(٣) سبإ : الآية ٢٣ .

(٤) أخرجه البخاري ٨/٥٣٧ ـ ٥٣٨، رقم : ٤٨٠٠ من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه.

(٥) المنهاج في شعب الإيمان ١/٢٤٤ .

(٦) في م : ذلك .

(٧) المنهاج في شعب الإيمان ١/٢٤٤ .

(٨) لا يخفى أنّ هذا من أمور الغيب يحتاجٍ إثباتُه إلى نقلٍ صحيحٍ، ووهبُ بن منبّه إنّما غزارةُ علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب كما قال الذّهبيُّ في السّير ٤/٥٤٥.

(٩) المصدر نفسه ١/٢٤٦ .

قال الإمامُ أبو بكر بن العربيّ - وهو شيخُ السّهيليّ - :

« كان الوحيُ يأتي رسولَ الله ﷺ على ثلاثة أنواعٍ :

أحدُها : كدويِّ النّحل[١] ، رواه عمرُ رضي الله عنه .

الثّاني : مثل صلصلة الجرس في شدّة الصّوتِ وهو أشدُّه.

وقد كان رجلٌ يأتيه فيكلّمه وهو أخفُّه[٢] ».

قال[٣] : « وإنّما كان الباريءُ عزّ وجلّ يقلّب عليه[٤] هـذه الأحـوالَ زيادةً في الاعتبار، وقُوّةً في الاستبصار »[٥].

❁ ❁ ❁

(١) إشارة إلى حديث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.قـال: « كـان النّبيّ ﷺ إذا أنـزل عليـه الوحيُ سمع عند وجهه كدويّ النّحـل ... » أخرجـه عبـدُ الـرّزّاق في المصنّـف ٣/٣٨٣، ومن طريقه التّرمذيُّ ٥/٣٢٦، رقم: ٣١٧٣، والنّسائيُّ في الكبرى ١/٤٥٠، والعقيليُّ في الضّعفاء ٤/٤٦٠، عن يونس بن سليم، عـن الزّهـري، عـن عـروة بـن الزّبـير، عـن عبـد الرّحمن بن عبد القاري، عن عمر به.

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ : « وأحيانا يتمثّلُ لي الملكُ رجلاً فيكلّمُني فأعي ما يقول »، وقد تقدّم تخريجُه ص ٧٣ .

(٣) أي أبو بكر بن العربي .

(٤) غير مثبتة في م .

(٥) القبس في شرح موطّأ مالك بن أنس ١/٤٠٣ لابن العربي .

فَصْلٌ

والرُّؤيا : مصدرٌ كالرُّجْعى والبُشْرى، وهي في الأغلبِ مختصّةٌ بما يُرى مناماً، ووُصفت الرُّؤيا بالصِّدْق[١] لتحقُّقِها وظهورِها على وفق ما رُئِيَ، وفي رواية عقيل « الرُّؤيا الصّالحة »[٢]، وهذا موافقٌ لما صحّ أيضاً مِن حديث نافعٍ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « الرُّؤيا الصّالحةُ جزءٌ مِن سبعين جُزءاً من النّبوّة »[٣]، وصحّ أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الرُّؤيا الصّالحةُ جزءٌ من ستّةٍ وأربعين جُزءاً من النّبوّة »[٤] أخرجهما مسلمٌ في « صحيحه ».

قال ابن عبد البرّ:

« يحتملُ أن تكونَ الرُّؤيا نوعاً مِن ستّةٍ وأربعين نوعاً مِن نزول الوحي؛ فإنّه ﷺ كان يأتيه الوحيُ على ضروبٍ ـ فذكر حديثَ عائشة

---

(١) في قول عائشة كما في رواية معمر ويونس عند البخاري في التّفسير رقم: ٤٩٥٣، ٤٩٥٦، ومسلم في الإيمان رقم: ٢٥٢، ٢٥٣: « الرّؤيا الصّادقة »، وانظر فتح الباري ١/٢٣، ١٢/٣٥٥.

(٢) التي عند البخاري رقم : ٣ .

(٣) صحيح مسلم ٤/١٧٧٤ ، رقم : ٨ .

(٤) صحيح مسلم ٤/١٧٧٥ ، رقم : ٩٠ .

وحديثَ الحارث بن هشام المتقدِّمَين[١] - قال -: وقد كان يتراءى له جبريلُ بين السّماء والأرض كالسَّحاب، وذلك بَيِّنٌ في حديث جابرٍ[٢]، وأحياناً يأتيه[٣] في صورة إنسانٍ فيكلّمه[٤]، وفي غيرِ ما حديثٍ أنّه كان إذا نزل عليه الوحيُ يَغِطُّ غَطيطَ البَكْرِ وينفخُ[٥]، إلى ضروبٍ وأنواعٍ لا أُحصيها »[٦].

قال أبو سلمةَ بنُ عبد الرّحمن : « لو كانت الرُّؤيا - يعني من النّبوّةِ — كحصاةٍ مِن عدد الحصى كان كثيراً »[٧].

وقولُها : « في النّومِ » :

متعلِّقٌ بالرُّؤيا، وهو تأكيدٌ إن قلنا: الرُّؤيا مختصّةٌ بما وقع مناماً، ومُبيِّنٌ إن قلنا : إنّها تُستعملُ أيضاً في غير المنامِ[٨] ، و قد سبقَ تقريرُ ذلك في « تفسير آية سبحان »[٩].

---

(١) أي ص ٥٧ - ٥٨ ، ٧٣ .

(٢) المتقدّمُ تخريجُه ص ٦٣ .

(٣) في م زيادة : جبريل .

(٤) كما في حديث الحارث بن هشام المتقدّم تخريجُه ص ٧٣ .

(٥) أخرجه البخاري ٦١٤/٣، رقم: ١٧٨٩، ومسلم ٨٣٦/٢، رقم: ٦، من حديث يعلى ابن أميّة وفيه: « فنظرتُ إليه له غطيطٌ - وأحسبُه قال: كغطيط البَكْرِ »، وعند مسلم ٨٣٧/٢، رقم: ٨: « فإذا النّبيّ ﷺ محمرُّ الوجه، يَغِطُّ ساعةً ».

(٦) التّمهيد ٢٨٣/١ - ٢٨٤ .

(٧) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٥١٣/٢، لكن من قول عمر بن عبد العزيز بعد أن حدّثه أبو سلمة بن عبد الرّحمن بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرّؤيا الصّالحة.

(٨) انظر فتح الباري ٢٣/١ .

(٩) يعني كتابه نور المسرى في تفسير آية الإسرا ص ١١٠ - ١١٢ .

ثمّ فسّرتْ ما كَنَّتْ عنه بذِكْرِ الصِّدق في الرُّؤيا بقولها: « فكانَ لا يَرى رُؤيا إلاّ جاءتْ مثلَ فلقِ الصُّبحِ » هكذا في رواية يونس عن الزّهري التي ذكر مسلمٌ متنَها « فكانَ » بالفاء، وفي رواية عقيلٍ عن الزّهريّ وهي التي أخرج البخاريُّ متنَها « وكان » بالواو[1]، وفائدةُ الواو أنّ عادتَه ﷺ في مناماتِه صلاحُها وصِدقُها، ولم يختصّ ذلك بما رآه قُبيل المبعث، ولمّا كانت المناماتُ مِن قِبَلِ الله تعالى ومِن ابتلائه بتمكين الشّياطين مِن التّهاويلِ فيها والتّخويفِ كان الفرقُ الفاصلُ بين ما جاء مِن عندِ الله منها وبين أضغاث الشّياطين صلاحُ الرُّؤيا وحُسنُها وصِدقُها.

ومِن وجوهِ الحكمةِ في بُداءَته بالمناماتِ الحسنةِ تدريجُه مِن رؤيةِ النّوم المعتادة إلى خطاب الملكِ له في اليقظة فذلك أسهلُ على النَّفْسِ وأبعدُ عن الفُتورِ .

قال ابنُ بطّالٍ :

« قال المهلّبُ : هي تباشيرُ النّبوّةِ وكيفيّةُ بدئِها؛ لأنّه لم يقع له فيها ضِغْثٌ فيتساوى مع النّاسِ في ذلك بل خُصَّ بصدقِها كلِّها »[2].

و « **فَلَقُ الصُّبح** » ضياؤُه إذا انفلقَ وتميّزَ عن ظُلْمَةِ اللّيلِ وظهرَ نُورُه وانبلجَ، يُقال: فَلَقُ الصُّبحِ وفَرَقُ الصُّبحِ باللاّمِ والرّاءِ المفتوحتين، وهذا الأمرُ أبينُ مِن فلقِ الصُّبحِ وفَرَقِ الصُّبحِ لُغتانِ صحيحتان فصيحتان

---

(١) الذي في البخاري أيضاً : « فكان » بالفاء، انظر مواطن تخريج البخاري للحديث ص٥٨ - ٥٩، فلعلّ ما ذكره أبو شامة وقع له في نسخته أو روايته.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطّال ١/ل ٢ ب .

ذكرَهُما أبو العبّاس ثعلب وغيرُه[١] هكذا مُضافين إلى الصّبح، وهذا إنّما يُقال في الشّيءِ الواضحِ البيِّنِ، ضربتْ عائشةُ ذلك مثلاً في إتقانِه ما يُشاهدُه وصحّةِ تأويلِه.

وقولُها : « جَاءَتْ » :

على حذفِ مُضافٍ أي جاءَ تأويلُها أو مَرْئِيُّها، وقد استُعمل « الفَلَقُ » غيرَ مُضافٍ إلى الصُّبح كقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ**﴾[٢] في قول أكثر المُفسِّرين[٣] فإنّ بعضَهم قد زعمَ أنّه الخَلْقُ[٤] قال الشّاعرُ :

يا ليلةً لم أَنَمْها بِتُّ مُرْتَفِقاً   أَرْعى النُّجُومَ إلى أن نَوَّرَ الفَلَقُ

و لم أظفر بعدُ استعمال « الفَرَقِ » بالرّاءِ غيرَ مُضافٍ إلى « الصُّبح » إلاّ في معنى غير هذا.

قولُها : « ثُمَّ حُبِّبَ إليّ الخَلاءُ » :

الخَلاءُ بالمَدِّ الخَلْوَةُ، وفي « الصّحيح » أيضاً: « كان إذا أتى الخَلاءَ »[٥] أي مواضع الخلاءِ، كَنّى به[٦] عن قضاءِ الحاجةِ لملازمةِ الخلوةِ لها.

---

(١) ذكر اللّغتين الفرّاء كما في تهذيب اللّغة للأزهري ١٥٦/٩ .

(٢) الفلق : الآية ٢ .

(٣) انظر أعلام الحديث ١٢٨/١، ومشارق الأنوار ١٥٨/٢، وفتح الباري ٢٣/١.

(٤) رُوي ذلك عن ابن عبّاسٍ أخرجه ابنُ جرير ٣٥١/٣٠ بإسناده إليه، وعزاه السّيوطيُّ في الدرّ ٧١٨/٦ أيضاً لابن المنذر وابن أبي حاتمٍ.

(٥) صحيح البخاري ٢٤٢/١، رقم: ١٤٢، ومسلم ٢٨٣/١، رقم: ١٢٢، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) غير مثبتة في م .

وفائدةُ « ثُمَّ » هنا أنّ حُبَّه ﷺ للخَلْوَةِ كان بعدما ذكرتهُ مِن صدق الرُّؤيا أو في أثنائها، ويجوزُ أن تكونَ « ثُمَّ » للتّرتيب في الخبر وأنّ ما كانَ يراهُ (كان)[١] في أيّامِ الخَلْوَةِ[٢]. وفي « سير ابن إسحاق »[٣] قال: فذكر الزّهريُّ عن عروة عن عائشة فذكر الحديثَ وقال: « وحبّبَ اللهُ إليه الخلوةَ فلم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من أن يخلُوَ وحده » .

قلتُ : فلهذا وقع في « الصّحيح »[٤]: « وحُبِّبَ إليه الخَلْوَةُ » على لفظِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه، و لم يقل: « وأحبَّ الخَلوةَ » وإن كان كلُّ الأفعالِ مِن الله تعالى لما في لفظ « وحُبِّبَ » مِن الإشعارِ بأنّ ذلك لم يكن مِن جِنْسِ محبوباتِ النّفسِ التي تقعُ على وفق المعتادِ بل كانت تلك الدّواعي منه مِن قِبَلِ توفيق الله تعالى له وإلهامِه إيّاه ذلك وعنايتِه به[٥].

قولُها : « فكانَ يخلُو بغار حِراء » :

في رواية يونس بالفاء، وفي رواية عقيل بالواو، وفيها: « يَلحقُ » مكان « يَخلُو » بيّنتْ بهذا المكانَ الذي كان يخلو فيه وهو مَزارٌ معروفٌ بمكّة[٦] .

---

(١) من م .
(٢) لكن الأوّل أظهر كما قال الحافظُ في فتح الباري ٨/٧١٧ .
(٣) السّيرة النّبويّة ١/٢٣٤ لابن هشام لكن فيه بالبناء للفاعل: « وحَبَّبَ اللهُ تعالى إليه الخَلْوَةَ، فلم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من أن يخْلُو وحدَهُ ».
(٤) من قوله : « وقال : وحبّبَ ... وقع في الصّحيح » ساقطٌ من م .
(٥) انظر فتح الباري ١/٢٣ .
(٦) لم يرد في السُّنّة ما يدلُّ على مشروعيّة زيارة غار حراء، وما يظنّه بعضُ العامّة من كون زيارته جزءاً من مناسك الحجّ أو العمرة خطأٌ جسيمٌ، والهديُ كلّه في اتّباع السُّنّة واجتناب البدعة.

وفي حديث ابن إسحاق عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان ابن العلاء بن جارية الثّقفيّ قال: وكان واعيةً عن بعض أهل العلم[١] قال: وكان رسولُ الله ﷺ يخرجُ إلى حراء في كلِّ عامٍ شهراً مِن السّنة يتنسّكُ فيه، وكان مَن نسك من قريشٍ في الجاهليّة يطعمُ مَن جاء مِن المساكين[٢] حتّى إذا انصرف مِن مجاورتِه لم يدخل بيتَه حتّى يطوفَ بالكعبةِ.

والغارِ والمَغارُ - بزيادة ميمٍ - والمَغارةُ - بزيادة هاءٍ - : هو الكهفُ في الجبلِ وهو النّقبُ فيه[٣]، سُمِّي بذلك لأنّ الدّاخلَ فيه يستترُ به، فكأنّه قد غارَ فيه أي تغيّبَ، وهذا غيرُ الغارِ المذكورِ في القرآنِ ذاكَ في جبل ثَوْرٍ بأسفل مكّة، وهذا في جبل حراء بأعلى مكّة، كلاهما مِن جبال الحرمِ.

قال مسلم بن خالدٍ[٤] : حراء جبلٌ مباركٌ قد كان يُؤتى .

قال السُّهيليُّ : « وهو الجبلُ الذي نادى رسولَ اللهِ ﷺ حين قال له ثبير وهو على ظهرِه: اهبط عنّي فإنّي أخافُ أن تُقتل على ظَهري فأُعذّب، فناداه حراء: إليَّ يا رسولَ الله »[٥].

---

(١) الذي بهذا الإسناد متنٌ آخرُ كما هو عند ابن هشام في السّيرة ١/٢٣٤، أمّا المتنُ الذي عند المصنّف فإسنادُه كما عند ابن هشامٍ ١/٢٣٦ فهو: قال ابن إسحاق: وحدّثني وهبُ ابن كيسان قال: قال عُبيد: فذكره بنحوه.

(٢) في م : النّسّاكين .

(٣) انظر الصّحاح ٢/٧٧٣ .

(٤) أبو خالدٍ الزّنجيّ الإمامُ فقيهُ مكّة، توفّي سنة ١٨٠هـ، انظر السّير ٨/١٧٦ - ١٧٨.

(٥) الرّوض الأنف ١/٢٦٨ . والحديثُ لم أقف عليه .

وقال أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن إبراهيم المازريُّ[١] في كتابه « المعلم »: « حراء بالمدِّ جبلٌ بينه وبين مكّة قدر ثلاثةِ أميالٍ عن[٢] يسارك إذا سرتَ إلى منى. ويجوزُ فيه التّذكيرُ والتّأنيثُ ، وتذكيرُه أكثرُ »[٣].

قال القاضي عياض :

« فمَن ذكّرَهُ صرفَهُ، ومَن أنّثَهُ لم يصرفهُ، وأرادَ البُقعةَ التي فيها الجبلُ أو الجهةَ.

قال : وقد قال بعضُهم فيه : « حَرى » بالقصرِ وفتحِ الحاء، وكذا ضبطها الأصيليُّ في « كتاب البخاريّ » بخطِّه بالوجهين.

قال: والأوّلُ أعرفُ ، وهو الصّحيحُ .

قال : وقال الخَطّابيُّ[٤] : أصحابُ الحديثِ يخطؤون فيه في ثلاثة مواضع: يَفتحون الحاءَ وهي مكسورةٌ، ويكسرون الرّاءَ وهي مفتوحةٌ، ويقصرون الألفَ وهي ممدودةٌ »[٥].

---

(١) أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن عمر المازري شيخُ المالكيّة في زمانه، وصاحب شرح التّلقين والمعلم وغيرهما، توفّي سنة ٥٣٦هـ، ولي دراسة مفصّلةٌ عنه في مقدّمة تحقيقي لقطعة من كتابه شرح التّلقين يسّر الله نشره. وتسميةُ القاضي عياض لجدِّه: « إبراهيم » هو شيءٌ انفرد به والمشهور: في اسم جدِّه : « عمر »، وقد أوضحتُ ذلك بشيءٍ من التّفصيل في الدّراسة المشار إليها .

(٢) في م : على .

(٣) المعلم بفوائد مسلم ١/٣٢٤ .

(٤) انظر كلام الخطّابي في غريب الحديث ٣/٢٤٠، وإصلاح غلط المحدِّثين ص ٤٥.

(٥) إكمال المعلم ١/٦٢٢ - تحقيق شوّاط .

قلتُ : وجدتُ هذه الحكايةَ (في « درّة الغوّاص »[١] منسوبةً إلى أبي عمر الزّاهد، ووجدتُها)[٢] في مواضعَ أُخَر[٣] بغير هذا اللّفظِ عن بعض أهل العلمِ قال: « العامّةُ لحنت (في « حراء »)[٤] في ثلاثة مواضع: فتحتْ حاءَه وهي مكسورةٌ، وقصرتْهُ وهو ممدودٌ، وتركتْ صرفَه وهو مصروفٌ في الاختيار لأنّه اسمُ جبلٍ ».

قلتُ :

ولو ضُمَّ إليه أنّهم كتبوه بالياء لصارتْ أربعةً، إلاّ أنّ ذلك مِن تفريع كونِهم يقصرونَهُ، والصّوابُ مدُّه وكَتْبُهُ بالألفِ، وحِراء: جبلٌ بأعلى مكّة له قُلّةٌ مُشْرِفَةٌ منحنيةٌ، والغارُ مشرِفٌ في رأسِه ممّا يلي القبلةَ، ومَا أحسنَ ما وصفه به رؤبةُ بن العجّاج الرّاجزُ في قولِه :

فَلا وربِّ الأماناتِ القُطَّنِ ورِبِّ وجهٍ مِن حِرَاءٍ مُنْحَنِ[٥]

وقال الشّاعرُ :

تفرّجَ عَنها[٦] الهَمُّ لمّا بَدا لها حِراءٌ كرأسِ الفارسيِّ المُتَوَّجِ

---

(١) درّة الغوّاص في أوهام الخواص ص ١٨٩ للحريري .

(٢) من م .

(٣) في م : موضع آخر .

(٤) من م .

(٥) ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٦٣ من أرجوزةٍ طويلةٍ وفيها :

فلا وربِّ الآمِناتِ القُطَّنِ يَعْمُرْنَ أَمْناً بالحَرامِ المَأْمَنِ

وانظر الكتاب لسيبويه ٣/٢٤٥، ومعجم البكري (حراء)، واللّسان ١٤/١٧٤.

(٦) في م : عنّا .

وفي شعر أبي طالبٍ :

وَثَوْرٍ ومَنْ أرسى ثَبيراً مكانَهُ   وراقٍ لبِرٍّ في حِراءٍ ونازِلِ

ويقعُ في تصانيفَ كثيرةٍ[١] هذا البيتُ[٢] :

❁ وراقٍ ليَرْقَى في حِراءٍ ❁

وهو تصحيفٌ ضعيفُ المعنى فإنّه معلومٌ أنّ الرّاقي يرقى وإنّما هو : وراقٍ لبِرٍّ ، أي في طلب البِرِّ وهو خلافُ الإثمِ، أقسمَ بطالبِ البِرِّ بصعودِهِ[٣] في حراءٍ للتّعبّدِ فيه وبالنّازلِ منه لأنّه حديثُ عهدٍ بالتّعبّدِ والله أعلم .

فحِراءٌ : مكسورُ الحاءِ ممدودٌ مصروفٌ، كما وقعَ في هذه الأبياتِ، ولم أظفر به بعدُ غيرَ مصروفٍ في شيءٍ مِن أشعارِهم (إلاّ فيما أنشدهُ الجوهريُّ[٤] :

أَلَسْنَا أكرَمَ الثّقلينِ طُرّاً   وأعظمَهُم ببطنِ حِرَاءَ نارَا[٥]

قال[٦] : « فلم يصرفهُ لأنّه ذهب به إلى البلدةِ التي هو بها ».

---

(١) كسيرة ابن هشامٍ ٢٣٥/١ .

(٢) هذا البيتُ : غير مثبت في م .

(٣) في م : في صعوده .

(٤) الصّحاح ٢٣١٢/٦ .

(٥) ذكره سيبويه في الكتاب ٢٤٤/٣ وعزاه لجرير، وسياقُه فيه :

ستعلمُ أيُّنا خيرٌ قديماً   وأعظمُنا ببطن حراءَ نارا. ثمّ إنّ البيتَ لم يرد في ديوان جرير كما نبّه على ذلك محقّقُه النّحويُّ الأديبُ عبد السّلام هارون رحمه الله.

(٦) أي الجوهري .

قلتُ :

ولا يمكنُ إنشادُه في البيتِ مَصروفاً بخلافِ الأبياتِ المتقدّمةِ)[١]، فلا يعتقد أنّ هؤلاء الشّعراء إنّما صرفوه ضرورةً إذ لا ضرورة فإنّ الوزنَ في الأبياتِ الثّلاثةِ مستقيمٌ وإن لم يُصرف إذ غايتُه دخول القَبْضِ في « فَعُولُنْ » و « مُسْتَفْعِلُنْ »، وذلك سائغٌ في بحري[٢] الطّويلِ والرَّجَزِ اللّذين منهما هذه الأبياتُ على ما هو معلومٌ عند العَروضيين، ولو لم يكن كذلك لما صحَّ لنا أن نقول: إنّ الشّعراءَ صرفوهُ ضرورةً إذ لا يُعتذرُ بذلك إلاّ عند وجودِ سببِ منعِ الصّرفِ والنّزاعِ فيه، ولا حاجةَ إلى تقديرِ التّأنيثِ فيه لأنّه اسمُ جبلٍ فهو اسمٌ مُذَكَّرٌ لمُذَكَّرٍ فصارَ كزيدٍ وعمروٍ، ونصّ أبو عمر الجرميُّ وغيرُه على أنّه يجوزُ تركُ صرفِه على تأويلِ أنّه اسمٌ لبقعةٍ، وأجروا ذلك في « قباء » و« حنين » و« منى » وغير ذلك، وأنشد القزّازُ رَجَزَ رُؤبة غيرَ مصروفٍ فقال : وربّ ركنٍ مِن حراءَ مُنحني ، بترك الصّرفِ على أنّ الهمزةَ للتّأنيثِ، والصّوابُ الصَّرْفُ .

قلتُ :

لا يجوزُ أن تكونَ الهمزةُ في « حِراء » و« قباء » ونحو ذلك للتّأنيثِ بل هي بدلٌ من لام الكلمةِ كما في « كساءٍ » و« رداءٍ » و« دعاءٍ »، ولا وجهَ لترك الصّرفِ إلاّ ما ذكرناهُ أوّلاً، والصّرفُ أولى وهي لغةُ القرآنِ في « حُنين » .

---

(١) من م .

(٢) في م : بحر .

فإن استشهد لصحّة الوجهِ الثّاني بأنّ مِن الجبال ما قد سُمِّي بأسماء مؤنّثةٍ كـ : « سلمى » و« رضوى » .

قيل : التّسميةُ باللّفظِ المؤنّثِ لا يدلُّ على أنّ المُسمّى يُقدَّرُ فيه التّأنيثُ بدليل « طلحة » و « حمزة » و« ربيعة » ونحو ذلك في أسماء الرّجال وإن أمكنَ تقديرُ التّأنيثِ فيها باعتبارِ النّفس والذّات والحقيقة.

وما أحسنَ ما قالهُ أبو زيدٍ الفازازيُّ[١] في « القصائد العشرينيات اللاّتي مدح بهنّ رسول الله ﷺ »[٢]، وأوّلُ كلِّ بيتٍ موافِقٌ لِرَوِيِّهِ :

ثَوى قبلَ نُورِ الوَحْيِ في نُورِ خَلْوَةٍ
بغارِ حِراءٍ مُفْرَداً يَتَحَنَّثُ
ثَبيرٌ وأُحْدٌ أكرَمُ الأرضِ تُرْبَةً
مُهاجَرُه هذا وذلك مَبْعَثُ

قولها : « يتحنّثُ فيه » :

في موضع الحالِ، أي يخلو بالغارِ مُتحنّثاً فيه، هكذا في رواية يونس، وفي رواية عقيل: « فيتحنّفُ » بالفاءِ فتكون عطفاً على « يخلو ».

ثمّ فُسِّرَ التّحنّثُ في الحديثِ بأن قيل: « وهو التّعبّدُ »، وهذا التّفسيرُ يحتملُ أن يكونَ مِن تتمّةِ كلامِ عائشة، ويحتملُ أن يكونَ مِن قِبَلِ عروة

---

(١) هو عبدُ الرّحمن بن يَخْلَفْتَن بن أحمد الفازازيُّ القرطبيُّ، عالمٌ بالآداب، وشاعرٌ مجوِّدٌ، توفّي سنة ٦٢٧هـ. انظر برنامج الرّعيني ص ١٠١ ـ ١٠٥، والتّكملة لكتاب الصّلة ٤٧/٣ ـ ٤٨ لابن الأبّار .

(٢) طبعت بعنوان سفينة السّعادة لأهل الضّعف والنّجادة بالقاهرة سنة ١٣٢٠هـ كما في تاريخ الأدب العربي ١٣١/٥ للمستشرق كارل بروكلمان.

فسّرهُ للزّهريّ، ويحتملُ أن يكونَ الزّهريُّ فسّرهُ لأصحابه وأن يكونَ المفسِّرُ بعضَ مَن هو دون الزّهريّ مِن المذكورين في سند الحديثِ[١].

وقال القاضي عياض: « فسّر مسلمٌ التّحنّثَ التّعبّدَ[٢] - قال - : وما فسّرهُ به مسلمٌ به فسّره أبو إسحاق الحربيّ[٣]، وذكرَ نحوَه عن ابن إسحاق »[٤].

قال المازريُّ : « تحنّث الرّجلُ إذا فعلَ فعلاً خرجَ به عن الحِنْثِ، والحِنْثُ: الذّنبُ، وكذلك تأثّمَ: إذا ألقى عن نفسِه الإثمَ، ومثلُه تحرّجَ وتحوّبَ: إذا فعلَ فعلاً خرجَ به عن الحَرَجِ والحُوبِ، وفلانٌ يتهجّدُ: إذا كان يخرجُ من الهُجود[٥]، ويتنجّسُ: إذا فعلَ فعلاً يخرجُ به عن النّجاسةِ، وامرأةٌ قَذُورٌ: إذا كانت تتجنّبُ الأقذارَ، ودابّةٌ رَيِّضٌ: إذا لم تُرَضْ، - قال[٦] -: هذا كلّه عن الثّعالبيّ إلاّ تأثّمَ فهو[٧] عن الهرويّ[٨] »[٩].

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ١/٢٣: « قوله : وهو التّعبّدُ، هذا مدرجٌ في الخبر، وهو من تفسير الزّهري كما جزم به الطّيبيّ و لم يذكر دليلَه، نعم في رواية المؤلّف من طريق يونس عنه في التّفسير ما يدلُّ على الإدراج ».

(٢) في حديث حكيم بن حزام الآتي بعد قليلٍ فقال مسلمٌ بعد إخراجه: « والتّحنّثُ: التّعبّدُ ».

(٣) لا يوجد في القطعة المطبوعة من كتابه غريب الحديث.

(٤) إكمال المعلم للقاضي عياض ١/٤٤٤ - تحقيق : د. يحيى إسماعيل.

(٥) في م ، والمعلم : يخرج الهجود .

(٦) أي المازري .

(٧) في م : فإنّه .

(٨) انظر الغريبين ٢/٥٠١ - تحقيق المزيدي .

(٩) المعلم بفوائد مسلم ١/٣٠٨ .

وقال أبو عبد الله القزّاز : « التّحنّثُ : إماطةُ الحِنْثِ وإزالتُه، ومثلُه التَّحَوُّبُ وهو إلقاءُ الحُوبِ وهو الإثمُ والذّنبُ ـ قال ـ: ولم يأتِ تَفَعَّلَ الرّجلُ إذا ألقى الشّيءَ عن نفسِه غير هاذين.

ومنه قولُ حكيم بن حزامٍ للنّبيّ ﷺ : « يا رسول الله، أرأيتَ أموراً كنّا نتحنّثُ بها في الجاهليّة مِن صدقةٍ وصلةِ رحمٍ هل لي فيها مِن أجرٍ؟ »[١]، يريدُ بالتّحنُّثِ إلقاءَ الحِنْثِ[٢].

وقال الإمامُ أبو سليمان الخَطّابيُّ : « وقيل للتّعبّدِ التّحنّثُ لأنّه يُلقِي به الحِنْثَ عن نفسِه، ونظيرُه في الكلامِ التَّحَوُّبُ والتَّأَثُّمُ أي إلقاء الحُوبِ والإثمِ عن النَّفْسِ، قالوا: وليس في كلامِهم: تفعَّلَ الرّجلُ إذا ألقى الشّيءَ عن نفسِه غيرُ هذه[٣] »[٤].

قلتُ : فحصرَ القزّازُ ذلك في حرفين، وزادَ الخَطّابيُّ ثالثاً، وفي كلامِهم بهذا المعنى أكثرُ مِن ذلك وإن كان على خلافِ قاعدةِ الباب، فإنّ الأصلَ أنّ « تَفَعَّلَ » المشتقَّ مِن شيءٍ هو لمن فعلَ ذلك الشّيءَ ، مثلُ : « تكلَّم » و« تعلَّم » و« تحسَّر » و« تغسَّل »؛ لأنّ معنى ذلك: صَدَرَ منه

---

(١) أخرجه البخاري ٣/٣٠١، رقم: ١٤٣٦، ومسلم ١/١١٣، رقم: ١٩٤.

(٢) انظر النّهاية ١/٤٤٩ ، و فتح الباري ٣/٣٠٢ .

(٣) علّق على هذا الكرمانيُّ في شرح البخاري ١/٣٢ فقال: « هذه شهادةُ نفيٍ، وكيف وقد ثبتَ في الكتب الصّرفيّة أنّ باب تَفَعَّلَ يجيء للتّجنُّبِ كثيراً نحو: تحرّجَ وتخوَّنَ أي اجتنب الحرجَ والخيانةَ وغيرَ ذلك ».

(٤) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ١/١٢٨ للخطّابي .

كلامٌ وعلمٌ وحَسْرَةٌ وغُسْلٌ لا أنّه تجنّب ذلك، ومع ذلك فقد جاءتْ ألفاظٌ بهذا المعنى، وقد تقدّم ما نقلهُ المازريُّ زائداً على ثلاثةِ الخطّابيّ بثلاثةِ ألفاظٍ وهي: « تحرّج » و« تهجّد » و« تنجّس » .

أمّا تحرّجَ : فمعناهُ تجنّبَ الحَرَجَ، وهو في الأصلِ عبارةٌ عن الضّيِّقِ ثمّ عُبِّرَ به عن الإثمِ[1].

وأمّا تهجّدَ : فمعناه تجنّبَ الهُجودَ، وهو نومُ اللّيلِ[2] قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾[3] .

قال الزّجّاجُ : « تَهَجَّدَ الرّجلُ إذا سَهِرَ، وهَجُدَ إذا نامَ، وقد هَجَّدْتَهُ إذا نوّمتَهُ، قال لبيدٌ :

قلتُ هَجِّدْنا فقد طالَ السُّرَى[4] »[5].

قال أبو القاسم الزّمخشريُّ : « ويُقال أيضاً في النّومِ تهجَّدَ »[6].

وقال حمزةُ الكرمانيُّ: « هجدَ نامَ، وتهجّدَ استيقظَ، ومثلُه حنثَ وتحنّثَ، والتّهجّدُ تركُ النّومِ للصّلاةِ، فإن لم يُصَلِّ فليس بتهجُّدٍ ».

---

(١) انظر تهذيب اللّغة ١٣٧/٤ - ١٣٨، والصّحاح ٣٠٦/١، واللّسان ٢٣٣/٢.

(٢) انظر تهذيب اللّغة ٣٧/٦، والصّحاح ٥٥٥/٢، واللّسان ٤٣١/٣ - ٤٣٢.

(٣) الإسراء : الآية ٧٩ .

(٤) وتمامُه : وقَدَرْنا إن خنَا الدّهرَ غَفَلْ. انظر ديوان لبيد ١٢/٢. قال الأزهريُّ: « كأنّه قال: نَوِّمْنا فإنّ السُّرَى قد طالَ علينا حتّى غلبنا النّومُ ».

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج ٢٥٦/٣، وتهذيب اللّغة للأزهري ٣٦/٦.

(٦) الكشّاف ٣٧٢/٢ .

قلتُ : لعلّه أرادَ في عُرف الفقهاءِ، وأمّا في أصل اللّغة فلا أحسبُ هذا الاشتراطَ صحيحاً إلاّ أن يُنقل أنّ لفظةَ « تهجّدَ » بمعنى تركَ الهجودَ لم يُسمَع إلاّ مِن جهة الشّارع فقط و لم تكن العربُ تعرفُه، وهذا بعيدٌ والله أعلم.

وأمّا تنجّسَ : فقال الجوهريُّ : « التّنجيسُ: شيءٌ كانت العربُ تفعلُه كالعُوذَةِ تُدْفَعُ به[1] العَيْنُ، ومنه قولُ الشّاعرِ:

وعَلَّقَ أنْجاساً عَلَيَّ المُنَجِّسُ[2] »[3].

قال ابن الأعرابيّ : « مِن المَعَاذاتِ: التّميمةُ[4]، والمُنَجِّسَةُ، والنِّجاسُ التّعويذُ[5]، ويُقال للمُعَوَّذِ: مُنَجَّسٌ »[6] .

قال ثعلب : « قلتُ لابن الأعرابيّ : لَمَ قيل للمُعَوَّذِ مُنَجَّسٌ وهو مأخوذٌ مِن النّجاسةِ؟ فقال: إنّ للعربِ أفعالاً تُخالفُ معانيها ألفاظَها، يُقال: فلانٌ يتنجّسُ إذا فعلَ فعلاً يَخرجُ به مِن النّجاسةِ كما قيل: يتأثّمُ ويتحنّثُ ويتحرّجُ إذا فعلَ فعلاً يخرجُ به مِن الإثمِ والحِنْثِ والحَرَجِ »[7].

---

(١) في الصّحاح : بها .

(٢) صدرُه : وكانَ لَدَيَّ كاهِنانِ وحارثٌ . كما في حاشية الصّحاح .

(٣) الصّحاح ٩٨١/٣ .

(٤) في تهذيب اللّغة زيادة : والجُلْبَةُ .

(٥) والنِّجاسُ التّعويذُ : غير موجودة في تهذيب الأزهري .

(٦) رواه عن ابن الأعرابي ثعلب ، انظر تهذيب اللّغة ٥٩٣/١٠ للأزهري.

(٧) انظر قول ابن الأعرابي في تهذيب اللّغة ٤٨٠/٤ من رواية أبي العبّاس ثعلب.

قال الجوهريُّ : « والقَذُورُ من النّساء التي تتقذّرُ أي تتنزّهُ عن الأقذارِ »[١].

أبو عبيدة : « ناقةٌ قَذُورٌ تبركُ ناحيةً من الإبل وتستبعدُ »[٢].

قال الجوهريُّ : « وناقةٌ رَيِّضٌ أوّل ما ريضَتْ وهي صعبةٌ بَعْدُ »[٣].

قلتُ : فحصلَ لنا مِن هذا زيادةُ حرفٍ آخر وهو « تقذّرَ » فصارت سبعةَ أحرُفٍ. وزادَ بعضُهم « تخوّنَ » فقال: قولُهم: تخوّنَ فلانٌ فلاناً، أي تعهّدهُ وحفظَهُ كأنّه اجتنبَ فيه الخيانةَ التي هي إخلالٌ بالحفظِ والتّعهّدِ[٤].

قال السُّهيليُّ : « تفعَّلَ يقتضي الدّخولَ في الفعلِ وهو الأكثرُ فيها مثل: تفقّه وتعبّد وتنسّك، وقد جاءت في ألفاظٍ يسيرةٍ تُعطي الخروجَ عن الشّيءِ واطّراحَهُ، كالتّأثُّمِ والتّحرُّجِ والتّحنُّثِ بالثّاءِ المثلّثةِ؛ لأنه من الحِنْثِ والحِنْثُ الحملُ الثّقيلُ، وكذلك التّقذّرُ إنّما هو تباعدٌ عن القذر[٥] »[٦].

---

(١) الصّحاح ٢/٧٨٨ .

(٢) تهذيب اللّغة ٩/٧٠ لكن لم يعزُه لأبي عبيدة .

(٣) الصّحاح ٣/١٠٨١ .

(٤) انظر تهذيب اللّغة ٧/٥٨٢، والصّحاح ٥/٢١٠٩ ، ٢١١٠، واللّسان ١٣/١٤٥.

(٥) في حاشية الأصل ما يلي : « كلُّ هذا قريبٌ من باب جزّعهُ أي أزال جزعه، ومنه ما في صحيح البخاري: ثنا الصّلتُ بن محمّد، ثنا إسماعيل بن إبراهيم، ثنا أيّوب، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة قال: لمّا طُعن عمرُ رضي الله عنه جعل يألَم، فقال له ابنُ عبّاسٍ - وكأنّه يُجَزِّعُهُ -: يا أمير المؤمنين، ولا كلّ ذلك؛ لقد صحبتَ رسول الله ﷺ فأحسنتَ صحبتَهُ، ثمّ فارقتَهُ وهو عنك راضٍ الحديث. فمعنى يجزّعُه أي يزيلُ جزعه رضي الله عنهما » .

(٦) الرّوض الأنف ١/٢٦٧ .

قلتُ : قد رُويت هذه اللّفظةُ بالثّـاء المثلّثـةِ كمـا في « الصّحيحين »، ورُويت بالفاءِ كما في « سير ابن إسحاق » من حديث عُبيد بن عُمير قال:

« كان رسولُ الله ﷺ يُجـاورُ في حِراءِ في كـلِّ سـنةٍ شـهراً، وكـان ذلك ممّا تَحَنَّفُ[١] به قريشٌ في الجاهليّة، والتّحنّفُ[٢] التّبرّرُ، فكـان رسـولُ الله ﷺ يُجاورُ ذلك الشّهرَ مِن كلِّ سنةٍ يُطعِمُ مَن جاءه مِن المساكين، فإذا قَضى جِوارَه مِن شهرِه ذلك كان أوّل ما يبدأ به الكعبة فيطوف سبعاً ثـمّ يرجعُ إلى بيتِه »[٣].

فأمّا التّحنُّثُ بالثّاءِ فهو بمعنى تجنّبِ الحِنْثِ وهو الذّنبُ المؤثِمُ، ومنـه: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ﴾[٤]. وقيـل : حَنِـثَ فـلانٌ في يمينِـه كذلك أي[٥] أَثِمَ فيها وأذنبَ، هذا هو[٦] أصلُه ثمّ عُبِّر بها عن عدمِ الوفـاءِ باليمينِ مُطلقاً إذ الحِنْثُ يكونُ واجباً ومندوباً ومُباحـاً، وفي الحديـثِ: « لم يَبلغُوا الحِنْثَ »[٧] أي زمانَ الحِنْثِ وهو وقـتُ البلـوغِ لأنّهـم حينئـذٍ يُعتَـدُّ

(١) الذي في سيرة ابن هشام : تَحَنَّثُ .

(٢) الذي في سيرة ابن هشام : التّحنّث .

(٣) رواه ابنُ إسحاق عن وهب بن كيسان، عن عبيد بن عمير بن قتادة اللّيثي، انظر سيرة ابن هشـام ١/٢٣٥ - ٢٣٦.

(٤) الواقعة : الآية ٤٦ .

(٥) في م : إذا .

(٦) غير مثبتة في م .

(٧) يشيرُ المؤلّفُ إلى ما أخرجه البخـاري ١/١٩٦، رقـم: ١٠٢، ومسـلم ٤/٢٠٢٩، رقـم: ١٥٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قـال: « مـا منكـنّ امـرأةٌ تقـدّم ثلاثةً لم يبلغُوا الحنثَ إلاّ كان لها حجابٌ من النّار ».

عليهم بأعمالِهم ذنوباً[١]، فمعنى « يتحنّثُ » يفعلُ فعلاً يخرجُ به مِن الحِنْثِ.

وأمّا ما وقعَ في الحديث مِن تفسير التّحَنُّثِ بالتّعبُّدِ فهو تفسيرٌ على المعنى مِن غير نظرٍ إلى اشتقاق اللّفظِ.

وأمّا التّحنُّفُ بالفاءِ فقال السُّهيليُّ : « هو من باب التّبرُّرِ لأنه من الحنيفيّةِ دينِ إبراهيمَ عليه السّلامُ، وإن كانت الفاءُ مُبدلةً مِن الثّاء فهو مِن باب التّقذُّرِ والتّأثُّمِ وهو قولُ ابن هشامٍ[٢]، واحتجَّ بجدثٍ وجَدْفٍ »[٣].

وفي « شرح أبي عبد الله بن الحافظ إسماعيل[٤] » قال: وسُئل ابنُ الأعرابيّ عن قولِه: يتحنّثُ ـ يعني في هذا الحديثِ ـ فقال: لا أعرفُه، وسألتُ أبا عمرو الشّيباني عنه؟ فقال: لا أعرفُ يتحنّثُ إنّما هو يتحنّفُ مِن الحنيفيّة[٥]، وقولُهم: تأثّمَ أي تجنّبَ الإثمَ وتركَهُ، ومنه ما في « الصّحيح » من حديث أنسٍ قال: « فأخبر بها[٦] معاذٌ عند موتِه تأثُّماً »[٧].

---

(١) انظر فتح الباري ١/١٩٦ ، ٣/١٢٠ ـ ١٢١ .

(٢) قال ابنُ هشام في السّيرة ١/٢٣٥ ـ ٢٣٦: « تقول العربُ: التّحنّثُ والتّحنّفُ، يريدون الحنيفيّة، فيبدلون الفاءَ من الثّاء كما قالوا: جَدَثٌ وجَدَفٌ، يريدون القبرَ ...».

(٣) الرّوض الأنف ١/٢٦٧ .

(٤) هو الإمام العلاّمة الحافظ أبو القاسم إسماعيلُ بن محمّد بن الفضل التّيميّ الأصبهانيّ المُلقّب بقِوام السُّنّة، توفّي سنة ٥٣٥هـ، انظر سير أعلام النّبلاء ٢٠/٨٠ ـ ٨٨، ومقدّمة تحقيق كتابه الحجّة في بيان المحجّة. والشّرحُ الذي ينقل منه أبو شامة في كتابه هذا يعني به شرحه لصحيح مسلم وهو ممّا فُقد من تراث قوام السُّنّة.

(٥) انظر كلام ابن الأعرابي في شرح البخاري للكرماني ١/٣٢ .

(٦) في م : به .

(٧) أخرجه البخاري ١/٢٢٦، رقم: ١٢٨، ومسلم ١/٦١، رقم: ٥٣.

قال المازريُّ : « والأظهرُ عندي أنّه لم يُرد في هذا الحديثِ هذا المعنى لأنّ في سياقِه ما يدلُّ على خلافِه »[١].

قال القاضي عياض : « لعلّهُ لم يـرَ هـذا التّفسيرَ بيِّنـاً لمـا وردَ في أوّلِ الحديثِ: ألا أُبَشِّر النّاسَ؟ قال: لا تُبشِّرْهُم فيتّكِلُـوا، فـأيُّ إثـمٍ في كتـمِ مـا أمره النّبيُّ ﷺ بكتمِه، لكنّي أقول: لعلّ مُعاذاً لم يفهـم مـن النّبيّ ﷺ النّهـيَ لكن كسرَ عزمَهُ عمّا عرضَ عليهم مِن بشراهُم به بدليل حديث أبي هريرة حين قال له: مَنْ لقيتَ يشـهدُ أن لا إلـه إلاّ الله مُستيقناً بهـا قلبُـه فبشِّـرهُ بالجنّة، ثمّ لمّا قال عمرُ للنّبيّ ﷺ: أخشى[٢] أن يتّكل النّاسُ فخلِّهم يعملُـوا، قال: فخلِّهم.

قال[٣] : أو يكون معاذٌ بلغه بعدُ أمـرُ النّبيّ ﷺ بذلـك لأبـي هريـرة، وحَذِرَ أن يكتُمَ علماً عَلِمَهُ وتأثّم من ذلك فأخبر به، أو يكون حمـلَ النّهـيَ على إذاعتِه للعمومِ ورأى أن يَخُصَّ به كما خَصّه[٤] به عليه السّلام، ولهـذا ترجمَ البخاريُّ عليـه[٥]: مَـن خـصّ بـالعلمِ قومـاً دون قـومٍ كراهيـةَ أن لا يفهمُوا »[٦].

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ١/٢٩١ .

(٢) في م : إنّي أخشى .

(٣) أي عياض .

(٤) في م : خصَّ .

(٥) صحيح البخاري ١/٢٢٥ ، رقم : ٤٩ .

(٦) إكمال المعلم ١/٢٤١ - ٢٤٢ - تحقيق شوّاط، مـع ملاحظـة اختصـار أبـي شـامة لكـلام القاضي عياض .

قلتُ :

هذا الإشكالُ الذي ذكرهُ القاضي كان وقعَ لي قديماً قبل الوقوفِ على كتابه وقلتُ: أيُّ إثمٍ كان يلحقُه لو لم يُخبر به حتّى تجنّبَ الإثمَ بإخباره، غايتُه أن يُقال جاءتْ آثارٌ وأخبارٌ تقتضي الأمرَ بالتّبليغِ والنّهيَ عن الكتمانِ نحوُ: ﴿إنَّ الذينَ يَكْتُمُونَ ...﴾[1]، « بَلِّغُوا عنّي ولو آيةً ...»[2]، « نضّر الله امرءاً ...»[3]، ونحو ذلك، إلاّ أنّ هذه الأشياءَ غايتها أن تكونَ عامّةً في جميعِ ما سُمع من النّبيّ ﷺ حتّى تتناولَ محلَّ النِّزاعِ، وفي محلِّ النّزاعِ دليلٌ يخصُّه يقتضي منعَ الإعلامِ، والخاصُّ مُقدَّمٌ على العامِّ.

وهذا الإشكالُ كنتُ أوردتُه على الشّيخ أبي الخطّاب بن دحية[4] رحمه الله بديار مصر في سنة ثمانٍ وعشرين وستّمائة عند وصول قارىءِ « كتاب مسلمٍ » إلى هذا الحديثِ، فلم يُجبْ غير أنّه قال: هذا جَدَلٌ وصاحَ، فأشار إليّ بعضُ أصحابه فأمسكتُ.

وجوابُ هذا أنّ الحديثَ ليس فيه صريحُ نهيٍ وإنّما فيه احتمالٌ، فتردّد معاذٌ في ذلك، ثمّ ترجّحَ عنده بأخَرَةٍ أنّه لا نهيَ فيه فأخبرَ به، وذلك

---

(١) البقرة : الآية ١٥٩ ، ١٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٦/٦، رقم: ٣٤٦١، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) تقدّم تخريجُه ص ٢٧ .

(٤) أبو الخطّاب عمر بن الحسن بن عليّ المشهور بابن دحية الكلبيّ المتوفّى سنة ٦٣٣هـ، ولي دراسة مطوّلة عن هذا العلم، وقد فرغتُ من تحقيق كتابه الآيات البيّنات في ذِكْرِ ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات، يسّر الله نشرَه قريباً.

أنّ رسول ا لله ﷺ قال: « ما مِن عبدٍ يشهدُ أن لا إله إلاّ ا للهُ وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه إلاّ حرّمه ا للهُ على النّارِ، فقال معاذٌ: يا رسولَ ا لله، أفلا أُخبر بها فيستبشِرُوا؟ قال: إذاً يتّكِلُوا ».

فقولُه : « إذاً يتّكِلُوا » يحتملُ أن يكون إيماءً إلى أنّك لا تُخبر بها خوفاً مِن حصول هذه المفسدةِ، ويحتملُ أن يكون هذا مجرّدَ تخوُّفٍ من النّبيّ ﷺ مع أنّ مُرادَهُ التّبليغُ لأنّ هذا مِن جملة ما أُنزل عليه وأُوحي إليه، وطريقُ التّبليغِ أن يُلقيَه على بعضِ أصحابه وذلك الصّحابيُّ يُبلِّغُه غيرَه، فكيف يَنهى عن التّبليغِ وهو مأمورٌ به؟ فلعلّ معاذاً توقّف لذلك مُدّةَ حياتِه ثمّ احتاطَ لنفسِه فبلّغ؛ لأنّ الأوامرَ بالتّبليغِ صريحةٌ فلا تُترك باحتمالِ النّهي، كيف وأنّه قد وردَ معنى هذا الحديثِ عن غير معاذٍ وأنسٍ وليس فيه إيماءٌ إلى الإمساكِ عن الإخبارِ به وا لله أعلم.

قال المازريُّ :

« واختلف النّاسُ هل كان النّبيُّ ﷺ مُتعَبَّداً قبل نبوّتِه بشريعةٍ أم لا؟ فقال بعضُهم: إنّه غيرُ مُتَعَبَّدٍ أصلاً.

ثمّ اختلفَ هؤلاء هل ينتفي ذلك عقلاً أم نقلاً[١]؟ فقال بعضُ المبتدعةِ: ينتفي عقلاً لأنّ ذلك تنفيرٌ عنه وغَضٌّ مِن قَدْرِه إذا تنبّأ عند أهل تلك الشّريعةِ التي كان مِن جملتِهم، ومَن كان تابعاً فيبعدُ منه أن يكون متبوعاً ـ قال[٢] ـ: وهذا خطأٌ والعقلُ لا يُحيلُ هذا.

---

(١) في م : أم لا .

(٢) أي المازري .

وقال آخرون مِن حُذّاقِ أهل السُّنّة : إنّما ينتفي ذلك من جهة أنّه لو كان لنُقل ولتداولتْهُ الألسنُ وذُكر في سيرتِه فإنّ هذا ممّا جرت به[1] العادةُ بأنّه لا يَنكتمُ.

وقال غيرُ هاتين الطّائفتين : بل هو مُتَعَبَّدٌ .

ثمّ اختلفوا أيضاً هل هو مُتَعَبَّدٌ بشريعة إبراهيم أو غيره مِن الرُّسل فقيل في ذلك أقوالٌ، ويحتملُ أن يكون المرادُ بقوله: ﴿**أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً**﴾[2] في توحيدِ الله وصفاتِه[3] »[4].

قال القاضي عياض : « ولا خلافَ بين أهل التّحقيق أنّه قبل نُبوّتِه عليه السّلام وسائر الأنبياء منشرِحُ الصّدرِ بالتّوحيدِ والإيمانِ بالله لا يليقُ به الكفرُ ولا الشّكُّ في شيءٍ مِن ذلك ولا الجهلُ به، ولا خلافَ في عصمتِهم مِن ذلك خلافاً لمن جوّزهُ[5]، وحجّةُ المانعين منه الطّريقان

(١) غير مثبتة في م .

(٢) النّحل : الآية ١٢٣ .

(٣) أمّا في باب العقائد فقد كان ﷺ ـ باتّفاقٍ ـ مُتعبَّداً بالشّرائع السّابقة لاتفاقها على التّوحيد، أمّا في الفروع ففي ذلك أقوالٌ أقواها أنّه كان متعبّداً بشريعة إبراهيم عليه السّلام، وقوّاه الحافظُ ابن حجر وقال: « ولا سيّما مع ما نُقل من ملازمته للحجّ والطّواف ونحو ذلك ممّا بقي عندهم من شريعة إبراهيم » فتح الباري ٧١٧/٨، وانظر حاشية إكمال المعلم ٦٢٣/١ ـ ٦٢٤ ـ تحقيق شواط.

(٤) المعلم بفوائد مسلم ٣٢٤/١ ـ ٣٢٥، و إكمال المعلم ٦٢٢/١ ـ ٦٢٣ ـ تحقيق شواط.

(٥) علّق د. الحسين بن محمّد شوّاط على هذا ـ مؤيِّداً لكلام القاضي عياض ـ فقال : « الصّوابُ في هذه المسألة ما قرّره القاضي رحمه الله وهو الذي عليه عامّةُ أهل الإسلام؛ =

المتقدّمان[١]، والصّحيحُ منهما النّقلُ فلو كان شيءٌ من ذلك لنُقل، ثمّ[٢] تظاهرت الأخبارُ الصّحيحةُ عنه عليه السّلام وعن غيره من الأنبياء بصحّة معرفتِهم بالله وهدايتِهم من صغرِهم وتجنُّبهم عبادةَ غيرِ الله تعالى؛ فقد عيّرت قريشٌ نبيَّنا والأممُ أنبياءَهم ورمتهُم بكلِّ آفةٍ[٣]، وبرّأهُم الله ممّا قالوا، وقصَّ[٤] الله علينا من ذلك في كتابه أنّهم قالوا: ﴿**أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾[٥]، و﴿**إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ**﴾[٦]، ولو كان أحدُهم عبدَ معهم معبودَهُم وأشركَ شِرْكَهُم قبل نبوّتِه لعيّرُوه بتلوُّنِه في معبودِه، وقرعُوه بفراقِ ما كان جامعهُم عليه من ديانتِه، وكان أبلغَ في تأنيبِهم لهم من أمرهم بمفارقة معبودِ آبائهم - قال[٧] -: وقد بسطنا الكلامَ

فالحقُّ الذي لا ينبغي اعتقادُ سواه أنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث من أشركَ به طَرْفَةَ عَيْنٍ، أو جهل به أو بصفةٍ من صفاته، أو شكَّ في شيءٍ من ذلك، ولم يُخالف في ذلك إلاّ طائفةٌ من المبتدعة لا يُعتدُّ بخلافهم، ولذلك فقد نفى القاضي الخلاف في المسألة، ثمّ أومأ إلى هؤلاء المبتدعة، وقد توسّع القاضي في هذا المبحث في كتاب الشّفا وجوّده بما لم أقف عليه لغيره »، ثمّ سرد المحققُ مراجع عدّة لهذه المسألة.

(١) في م : الطّريقتان المتقدّمتان . أي وحجّة القائلين بامتناع الكفر عن الأنبياء قبل البعثة: العقل والنّقل، قاله شوّاط.

(٢) في إكمال المعلم : بل .

(٣) في إكمال المعلم زيادة : ورامتْ نقصهُم بكلِّ جهةٍ .

(٤) في إكمال المعلم : نَصَّ .

(٥) هود : الآية ٦٢ .

(٦) هود : الآية ٥٤ .

(٧) أي القاضي عياض .

في هذا الفصل بما فيه مقنعٌ في غير هـذا الكتـاب[١]، وجئنـا بالأجوبـة عمّـا يُعـترض بـه علـى هـذا مـن ظواهـر القـرآن كقولـه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[٢]، وقولـه: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ﴾[٣]، وقـول إبراهيم: ﴿هَذَا رَبِّي﴾[٤]، وأشـباه هـذا ومعـاني هـذه الآيِ وتأويلاتِهـا في كتابنا « الشِّفا »[٥].

وخُلُوُّه عليه السّلام بغار حِراءٍ وتحنُّثه فيه أوّل مبادىء بشاراتِ نبوّتِه، وذلك أنّ تحبيبَ الخَلْوَةِ له إلهـامٌ مـن الله تعـالى لمـا أراد الله بـه مـن خلُـوِّه بنفسِه، وتفرُّغِه للقاء رسلِ ربِّه، وسماعِ وحيِه، وقطعِه العلائقَ الشّـاغلةَ عـن ذلك كما كان.

وفيه تنبيهٌ على فضل الخَلْوَةِ والعُزلةِ وثَمرَةِ التّفرّغِ لذِكْرِ الله، وأنّ[٦] ذلك يُريحُ السِّرَّ مـن الشُّغْلِ بغـير الله، ويُقِـلُّ الهَـمَّ بـأمور الدّنيـا، ويُخْلـي القلـبَ عـن التّعلُّقِ والرّكُونِ بأهلهـا، فيصفُـو وتتفجّرُ ينابيعُـه بالحكمـةِ، وتُشرقُ جوانبُه بالحقائقِ والمعرفةِ، ويفيـضُ عليـه مـن جهـات[٧] فضـل الله وأنوارِ رحمتِه ما قُدِّر له »[٨].

---

(١) يعني كتابه الشّفا .

(٢) الضّحى : الآية ٧ .

(٣) يوسف : الآية ٣ .

(٤) الأنعام : الآية ٧٦ ـ ٧٨ .

(٥) الشّفا ٢/١١٠ ـ ١١٥ .

(٦) في م : وإن كان .

(٧) في إكمال المعلم : نفحات .

(٨) إكمال المعلم ١/٦٢٦ ـ ٦٢٧ ـ تحقيق شواط.

قولُها : « اللّياليَ أُولاتِ العَدَدِ » :

وفي رواية عُقيل: « ذوات العَدَدِ »، وكلاهُما بمعنى، واللّيالي منصوبٌ على الظّرفِ أي يتحنّثُ في ليالٍ معدودةٍ، وكأنّ ذِكْرَ العَدَدِ هنا يُفيدُ ضرباً من القلّةِ كما قيل ذلك في قوله تعالى: ﴿**أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ**﴾[١] و﴿**دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ**﴾[٢]، أو الكثرةِ[٣] كما قيل ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً**﴾[٤].

قولُها : « قبل أن يرجعَ إلى أهلِه » :

هذه روايةُ يونس، وفي رواية عقيلٍ « قبل أن ينزعَ إلى أهلِه » .

قال ابنُ سيده : « نزعَ إلى وطنِه نُزوعاً حَنَّ وهو نَزُوعٌ »[٥] .

وقال الجوهريُّ : « نزعَ إلى أهلِه ينزِعُ نِزاعاً أي اشتاقَ، وبعيرٌ نازِعٌ وناقةٌ نازِعٌ إذا حَنَّتْ إلى أوطانِها ومَرْعاها قال[٦] :

وقلتُ[٧] لهم لا تَعْذِلوني وانظرُوا   إلى النّازِعِ المقصورِ كيفَ يكونُ »[٨].

---

(١) آل عمران : الآية ٢٤ .

(٢) يوسف : الآية ٢٠ .

(٣) ذكر الحافظُ ابن حجر في فتح الباري ٢٣/١ أنّ إبهامَ العددِ لاختلافه، وهو بالنّسبة إلى المُدَدِ التي يتخلّلُها مجيئُه إلى أهله، وإلاّ فأصلُ الخلوة قد عرفت مدّتُها وهي شهرٌ، وذلك الشّهر كان رمضان فيما رواه ابنث إسحاق. وانظر شرح الكرماني ٣٢/١.

(٤) الكهف : الآية ١١ .

(٥) المحكم ٣٢٨/١ لابن سيده .

(٦) في الصّحاح زيادة : جَميل .

(٧) في الصّحاح فقلتُ .

(٨) الصّحاح ١٢٨٩/٣ ، والبيتُ في ديوان جَميل بثينة ص ١٢٨.

وأهلُ الرّجلِ : زوجتُه ومَن يجمعُه وإيّاهُم نسبٌ أو دِينٌ أو صناعةٌ أو بيتٌ أو بلدٌ أو ما يجري مجرى ذلك، فهو يُستعمل في جميع ذلك، والمرادُ هنا الزّوجةُ فقط، ولهذا صرّحتْ به بعد ذلك في قولها: « ويتزوَّدُ لذلك ثمّ يَرجعُ إلى خديجة فيتزوَّدُ لمثلِها »، ولم يكن للنّبيّ ﷺ حينئذٍ امرأةٌ غيرُ خديجة رضي الله عنها، أي أنّه كان يُقيمُ بغار حراءٍ الأيّامَ مع اللّيالي، ولو لم تقُلْ لما فُهم ذلك من قولها: « اللّيالي أولات العَدَد » على مُجرَّدِه إذ كان من الجائزِ أنّه كان يتعبّدُ في الغار ليلاً ويرجعُ إلى أهلِه نهاراً[1]، فأشارتْ عائشةُ إلى أنّه ﷺ كان يتزوّدُ لمدّةٍ ينقطعُ فيها بالغارِ لا يرجعُ فيها إلى أهلِه حتّى يَفنى زادُه، أو يشتاق إلى أهلِه فيرجع إلى خديجة فيتزوّدُ لمثل تلك المُدّة إذا أرادَ الخروجَ إلى حراءٍ أي لمدّةٍ أخرى.

ولم تكن عائشةُ رضي الله عنها مُشاهِدةً شيئاً من ذلك بل لم تكن موجودةً حينئذٍ إنّما وُلدت بعد النبوّة بمدّةٍ لأنّ النّبيّ ﷺ بنى بها بالمدينة وهي بنتُ تسعِ سنين، وكانت إقامةُ النّبيّ ﷺ بمكّة بعد النّبوّة عشر سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنةً، وقيل: خمس عشرة.

وإنّما هذا الحديثُ من باب مُرسَل الصّحابيّ الذي حكمُه حكمُ المسنَدِ المسموعِ من النّبيّ ﷺ أو المُشاهَدِ، فعائشةُ تكونُ قد سمعتْ ذلك من النّبيّ ﷺ أو من أبيها أو غيره ممّن شاهدَ ذلك، وعبّرتْ عنه بهذه العبارات[2] الفصيحةِ البديعةِ المُتقنةِ الألفاظِ والمعاني.

---

(١) في م : مرارا .

(٢) في م : العبارة .

قال الأحنفُ بن قيسٍ : « سمعتُ خُطبةَ أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ والخلفاء بعدُ فما سمعتُ الكلامَ مِن فِي مخلوقٍ أفخمَ ولا أحسنَ مِن عائشةَ أمِّ المؤمنين »[١].

قولُها : « حتّى جاءهُ الحقُّ » :

هذه روايةُ عقيلٍ، وفي رواية يونس: « فَجِئَهُ الحَقُّ » أي بَغَتَهُ.

وقال القاضي عياض : « أي أتاهُ بمرّةٍ، يُقال بكسرِ الجيمِ وفتحِها »[٢].

والمرادُ بالحقِّ هنا وحيُ النُّبوّةِ، وإنّما قالت : « فَجِئَهُ » لأنّه لم يكن شيئاً يتوقّعُه .

قال الخطّابيُّ رحمه الله :

« هذه الأمورُ التي كان النّبيُّ ﷺ بُدىء بها مِن صدقِ الرُّؤيا، وحُبِّ العُزلةِ عن النّاسِ، والخَلْوَةِ في غار حراءٍ والتّعبُّدِ فيه، ومواظبته[٣] الصّبرِ عليه اللّيالي ذواتِ العَدَدِ، إنّما هي أسبابٌ ومُقدِّماتٌ أرهصتْ لنُبوّتِه وجُعلتْ مبادىءَ لظهورها، والخَلْوَةُ يكونُ معها فراغُ القلبِ، وهي مُعينةٌ على الفِكْرِ، وقاطعةٌ لدواعي الشُّغْلِ، والبَشَرُ لا ينفَكُّ[٤] عن طِباعِه، ولا يتركُ ما

(١) أخرجه الحاكمُ في المستدرك ٤/١١ من طريق عليّ بن عاصم، ثنا خالد الحذّاء، عن محمّد ابن سيرين، عن الأحنف بن قيس به. وعليُّ بن عاصمٍ فيه لينٌ قاله الذّهبيُّ في السّير ٢/١٩١ حين ذكرَ هذا الأثرَ.

(٢) إكمال المعلم ١/٧٢٧ ـ تحقيق شواط.

(٣) في م : مواظبة .

(٤) في أعلام الحديث : لا ينتقل .

أَلِفَهُ من عاداتِه، إلاّ بالرّياضةِ البليغة، والمُعالجةِ الشّديدة، فلطفَ الله سبحانهُ لنبيِّه ﷺ في بادئةِ أمرِه فحبّبَ إليه الخَلْوَةَ وقطعَهُ عن مُخالطةِ البشر ليتناسى المألوفَ من عاداتهم، ويستمرَّ على هِجْرانِ ما لا يُحمَدُ من أخلاقِهم، وألزمه شعارَ التّقوى، وأقامهُ مقامَ التّعبُّدِ بين يديه ليخشع قلبُه وتلينَ عريكتُه لورودِ الوحي فيجدُ منه[1] مُراداً سهلاً، ولا يُصادفُه حَزْناً وَعْراً ـ قال[2] ـ: وعلى هذا المعنى كان والله أعلم مطالبةُ المَلَكِ إيّاه بالقراءة، ومعالجتِه إيّاه بالغَطِّ وشدّةِ الضّغط، فإنّ الآدميَّ إذا بلغ منه هذا المبلغُ في أمرٍ سمحَ به إن كان في وَسْعِه، وتكلّف بعضَ ما حَمل منه إن لم يكن ذلك مِن طبعِه، فجُعلت هذه الأسبابُ مقدِّماتٍ لما أُرصد له من الشّأن ليرتاضَ بها ويستعدَّ لما نُدب له منه، ثمّ جاءه التّوفيقُ والتّيسيرُ، وأُمِدَّ بالقوّة الإلهية، فجبرت[3] منه النّقائص البشريّة، وجمعت له الفضائل النّبويّة ﷺ كثيراً »[4].

وقال غيرُه : ومن فوائد خُلُوِّه بنفسِه ما ألهمه الله سبحانه قبل ظُهور المَلَكِ له ومُخاطبتِه بما أراده الله منه مِن صدوفِه عن معبوداتِ قريشٍ يومئذٍ، وعزوفِ نفسِه الكريمةِ عن قُرْبِ[5] الأصنام .

---

(١) في أعلام الحديث : فيه .

(٢) أي الخطّابيّ .

(٣) في أعلام الحديث : « وبُزَّتْ » بدل « فجبرتْ »، ومعنى « بُزَّتْ منه النّقائصُ البشريّة » أي سُلِبَتْ منه.

(٤) أعلام الحديث ١/١٢٦ ـ ١٢٧ للخطّابي .

(٥) غير مثبتة في م .

وتبرّؤُه منه وإقبالُه على التّحنُّثِ - وهو فعلُ البرِّ - والقُرَبِ وذِكْرُها ذلك من حالِه يدلُّ ويُشيرُ إشارةَ غلبةِ ظنٍّ أنّه كان يفعلُ من الصّلاةِ والصّمتِ والإمساكِ نهاراً عن الطّعامِ بحسب ما يَرى في منامِه من ذلك احتذاءً بما يُشاهد إلى أن جاءه المَلَكُ، فجميعُ ما ذكرتُه ترشيحٌ له وتوطئةٌ لنفسِه الكريمةِ، ورياضةٌ لإتيان المَلَكِ، ولا بدّ أن يَظهر له من الآياتِ الخاصّةِ به ما يفرِّقُ بمعرفتِه بين لَمَّةِ المَلَكِ وغيرِه.

قولها : « فجاءهُ المَلَكُ » :

يعني جبريل صُرِّحَ بذلك في غير هذه الرّواية .

قال ابن إسحاق : حدّثني عبدُ الملك بن عبد الله[١] بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفيّ - وكان واعيةً -، عن بعض أهل العلم :

« أنّ رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامتَه وابتداءه بالنّبوّة كان إذا خرجَ لحاجتِه أبعدَ حتّى يحسِرَ عنه الثّوبَ[٢]، ويُفضي إلى شِعاب مكّةَ وبطونِ أوديتِها فلا يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلاّ قال: السّلامُ عليك يا رسول الله، فيلتفتُ رسولُ الله ﷺ حوله عن يمينِه وعن شمالِه وخلفه فلا يَرى إلاّ الشّجرَ والحجارةَ، فمكثَ كذلك يَرى ويسمعُ ما شاء الله أن يمكُثَ، ثمّ جاءه جبريلُ بما جاءه من كرامةِ الله وهو بحراء في رمضان »[٣].

---

(١) في سيرة ابن هشام : عبيد الله ، وهو خطأ ، انظر التاريخ الكبير ٥/٤٢١ للبخاري.

(٢) في سيرة ابن هشام : تحسّر عنه البيوتُ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٢٣٤ - ٢٣٥ . والخبرُ فيه إرسالٌ وجهالةٌ .

قلتُ :

ونصَّ أيضاً على أنّ ذلك كان في رمضان عبيدُ بن عُمير في حديثه الطّويل الذي سمعه ابنُ إسحاق[١] من وهب بن كيسان مولى الزّبير، وسمعه وهبٌ من عُبيد بن عمير.

وروى الواقديُّ بسنده إلى أبي جعفرٍ أنّ ذلك كان يوم الإثنين لسبع عشرة خلتْ من رمضان[٢] .

وقيل : كان ذلك ثاني عشر رمضان .

وقيل : في الرّابع والعشرين منه ، والله أعلم .

وعند جماعةٍ من العلماء منهم ابنُ إسحاق[٣] أنّ قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ**﴾[٤] مُأَوَّلٌ بهذا أي ابتدأ إنزالُه في رمضان.

وفي « صحيح مسلمٍ »[٥] عن أبي قتادة : « قيل: يا رسولَ الله، صومُ يومِ الإثنين؟ قال: فيه ولدتُ، وفيه أُنزل عليّ القرآنُ ».

قولُها : « فقال اقرأْ » :

هكذا وقع في « الصّحيحين » أُمر بالقراءة من غير ذِكْرِ المقروءِ، ووقع في حديث عُبيد بن عميرٍ قال ﷺ: « فجاءني وأنا نائمٌ بنَمَطٍ من ديباجٍ فيه كتابٌ فقال: اقرأْهُ »، ففي هذه الرّوايةِ بيانُ المقروءِ، إلاّ أنّ الأشبهَ أنّ هذا

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) انظر رواية أبي جعفرٍ - وهو محمّد بن عليّ بن حسين - في المصدر السّابق ١/٢٤٠.

(٣) المصدر السّابق ١/٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٤) البقرة : الآية ١٨٥ .

(٥) صحيح مسلم ٢/٨٢٠ ، رقم : ١٩٨ .

المجيءَ غيرُ الذي في حديث عائشة لأنّ هذا صرّح فيه أنّه كان مَناماً، وحديثُ عائشة في اليقظةِ والله أعلم.

قال السُّهيليُّ: « وفي الحديثِ ذِكْرُ نَمَطِ الدّيباجِ مع الكتابِ، وفيه دليلٌ وإشارةٌ إلى أنّ هذا الكتابَ به يُفتحُ على أمّتِه ملكُ الأعاجمِ، ويَسلُبونهم الدّيباجَ والحريرَ الذي كان زيّهُم وزينتهُم، وبه يُنال أيضاً ملكُ الآخرةِ ولباسُ الجنّةِ وهو الحريرُ والدّيباجُ »[١].

قال[٢]: « وفي « سير موسى بن عقبة » و« سير المعتمر بن سليمان[٣] » زيادةٌ وهو أنّ جبريلَ أتاهُ بِدُرْنُوكٍ من ديباجٍ منسوجٍ بالدُّرِّ والياقوتِ فأجلسَهُ عليه، غير أنّ موسى بن عقبةَ قال: « ببساطٍ » ولم يقل: « درنوك ».

وقال المعتمرُ[٤]: « فمسحَ جبريلُ صدرَه وقال: اللّهُمَّ اشرح صدرَه، وارفع ذِكْرَه، وضع عنه وزرَه »[٥].

قال[٦]: « ويُصحِّحُ ما رواهُ المعتمرُ أنّ الله تعالى أنزل عليه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الآيات كأنّه يُشيرُ إلى ذلك الدُّعاءِ الذي كان من جبريل والله أعلم »[٧].

---

(١) الرّوض الأنف ٢٧١/١ .

(٢) أي السُّهيلي .

(٣) في الرّوض الأنف : سليمان بن المعتمر ، والصوّاب ما أثبته المؤلّفُ كما سيوضّحهُ قريباً.

(٤) في الرّوض الأنف : ابن المعتمر ، والصوّاب ما أثبته المؤلّفُ كما سيوضّحهُ قريباً.

(٥) الرّوض الأنف ٢٧١/١ .

(٦) أي السُّهيلي .

(٧) الرّوض الأنف ٢٧١/١ .

قلتُ : وقع في «كتاب السُّهيليّ » : « سليمان بن المعتمر »، والصّوابُ: « المعتمر بن سليمان » كما ذكرناه، وإنّما انقلب عليه الاسمُ، وكذا قال بعدهُ في الموضعين: « ابن المعتمر » وصوابُه دون ذِكْرِ « ابن » ، والله أعلم .

قولُه : « ما أنا بقارىءٍ » :

قال المازريُّ : « قيل « ما » هاهنا نافيةٌ، وقيل: استفهاميّةٌ، كأنّه قال: وأيّ شيءٍ أقرأُ؟ - قال[1] -: وقد ضعّفُوا الاستفهامَ بإدخال الباء، ولو كان استفهاماً لقال: « ما أنا قارىءٌ »، وإنّما تدخلُ الباءُ على « ما » النّافيةِ فتكون الباءُ تأكيداً للنّفيِ »[2].

قال القاضي عياض : « يُصَحِّحُ مَن قال: إنّها للاستفهامِ روايةُ مَن روى: « ما أقرأُ »[3] قال: وقد يُصَحِّحُ أيضاً أن تكونَ هنا « ما » نافيةً »[4].

قلتُ : إن جعلناها نافيةً احتمل الكلامُ معنيين :

أحدهُما : الامتناعُ من أصل القراءة على الإطلاق أي لا أفعلُ كما تقولُ لمن قال لك: قُم: ما أنا بقائمٍ، ويكونُ سببُ امتناعِه من القراءة خشيةَ أن يكون عرضَ له عارِضٌ من الجِنِّ إذ لم يكن بعدُ قد تحقّقَ أنّه

(١) أي المازري .

(٢) المعلم بفوائد مسلم ١/٣٢٨، و إكمال المعلم ١/٦٢٧ - تحقيق شواط.

(٣) كما في رواية ابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام ١/٢٥٥، وذكر الحافظُ روايتين أخريين ثمّ قال: « وكلُّ ذلك يؤيّد أنّها استفهامية » فتح الباري ١/٢٤.

(٤) إكمال المعلم ١/٦٢٨ - تحقيق شواط.

مَلَكٌ كما قال بعد ذلك لخديجة: « لقد خشيتُ على نفسي » كما سيأتي بيانُه وذِكْرُه.

المعنى الثّاني : أن يكون معناهُ : إنّي لا أحسنُ القراءةَ، أي لم أكن قطُّ قارئاً للكتب ولا تعلّمتُ ما أقرؤُه عن ظهر قلبٍ.

وفي حديث معتمر بن سليمان عن أبيه فقال نبيُّ الله ﷺ ـ وهو خائفٌ يرعدُ ـ :

« ما قرأتُ كتاباً قطُّ، وما أُحسنُه، وما أكتبُ، وما أقرأُ، فأخذه (جبريلُ)[١] فغتَّهُ غَتّاً شديداً ثمّ تركه فقال له: اقرأ، فقال محمّدٌ ﷺ: ما أرى شيئاً أقرؤُه، وما أقرأُ، وما أكتبُ » .

أخرجهُ الحافظُ أبو نعيمٍ في « دلائله »[٢]؛ فهذا يدلُّ على هذا المعنى الذي ذكرناهُ ثانياً .

ووقعَ في حديث عُبيد بن عمير: « ما أقرأُ » وهذا يحتملُ أن يكون نفياً و أن يكون استفهاما كما ذكره القاضي ، ويُرَجِّحُ كونَه نفياً روايةُ « الصّحيحين »: « ما أنا بقارىء » على ما بيّنّاهُ من المعنيين، ويُرجِّحُ كونَه استفهاماً أنّه قال في هذه الرّواية في المرّة الثّالثة: « قلتُ : وما أقرأُ، ما أقولُ ذلك إلاّ افتداءً منه أن يعودَ لي بما صنعَ بي ».

وفي « مغازي موسى بن عقبة » : « فقال له جبريلُ: اقرأ، فقال: كيف أقرأُ؟ قال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[٣] ».

---

(١) من م .

(٢) لا يوجد في المطبوع من المنتخب من دلائل النّبوّة .

(٣) العلق : الآية ١ .

فهذا نصٌّ في الاستفهامِ، لكن اللّفظُ الذي في « الصّحيحين » يبعدُ أن يكون استفهاماً بسبب زيادة الباءِ في خبر المبتدأ، فلا يجوزُ أن تقول: زيدٌ بقائمٍ، وإنّما هذا من خصائص النّفيِ، وهذا على قول أكثر النّحويين.

وحُكي عن أبي الحسن الأخفش منهم أنّه أجازَ ذلك واستدلّ بقوله تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ بِمِثْلِهَا﴾[1] وقال: الخبرُ مثلُ المبتدأ، فكما جازَ زيادةُ الباء في المبتدأ نحو: بحسبك زيدٌ، جازَ زيادتُها في الخبر، فعلى مذهب الأخفشِ تَتّفِقُ روايةُ « الصّحيحين » وروايةُ ابن إسحاق، ويكونُ معنى الاستفهامِ: أي شيءٍ أنا قارئه، فإن قلنا: إنّه استفهامٌ فظاهرٌ من حيث أنّ حالَه ﷺ حينئذٍ كانت تقتضي ذلك، وإن قلنا: إنّه نفيٌ على المعنى الثّاني فظاهرٌ أيضاً لأنّه ﷺ كان أُمِّياً، وإن قلنا: هو نفيٌ بالمعنى الأوّل فقد بيّنّا وجهَ امتناعِه وهو خوفُه من عارضٍ يُلِمُّ به، ويحتملُ أن يكون قولُه أوّلاً : « ما أنا بقارىء » امتناعاً، وقولُه ذلك ثانياً إخباراً، وقولُه ذلك ثالثاً استفهاماً، فلمّا لم يجد بُدّاً من الامتثالِ أنصتَ فتلا عليه المَلَكُ.

قوله : « فأخذَني فغطّني » :

هكذا روايةُ « الصّحيحين » بالغين المعجمة والطّاء المهملة، ورُوي بالتّاء المُثنّاةِ مِن فوق في موضع الطّاء، تعاقبت الطّاءُ والتّاءُ على هذه اللّفظةِ لقُربهما في المخرج، ويُروى: « سَأَبَنِي » و« سَأَتَنِي » بالباء الموحّدةِ بعد الهمزةِ، وبالتّاء المُثنّاةِ فوق[2]، وبالسِّين المهملة فيهما، والكلُّ بمعنى الخنقِ

---

(١) الشّورى : الآية ٤٠ .

(٢) في م : من فوق .

والضّغط والعصر والغمّ، والعبارةُ المختصرةُ عنه أن يُقال: هو القبضُ الشّديدُ.

ويُقال : غَطَّهُ في الماءِ أي غمسهُ[١] .

قال الخطّابيُّ : « ومن ذلك غَطيطُ البكر وغطيطُ النّائم وهو ترديدُه النّفَسَ إذا لم يجد مساغاً مع انضمام الشّفتين »[٢].

قال أبو نعيمٍ الأصبهانيُّ : ويُروى « فغمَّهُ » بالميم .

قال السُّهيليُّ : « وأحسبُه أيضاً يُروى « فَذَعَتَنِي » أي خنقني يعني بالذّال المعجمةِ والعَيْنِ المهملةِ والتّاءِ المثنّاةِ من فوق »[٣] .

قال[٤] : « ومِن الذَّعْتِ حديثُه الآخَرُ : إنّ الشّيطانَ عرضَ له وهو يُصلّي قال: فَذَعَتُّهُ حتّى وجدتُ بَرْدَ لسانِه على يدي »[٥].

---

(١) في م زيادة : فيه .

(٢) أعلام الحديث ١/١٢٨ .

(٣) الرّوض الأنف ١/٢٧١ - ٢٧٢ .

(٤) أي السّهيلي في الرّوض الأنف ١/٢٧١ - ٢٧٢ .

(٥) أخرجه البخاري ٣/٨٠، رقم: ١٢١٠، ومسلم ١/٣٨٤، رقم: ٣٩، عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ أنّه صلّى صلاةً قال: إنّ الشّيطان عرض لي فشدّ عليّ ليقطع الصّلاة عليّ، فأمكنني الله منه فذعتّه ... » الحديث واللّفظُ للبخاري ، وليس عند الشّيخين جملة : « حتّى وجدتُ برد لسانه على يدي »، وقد أخرجها النّسائيُّ في الكبرى ٦/٤٤٢ ــ ٤٤٣، رقم: ١١٤٣٩ من طريق أبي بكر بن عيّاش، عن حُصين، عن عبيد الله، عن عائشة أنّ النّبيّ ﷺ كان يصلّي فأتاه الشّيطانُ فأخذه، فصرعه فخنقه، قال رسول الله ﷺ: حتّى وجدتُ بردَ لسانه على يدي ... » الحديث.

قولُه : « حتّى بلغ منّي الجهد » :

يُروى بضمِّ الجيم وبفتحِها، وبرفعِ الدّال وبنصبِها؛ فالجُهْدُ: بالضّمِّ الطّاقةُ والوُسْعُ، وبالفتحِ التّعبُ والشِّدّةُ، ورفعُ الدّال على معنى أنّ « الجهدُ » فاعلُ « بلغَ » أي بلغَ الجهدُ منّي مبلغَهُ أو مبلغاً عظيماً فأبهمَهُ لذلك، ونصبُ الدّال على معنى أنّ المَلَكَ بلغَ منه الجهد فهو مفعولٌ.

قال عياض : « أي بلغَ الغايةَ والمبالغةَ والمشقّةَ »[١].

وقال القزّازُ : قولُه : « حتّى بلغ منّي الجهد » أي أقصى ما أقدرُ عليه وهو الجهدُ، والجهدُ بفتح الجيم وضمِّها لغتان يُقال: بلغ منّي الأمرُ جَهدَه وجُهدَه ومجهودَه.

وفي حديث عُبيد بن عميرٍ : « فغتّني حتّى ظننتُ أنّه الموتُ »، ثمّ ذكر أنّه فعلَ ذلك به ثلاثاً.

فإن قلتَ : لم فعلَ به المَلَكُ ذلك ؟

قلتُ : قال المهلّبُ : « فيه من الفقه أنّ الإنسان يُذَكَّرُ ويُنَبَّهُ على فعلِ الخيرِ بما عليه فيه مشقّةٌ »[٢].

قال غيرُه : وفيه دليلٌ على أنّ المستحبَّ في مبالغةِ تكريرِ التّنبيهِ والحضِّ على التّعليم ثلاث مرّاتٍ، وقد رُوي عنه عليه السّلام أنّه كان إذا قال شيئاً أعاده ثلاثاً للإفهام[٣].

---

(١) إكمال المعلم ١/٦٢٩ - تحقيق شواط.

(٢) قول المهلّب ذكره ابنُ بطّالٍ في شرح صحيح البخاري ١/ل ٢ ب .

(٣) يشيرُ المؤلّفُ إلى ما أخرجه البخاريُّ ١/١٨٨، رقم : ٩٥ من حديث أنس عن النّبيّ ﷺ أنّه كان إذا تكلّم بكلمةٍ أعادها ثلاثاً حتّى تُفهم عنه. وانظر شرح صحيح البخاري لابن بطّال ١/ل ٢ ب.

وقال القاضي عياض : « وهذا الغَطُّ من جبريل له عليهما السّلامُ شُغْلٌ[١] له عن الالتفاتِ إلى شيءٍ من أمر الدُّنيا، وإشعارٌ بالتّفرُّغِ لما أتاهُ به، وفعلُ ذلك ثلاثاً فيه تنبيهٌ على استحباب تَكرار التّنبيه ثلاثاً، وقد استدلّ به بعضُهم على جواز تأديب المُعلِّم للمتعلِّمين ثلاثاً »[٢].

قال[٣] : « وقال أبو سليمان[٤] : وإنّما كان ذلك ليبلُوَ صبرَه، ويُحْسِنَ تأديبَهُ، فيرتاضَ لاحتمال ما كُلِّفَهُ من أعباء النُّبوّة؛ ولذلك كان يعتريه مثلُ حالِ المحمومِ، وتأخذُه الرُّحَضاءُ، أي البُهْرُ والعَرَقُ ـــ قال[٥] ـــ: وذلك يدلُّ على ضعف القُوّة البشريّة، والوجَلِ لتوقُّع تقصيرِ فيما أُمر به وخوف أن يقول غيره »[٦].

قلتُ :

وقد ذكرنا كلامَ الخطّابيّ في ذلك وكلامُ السُّهيليّ قريبٌ منه فإنّه قال: وكأنّ ذلك إظهارٌ للشّدّةِ والجَدِّ في الأمر وأن يأخُذَ الكتابَ بقُوّةٍ ويترُكَ الأناةَ فإنّه أمرٌ ليس بالهُوَيْنَى .

---

(١) في إكمال المعلم : إشْغالٌ .

(٢) ذكر ذلك ابنُ بطّالٍ في شرح صحيح البخاري ١/ل ٢ ب .

(٣) أي القاضي عياض .

(٤) أي الخطّابي .

(٥) أي الخطّابي .

(٦) إكمال المعلم ١/٦٢٩ ـــ ٦٣٠. وبعضُ كلام الخطّابي المنقول هنا مذكورٌ في أعلام الحديث ١/١٢٢ له.

قال : وقد انتزعَ بعضُ التّابعين وهو شريحٌ القاضي من هذا أن لا يُضرب الصّبيُّ على القرآن إلاّ ثلاثاً كما غَطّ جبريلُ محمّداً صلّى الله عليهما وسلّم ثلاثاً.

قلتُ :

هذا المعنى الذي ذكره السُّهيليُّ مناسِبٌ حسنٌ على قولنا : إنّ قولَه : « ما أنا بقارىء » استفهامٌ أو إخبارٌ عن أنّه أمِّيٌّ، ويشهدُ له إتيانُ الوحي إليه في مثل صلصلة الجرس، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾(١).

وأمّا إن حملنا قولَه: « ما أنا بقارىء » على الامتناعِ من القراءة جملةً فما فعلهُ به جبريلُ هو من باب تأديب المُعَلِّم ورياضةِ المتعلِّمِ، وقد يحتملُ أن يكون المَلَكُ من أوّل وهلةٍ قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾(٢) كما قال له ذلك في المرّة الرّابعة، أو كان ذلك في ذهن المَلَكِ فلمّا لَفَظَ بقوله: ﴿اقْرَأْ﴾ ظنّ النّبيُّ ﷺ أنّه مُقتصِرٌ عليها(٣) آمِرٌ له بأن تصدُرَ منه قراءةٌ، فبادر ﷺ ـ من خوفِه أن يكون عرض له ـ إلى الامتناع أو إلى الإخبار عن حالِه أو إلى الاستفهام على ما تقدّم من المعاني الثّلاثة، ففعلَ به المَلَكُ ما فعل لامتناعِه إن حملناه على الامتناع، ولعجلتِه إن حملناه على المعنيين الآخَرين، فلمّا كان بَعْدَ الثّالثةِ أنصت النّبيُّ ﷺ فتلا المَلَكُ الآيات.

---

(١) المزمّل : الآية ٥ .

(٢) العلق : الآية ١ .

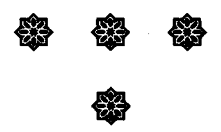
(٣) في م : عليه .

قال السُّهيليُّ :

« وعلى رواية ابن إسحاق أنّ ذلك في نومِه كان يكونُ في تلك الغَطّاتِ الثّلاثِ من التّأويل ثلاثُ شَدائدَ يُبتلى بها أوّلاً ثمّ يأتي الفَرَجُ والرَّوْحُ، وكذلك كان لقيَ هو وأصحابُه شِدّةً من الجوعِ في شِعْبِ الخَيْفِ حين تعاقدتْ قريشٌ أن لا يَبيعوا منهم ولا يتركوا مِيرَةً تصلُ إليهم، وشدّةٌ أخرى من الخوفِ والإبعادِ بالقتل، وشدّةٌ أخرى من الإجلاء عن أحبِّ الأوطان إليه، ثمّ كانت العاقبةُ للمتّقين، والحمدُ لله ربِّ العالمين »[1].

قلتُ :

هذا تأويلٌ حسنٌ لو لم يقع في اليقظةِ مثلُه، أمّا إذا كان قد وقعَ في اليقظةِ عينُ ما رآه في النّوم فهو تفسيرُه والله أعلم.



(١) الرّوض الأنف ١/٢٧٢ .

فصلٌ

وقد تكلّم العلماءُ في شرح الآيات التي نزلتْ عليه حينئذٍ وبيان مناسبتها لتلك الحال.

قال السُّهيليُّ : « قيل له ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أي إنّك لا تقرؤُه بحَوْلِكَ، ولا بصفة نفسِك، ولا بمعرفتِك، ولكن اقرأ مُفتتِحاً باسم ربِّك مُستعيناً به، فهو يُعلِّمُك كما خلقك وكما نزعَ عنك علقَ الدّمِ »[1].

قلتُ : في قوله : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ قولان :

أحدُهما : أنّ الباءَ زائدةٌ كقوله :

❁ ونَرْجُوا بالفَرَجِ[2] ❁

❁ لا يقرَأْنَ بالسُّوَرِ[3] ❁

❁ لا يَقْرَأْنَ بسُورة الأحْزَابِ ❁

---

(١) الرّوض الأنف ١/٢٧٠ .

(٢) للنّابغة الجعدي : نحنُ بنُو جَعْدَةَ أصحابُ الفَلَجْ نضربُ بالسّيفِ ونرجُو بالفَرَجْ
انظر ديوان النّابغة ـ الملحقات ص ٢١٦. أي نرجُو الفَرَج، والباءُ زائدةٌ لا تتعلّقُ بشيءٍ. انظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ١/٢٨٤، ومغني اللّبيب ١/١٠٨.

(٣) من بيتٍ هو : هُنَّ الحَرائرُ لا ربّاتُ أَحْمِرَةٍ سُودُ المَحاجرِ لا يَقْرَأْنَ بِالسُّوَرِ
وهذا البيتُ يُروى لشاعرين متعاصرين أحدُهما القتّال الكلابي، والثّاني الرّاعي النّميري، انظر ديوان القتّال الكلابي ص ٥٣، ومجالس ثعلب ١/٣٠١، وخزانة الأدب ٣/٦٦٧.

وهو كثيرٌ، أي اقرأ اسمَ ربِّك بمعنى اذكُرْ أسماءَهُ وصفاتَهُ وما يستحِقُّ أن يُنعتَ به من صفاتِ الجلالِ والكمالِ، ونزِّههُ عمّا لا يليقُ به كقوله: ﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وذَرُوا الذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[1] يعني المشركين الذين يصفونه بما لا يليقُ بجلالِه كقولهم: الملائكةُ بناتُ الله، وكتسميتِهم آلهتَهُم اللاّتَ والعُزّى ومناةَ ونحوَها، وكما يقولُه فرقُ النّصارى في أقانيمهم.

والقولُ الثّاني : أنّ الباء ليست بزائدةٍ بل هي لأحد معنيين :

الأوّل : أنّه من باب قولك : فعلتُ هذا بعونِ الله وتوفيقِه، أي مُلتبساً به يُراد بذلك[2] بركةُ الفعلِ وإسنادُه إلى خالقِه ومُريدِه، يُقال: فعلتُ كذا باسم الله وعلى اسم الله قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللهِ﴾[3].

وقال امرؤ القيس :

فقالتْ على اسمِ الله أمرُك طاعةٌ[4]

والثّاني : أنّ التّقديرَ : اقرأ مُفتتحاً باسم الله، أي لتكن قراءتُك أبداً مُفتتحةً باسم الله، إشارةً إلى الابتداء بتسمية الله وهي ذِكْرُهُ في ابتداء القراءةِ، كما سَنَّ ذِكْرَهُ تعالى في ابتداء كلِّ أمرٍ ذي بالٍ، وهذا مسنونٌ

---

(١) الأعراف : الآية ١٨٠ .

(٢) في م : به .

(٣) هود : الآية ٤١ .

(٤) لم أقف عليه في ديوان امرىء القيس .

مجمعٌ عليه بدليل الاستعاذة، وبالغ المُبَسْمِلُون في أوائل السُّوَرِ فقالوا: هذا إرشادٌ إلى شرعيّة البسملة في أوائل السُّوَرِ حتّى قال السُّهيليُّ: وفي قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ من الفقهِ وجوبُ استفتاحِ القراءة ببسم الله .

قلتُ :

وهذا ضعيفٌ إذ الاحتمالاتُ السّابقةُ في هذه اللّفظةِ تُعارِضُ ما ذكرهُ، فكيف يثبتُ شيءٌ تُعارِضُه أشياءُ، هذا لو تساوتْ الاحتمالاتُ، ولا حاجةَ لنا - والحمدُ لله - إلى إثباتِ شرعيّة التّسمية في أوائل السُّوَرِ بهذا الدّليل بل هي ثابتةٌ بأدلّةٍ قويّةٍ أرشدني الله تعالى بتوفيقِه إلى جمعِها في مصنّفٍ مستقلٍّ مُطَوَّلٍ ومُختصَر.

والذين لا يرون التّسميةَ مشروعةً في أوائل السُّوَرِ استدلُّوا بهذه الآية في جملة ما استدلُّوا به، ونقل القاضي عياض عن القاضي أبي الحسن بن القصّار أنّه قال: وفي قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ردٌّ على الشّافعيّ في أنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم آيةٌ من كلِّ سورةٍ وهذه أوّلُ سورةٍ نزلتْ وليس ذلك فيها[1] .

قلتُ :

هذا من جملة شُبههم التي اعتمدوا عليها في تقرير مذهبهم وقد ذكرناها في « كتاب البسملة »، وأجبنا عنها بتوفيق الله عزّ وجلّ، وكان من جوابِ هذا أن قُلنا: « لا ضَرَرَ في ذلك فقد تكونُ البسملةُ نزلتْ بعد

---

(١) هذا النّقل عن ابن القصّار ذكره أيضاً المؤلّفُ في كتابه البسملة ١/ل ٦٣، وابنُ بطّالٍ في شرح صحيح البخاري ١/ل ٢ ب.

ذلك وجُعلتْ أوّلَها[١] كنظائرَ لها من الآياتِ كثيرةٍ تأخّر نزولُها وتقدّمت على غيرها.

وقال بعضُ أصحابنا : أُشير بـ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى السُّورة كقولك: قرأتُ الحمدَ، فلا يدلُّ على أنّه لم يُقرئهُ البسملةَ »[٢].

وروى الشّيخُ أبو حامدٍ الإسفرايينيّ[٣] في « تعليقه » عن نافعٍ عن ابن عمر أنّ النّبيّ ﷺ قال: « أوّلُ ما أَلْقَى عَلَيَّ جبريلُ بسم الله الرّحمن الرّحيم »[٤].

وفي « تفسير أبي بكر النّقّاش »[٥] عن ابن عبّاس وغيره قال : « أوّل

(١) في كتاب البسملة : أوّل السُّورة .

(٢) كتاب البسملة للمؤلّف ١/ل ١٢٦ ب .

(٣) أبو حامدٍ أحمدُ بن محمّد بن أحمد الإسفراييني شيخُ الشّافعيّة ببغداد، توفّي سنة ٤٠٦هـ، وكتابه التّعليقة يقع في نحو خمسين مجلّداً، ذكر فيها مذاهبَ العلماء، وبسط أدلّتها والجواب عنها، انظر سير أعلام النّبلاء ١٧/١٩٣ - ١٩٧.

(٤) عزاه المؤلّفُ أيضاً في كتابه البسملة ١/ل ١٢٦ ب لأبي حامدٍ الإسفراييني في تعليقه ثمّ قال: « وقد حكى ذلك عنه سليمُ بن أيّوب في كتابه وقال: أوّل ما أنزل عليّ جبريلُ بسم الله الرّحمن الرّحيم. ولعلّه أراد ما في سنن أبي الحسن الدّارقطني ـ وهو فيه ١/٣٠٥ ـ عن داود بن عطاء ـ وليس بالقويّ ـ عن موسى بن عقبة، عن نافعٍ، عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: كان جبريلُ إذا جاءني بالوحي أوّل ما يُلقي عليّ بسم الله الرّحمن الرّحيم. فإن كان أراد هذا فدلالتُه ضعيفةٌ ». وقد ضعّف رواية الدّارقطني السّيوطيُّ في الدّرّ المنثور ١/٢٦.

(٥) هو المقرىءُ المفسّرُ أبو بكر محمّد بن الحسن البغدادي النّقّاش، صاحب التّفسير المسمّى شفاء الصّدور، توفّي سنة ٣٥١هـ. قال طلحة بن محمّد الشّاهد: كان النّقّاش يكذبُ في

=

ما نزل به جبريلُ عليه السّلام على النّبيّ ﷺ بسم ا لله الرّحمن الرّحيم ».

قولُه : ﴿ الذِي خَلَقَ ﴾ :

أي الخالقُ أُريد إثباتَ هذه الصّفة له على الخصوص فحذف المفعول إذ كان المرادُ إثبات أصل الصّفةِ من غير نظرٍ إلى تعيين المخلوق إذ هو الذي يخلقُ لا خالقَ سواهُ، وهذا معنى قول أبي العبّاس المبرّد: المرادُ به ذِكْرُ الفاعلِ فحسبُ.

فإذا اتّضح أنّ هذا المعنى هو المراد لم يحتجّ إلى إظهار المفعول إذ لو أظهر لكان التّقديرُ: الذي خلقَ كلَّ شيءٍ أو خلقَ العالَم.

وقيل : التّقديرُ : خلقكَ ، فيكون خاصّاً .

وقولُه بعد ذلك : ﴿ خَلَقَ الإنْسَانَ ﴾ :

المرادُ بالإنسان على القول الثّاني مَن خُوطب بالكاف في ﴿خَلَقَكَ﴾ على الالتفاتِ، أو أرادَ جنْسَ الإنسانِ وهو كلُّ مخلوقٍ من نسل آدم عليه السّلام. وعلى القول الأوّل يكون تخصيصاً بعد تعميمٍ لعظمِ شأن الإنسان وكرامتِه على ربِّه عزّ وجلّ .

و ﴿ **العَلَق** ﴾ : جمعُ عَلَقةٍ وهي الدّمُ الجامدُ وغيرُه يُقال له المسفوحُ، وإنّما جُمع هنا لأنّ المرادَ بالإنسانِ الجنسُ على القول الأوّل وهو الأصحُّ الأقوى، وقيل : المرادُ بالإنسانِ آدمُ عليه السّلام .

الحديث والغالبُ عليه القَصَصُ. وقال البرقانيُّ: كلُّ حديث النّقّاش منكرٌ. وقال اللاّلكائيُّ: تفسيرُ النّقّاش إشْفَى الصّدور لا شِفاء الصّدور. والإشفى: المثقّبُ يخرز به يستعمله الإسكافُ. وقال الخطيبُ: في حديثه مناكيرُ بأسانيد مشهورة. انظر سير أعلام النّبلاء ١٥/٥٧٤ ـ ٥٧٦.

وقولُه : ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ :

أي من طينٍ أي يعلق بالكفِّ، ثمّ أكّد الأمرَ بالقراءة فكرّرهُ في مقابلة قوله: « ما أنا بقارىء » مراراً، أي اقرأ وإن كنتَ أُمّيّاً، وكيف تستبعدُ القراءةَ وربُّك الأكرمُ الذي علّم النّاسَ الكتابةَ بالقلم.

قال العلاّمةُ أبو القاسم[١] :

« الأكرمُ الذي له الكمالُ في زيادة كرمِه على كلِّ كرمٍ، يُنْعِمُ على عبادِه النِّعَمَ التي لا تُحْصَى، ويحلم عنهم فلا يُعاجلهم بالعقوبةِ مع كفرِهم وجحُودِهم لنعمِه وركوبِهم المناهي واطِّراحِهم الأوامر، ويقبلُ توبَتهم ويتجاوزُ عنهم بعد اقتراف العظائم، فما لكرمِه غايةٌ ولا أمدٌ، وكأنّه ليس وراءَ التّكرُّمِ بإفادة الفوائد العلميّة تكرُّمٌ حيث قال: ﴿**الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[٢]، فدلّ على كمال كرمِه بأنّه علّمَ عبادَه ما لم يعلمُوا، ونقلهُم من ظُلمة الجهلِ إلى نُور العلمِ، ونبّه على فضلِ علم الكتابةِ لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يُحيطُ بها إلاّ هُو، وما دُوِّنتْ العلومُ ولا قُيِّدَتْ الحِكَمُ ولا ضُبطتْ أخبارُ الأوّلين ومقالاتُهم ولا كتبُ اللهِ المنزلةُ إلاّ بالكتابة، ولولا هي لما استقامتْ أمورُ الدِّين والدُّنيا، ولو لم يكن على دقيقِ حكمة الله ولطيفِ تدبيرِه دليلٌ إلاّ أمرُ القلمِ والخطِّ لكفى به »[٣] .

---

(١) الزّمخشريّ .

(٢) العلق : الآيات ٣ - ٥ .

(٣) الكشّاف ١/٢٢٣ - ٢٢٤ .

قلتُ : فالواوُ في قوله : ﴿وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ للحال، و﴿رَبُّكَ﴾ مبتدأٌ و﴿الأَكْرَمُ﴾ خبرُه أو صفتُه، و﴿الذِي عَلَّمَ﴾ خبرُه، أي علّم القرآنَ بأن كتبهُ في اللّوحِ المحفوظِ فقُرىء ونُقل، وقيل: علّم الكتابةَ بخلقِ القلمِ ثمّ عَمَّمَ وقال: ﴿عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، أي كلَّ شيءٍ لم يكن يعلمُه ممّا فيه صلاحُ دينِه ودنياه، ولم يأتِ بواو العطفِ.

وقيل : ﴿عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ بيانٌ لقوله: ﴿عَلَّمَ بِالقَلَمِ﴾.

و المرادُ بالإنسان الجنسُ أي علّمه الكتاب، علّمه ما لم يعلم.

وقيل : المرادُ بالإنسان هنا آدمُ لأنّه سبحانه علّمه أسماءَ كلِّ شيءٍ.

وقُرىء شاذّاً : عَلَّمَ الخَطَّ بالقَلَمِ[١] .

وقيل : المرادُ بالإنسانِ النّبيُّ محمّدٌ ﷺ حيث عُلِّمَ البديهياتِ والنّظريّات ، و عُلِّمَ ما كان و ما يكونُ و هو أمّيٌّ ؛ فعلى هذا المرادُ بـ : ﴿عَلَّمَ﴾ يُعَلِّمُ، لأنّ هذا أوّلُ ما نزل .

وفي ابتدائه بإنزال هؤلاء[٢] الآيات عليه التّنبيهُ على النّظر والفكر المُؤدّيين إلى علم التّوحيد لذِكْرِ الرُّبوبيّةِ المنتظمةِ للتّربية والتّدبير واللُّطف بالصّحّة والرّزق.

وتنبيهٌ ثانٍ على الاستدلال بما يراهُ من خَلْقِ جنسِه من أهلِه وولدِه وغيرِهم ممّا يعلم أنّ حالَهُ وحالَهُم فيه سواءٌ، من ظهورِهم أشخاصاً حيّةً

---

(١) ذكر أبو حيّان في البحر المحيط ٤٩٣/٨ أنّها قراءةٌ تُعزى لابن الزّبير وهي على سبيل التّفسير لا على أنّها قرآنٌ لمخالفتها سواد المصحف، وانظر الكشّاف ٢٢٤/٤.

(٢) في م : هذه .

مُتحرِّكةً من نطفةٍ مَواتٍ حاصلةٍ في الرّحم، حيث لا يصلُ إليها يدٌ ولا آلـةٌ ولا يمسُّها شيءٌ، بل يشهدُ العقلُ بأنّها تحولُ من حالٍ إلى حالٍ بإرادة حـيٍّ قادرٍ لا إله إلاّ هو سبحانه عمّا يُشركون.

وفي حديث عُبيد بن عميرٍ ـ بعد ذِكْرِ نزول الآيات ـ قال: « فقرأتُهـا ثمّ انتهى فانصرف عنّي، وهببتُ من نومي وكأنّما كَتب في قلبي كتاباً »[١].

وفي حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزُّبير قال: « فتـحَ جبريلُ عيناً من ماءٍ، فتوضّأ ومحمّدٌ ﷺ ينظرُ إليه، فوضّـأ وجهَـهُ ويديـه إلى المرفقـين، ومسـح برأسِـه ورجليـه إلى الكعبـين، ثـمّ نضـح فرجَـه، وسـجد سجدتين مواجهةَ البيتِ، ففعل محمّدٌ كما رأى[٢] جبريلُ يفعلُ »[٣].

قولُها : « فرجعَ بها رسولُ الله ﷺ » :

أي بالآيات الخمس الـتي أقـرأهُ إيّاهـا المَلَـكُ قرأهـا وحفظَهـا، فرجـعَ مُلتبساً بها حِفْظاً وذِكْراً، مُلاحِظاً لها مُفكِّراً في شأنها وأمرها.

قولُها : « يَرْجُفُ فؤادُه » :

هذه روايـةُ عقيـلٍ، وفي روايـة يونـس ومعمـرٍ: « تَرْجُـفُ بَـوادِرُه »، ومعنى « تَرْجُفُ » تتحرّكُ وتضطربُ، والرَّجْفَةُ: الحركـةُ الشّـديدةُ، يُقـال: رَجَفَ فؤادُه رُجُوفاً ورَجَفَاناً وهو أن يَرْعُدَ ويَخفِقَ .

---

(١) رواه ابنُ إسحاق، عن وهب بن كيسان، عن عبيد بن عميرٍ، انظر سيرة ابن هشام ٢٣٧/١.

(٢) في م : كان .

(٣) أخرجه البيهقيُّ في الدّلائل ١٤٥/٢ ـ ١٤٦ من طريق يعقوب بن سفيان، قال: حدّثنا عمـرو بـن خالدٍ وحسّانُ بن عبد الله، قالا: حدّثنا ابنُ لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزّبير به. وهـذا مرسلٌ، وابنُ لهيعة ضعيفٌ من قبل حفظه، وقد ضعف الحديثَ السّهيليُّ في الرّوض الأنف ٢٨٣/١.

والبوادِرُ : جمعُ بادِرَةٍ وهي لحمةٌ بين المنكب والعُنق .

وقيل : هي عُروقٌ تضطربُ عند الفزعِ .

وفي بعض الرّوايات : « بآدِلِه » وهي ما بين العُنق والتّرْقُوة واحدُها[1] بادِلَةٌ، وقيل: بَأْدَلٌ .

وقيل : البادِلَةُ أصلُ الثّدْي، وقيل: شحمُ[2] الثّديين، وقيل غيرُ ذلك.

قولُه : « **زَمِّلُوني** » أي لفّفوني، وكرّرَ لفظَ « زَمِّلوني » تأكيداً، وكلُّ شيءٍ لُفِّفَ في شيءٍ فقد زُمِّلَ .

وقال ﷺ في قتلى أُحدٍ : « زَمِّلُوهُم في ثيابِهم ودمائِهم »[3] أي لُفُّوهُم فيها، وتَزَمَّلَ الرّجلُ بثوبِه إذا اشتملَ به :

قال امرؤ القيس : ۞ كبيرُ أناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ[4] ۞

خفضَ لفظَ « مُزَمَّل » على الجِوار وفيه كلامٌ للنّحويّين ليس هذا موضعُه .

قال القاضي عياض : « الرَّجَفانُ الاضطرابُ وكثرةُ الحركةِ، ومنه ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبَالُ**﴾[5]، وهذا هو سببُ طلبِه أن يُزَمَّلَ ويُدَثَّرَ،

---

(١) في م : واحدتها .

(٢) في م : لحم .

(٣) أخرجه النّسائيُّ ٤/٣٨٢، رقم: ٢٠٠١، من طريق معمر، عن الزّهري، عن عبد الله بن ثعلبة به، وصحّح إسناده العلاّمةُ الألبانيُّ في أحكام الجنائز ص ٦٠.

(٤) ديوان امرىء القيس ص ٢٥ وصدرُه : كأنَّ أباناً في أفانينِ وَدْقِهِ .

(٥) المزمّل : الآية ١٤ .

أي يُغطّى ويُلَفُّ بالثّياب لشدّة ما أصابَهُ مِن هـول الأمـرِ ولحقَـهُ مِن شـدّةِ الغَطِّ وثِقَلِ الوحيِ، وإن كان قد قال بعضُ المفسّرين: إنّه إنّمـا كـان يفعـلُ هذا فَرَقاً من جبريل لأوّل ما يلقاهُ حتّى أَنِسَ به.

وقيل : بل قيل له : ﴿يا أَيُّهَـا المُدَّثِّـر﴾ و﴿المُزَّمِّـلُ﴾ لأنّـه حـين أتـاهُ الملكُ وجدَهُ مُتَزَمِّلاً مُلتفّاً بثوبه فنُودِي بصفة حالِه ـ قال[1] ـ: والأوّلُ أصحُّ وأولى لفظاً ومعنى، والمُزّمِّلُ والمُدَّثِّرُ واحـدٌ[2]، ويُقـال لكـلِّ مـا يُلقـى علـى الجسد دِثارٌ ولِلَفافةِ القِرْبَـةِ زِمـالٌ، ومعنـى المُزَّمِّـلِ والمُدَّثِّـرِ المُـتَزَمِّلُ والمُتَدَثِّـرُ أُدغِمتْ التّاءُ فيما بعدها، وقد جاء في أثرٍ أنّهما من أسمائه عليه السّلام »[3].

قلتُ :

الدِّثارُ هو ما يُلقى على الجسدِ فوق الشِّعار، والشِّعارُ هو الـذي يلـي الجسدَ، ومنه قولُ النّبيّ ﷺ: « الأنصارُ شِعارٌ، والنّاسُ دِثـارٌ »[4] إشـارةً إلى قُربِهم منه.

قولُها : « فزَمَّلُوهُ حتّى ذهب عنه الرَّوْعُ » :

أي ففعلوا ما أمرهُم به، وفي بعـض الرّوايـات: « زَمِّلُونـي فَدَثَّـرُوهُ »، وفي أخرى: « دَثِّرُوني فَدَثَّرُوهُ »، لأنّ الكُلَّ بمعنى واحدٍ .

---

(١) أي القاضي عياض .

(٢) في إكمال المعلم : والتّزمّلُ والتّدثّرُ واحدٌ .

(٣) إكمال المعلم ١/٦٣٢ ـ ٦٣٣ .

(٤) أخرجه البخـاري ٨/٤٧، رقـم: ٤٣٣٠، ومسـلم ٢/٧٣٨ ـ ٧٣٩، رقـم: ١٣٩، مـن حديث عبد الله بن زيد بن عاصم.

و « الرَّوْعُ » : بفتح الرّاءِ الفَزَعُ وشدّةُ الخوفِ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾(١)، يُقال: رُعْتُهُ ورَوَّعْتُهُ وكأنّ حقيقتَهُ: أصابَ رُوعَهُ بضمِّ الرّاءِ أي خَلَدَهُ لأنّ الفَزَعَ تأثيرُه في القلبِ والله أعلمُ .

قولُها : « ثمّ قال لخديجة : أيْ خديجةُ مالي؟ وأخبرَها الخبرَ » :

هذه روايةُ يونس .

« **أَيْ** » : حرفٌ من حروف النّداء .

و « **مَالي** » : استفهامٌ على سبيل الخوفِ أي: أيُّ شيءٍ عَرَضَ لي.

وفي رواية عقيلٍ : « فقال لخديجة وأخبرها الخبرَ » .

قال أبو الحسن عليُّ بن خلف بن بطّالٍ في « شرحه لكتاب البخاريّ » :

« رجوعُ النّبيّ ﷺ فَزِعاً فقال: زَمِّلُوني، ولم يُخبر بشيءٍ حتّى ذهبَ عنه الرَّوْعُ، فيه دليلٌ على أنّه لا ينبغي(٢) أن يُسْأَلَ الفازِعُ عن شيءٍ من أمرِه ما دامَ في حال فَزَعِه؛ ولذلك قال مالكٌ وغيرُه: إنّ المذعُورَ لا يلزمُه بيعٌ ولا إقرارٌ ولا غيرُه في حال فزعه »(٣).

وقولُه : « لقدْ خَشيتُ على نفسي » :

فيه دليلٌ على أنّ من نزلتْ به مُلِمَّةٌ أن يُشارِكَ فيها من يثقُ بنُصحِه ورأيِه، وذلك لأنّه ﷺ شاهدَ أمراً عظيماً جسيماً من أمر الله تعالى لم يَعْتَدْهُ ولم يسمعْ بمثلِه، فخاف لمّا كان ذلك بُداءَةُ أمرِه أن يكون حادِثاً حدثَ له

---

(١) هود : الآية ٧٤ .

(٢) في شرح صحيح البخاري لابن بطّال : لا يجب .

(٣) المصدر نفسه ١/ل ٢ب .

من جهة الجنِّ لأنّ أمرَ الكهانةِ كان في العربِ مُستفيضاً حينئذٍ حتّى كان الرّجلُ منهم يقول: أَخْبَرَني رَئِيِّي بكذا ولفلانٍ رئِيٌّ .

قال القاضي عياض :

« قولُه: لقد خشيتُ على نفسي، ليس بمعنى الشّكِّ فيما آتاهُ الله[1]، لكنّهُ عَساهُ خشيَ أن لا يَقوى على مُقاومةِ هذا الأمرِ، ولا يَقْدِرُ على حملِ أعباء الوحيِ، فتزهقَ نفسُه، أو ينخلعَ قلبُه، لشدّة ما لقيهُ أوّلاً عند لقاء المَلَكِ، أو يكونَ قولُه هذا لأوّلِ ما رأى التّباشيرَ في النّومِ واليقظةِ وسمع الصّوتَ قبل لقاءِ المَلَكِ وتحقُّقِ رسالةِ ربِّه فيكونُ ما خافَ أوّلاً أن يكونَ من الشّيطان، فأمّا منذُ جاءهُ المَلَكُ برسالة ربِّه فلا يجوزُ عليه الشّكُّ فيه، ولا يخشى من تسلُّطِ الشّيطان عليه ـ قال[2] ـ: وعلى هذا الطّريق يُحمل كلُّ ما وردَ من مثل هذا في حديث المبعثِ »[3].

قال السُّهيليُّ :

« تكلّم العلماءُ في (معنى)[4] هذه الخَشية وأنّها كانت منه قبل أن يحصُلَ له العلمُ بأنّ الذي جاءهُ مَلَكٌ من عند الله، وكان أشقَّ شيءٍ عليه أن يُقال عنه مجنونٌ »[5] .

---

(١) في بعض نسخ إكمال المعلم : أتاهُ من الله .

(٢) أي القاضي عياض .

(٣) إكمال المعلم ١/٦٣٤ .

(٤) من م .

(٥) الرّوض الأنف ١/٢٧٥ .

قال(١) : « ولم يرَ الإسماعيليُّ أنّ هذا محالٌ في مبدإ الأمرِ؛ لأنّ العلمَ الضّروريَّ قد لا يحصلُ دُفْعَةً واحدةً، وضربَ مثلاً بالبيتِ من الشِّعْرِ يُسمَعُ أوّلُه فلا يُدْرى(٢) أنظمٌ هو أم نثرٌ، فإذا استمرّ الإنشادُ علمتَ قطعاً أنّه قُصد به قصد الشِّعْرِ، كذلك لمّا استمرّ الوحيُ واقترنت به القرائنُ المقتضيةُ للعلم القطعيّ حصلَ العلمُ القطعيُّ، وقد أثنى الله عليه بهذا العلمِ فقال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ ـ إلى قوله ـ: وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾(٣)، وإيمانُه عليه السّلام بالله وملائكتِه إيمانٌ كسبيٌّ موعودٌ عليه بالثّواب الجزيل كما وُعد على سائر أفعالِه المُكتسَبةِ، كانت من أفعال القلب أم من أفعال الجوارح »(٤).

قال(٥) : « وقد قيل في قوله : لقد خشيتُ على نفسي » أي خشيتُ أن لا أنهضَ بأعباء النُّبوّة وأن أَضْعُفَ عنها، ثمّ أزال الله خشيتَهُ ورزقَهُ الأَيْدَ والقُوّةَ والثّباتَ والعِصمةَ »(٦).

(١) أي السُّهيلي .
(٢) في الرّوض الأنف : تسمع أوّله فلا تدري .
(٣) البقرة : الآية ٢٨٥ .
(٤) الرّوض الأنف ١/٢٧٥ .
(٥) أي السّهيلي .
(٦) المصدر نفسه .

قال : « وقد قيل في معنى الخَشيةِ أقوالٌ[١] رغبتُ عن الإطالةِ بذِكْرِها »[٢].

قلتُ :

المعنى الأوّلُ هو المرادُ صرّح به في حديث عُبيد بن عميرٍ قال[٣]: قال النّبيُّ ﷺ: « ولم يكن مِن خلق الله أحدٌ أبغضَ إليّ مِن شاعرٍ أو مجنونٍ، كنتُ لا أُطيقُ أن أنظُرَ إليهما، قال: قلتُ: إنّ الأبعدَ - يعني نفسَهُ - لشاعرٌ أو مجنونٌ، لا تحدّث عنّي قريشٌ بهذا أبداً، لأعمدنّ إلى حالقٍ من الجبل فأطرحنَّ نفسي عليه فلأقتُلَنّها فأستريحنّ، قال: فخرجتُ أريدُ ذلك حتّى إذا كنتُ في وسط الجبل سمعتُ صوتاً من السّماء يقول: يا محمّد، أنت رسولُ الله وأنا جبريلُ، قال: فرفعتُ رأسي إلى السّماء أنظرُ، فإذا جبريلُ في صورة رجلٍ صافٌّ قدميه في أفق السّماء يقول: يا محمّد، أنت رسولُ الله وأنا جبريلُ، قال: فوقفتُ أنظرُ إليه وشغلني ذلك عمّا أردتُ، فما أتقدّمُ وما أتأخّر، وجعلتُ أصرف وجهي في آفاق السّماء فلا أنظرُ في ناحيةٍ منها إلاّ رأيتُه كذلك، فما زلتُ واقفاً ما أتقدّمُ أمامي وما أرجعُ ورائي حتّى بعثتْ خديجةُ رسلَها في طلبي، فبلغُوا مكّة ورجعوا إليها وأنا واقفٌ في مكاني، ثمّ انصرف عنّي وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي حتّى أتيتُ خديجةَ فجلستُ إلى فخذِها مضيفاً إليها فقالت: يا أبا القاسم، وأين كنتَ فو الله لقد بعثتُ رسلي في طلبِك حتّى بلغُوا مكّة ورجعُوا إليّ، قلتُ: إنّ

(١) في الرّوض الأنف زيادةُ : غيرُ هذه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) غير مثبتة في م .

الأبعدَ لشاعرٌ أو مجنونٌ، فقالت: أُعيذُك با لله من ذلـك يـا أبـا القاسـم، مـا كان ا للهُ ليصنع ذلك بك مع ما أعلمُ منـك مـن صـدق حديثِـك، وعظيـمِ أمانتِك، وحُسن خُلُقِك، وصلةِ رحمِك، وما ذلك يا بن عمّ، لعلّـك رأيـتَ شيئاً؟ قال: قلتُ: نعم، ثمّ حدّثتُها بالذي رأيتُ، فقالت: أبشِر يـا بـن عـمّ واثبُتْ فو الذي نفسُ خديجة بيده إنّي لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأُمّة »[١].

قلتُ :

فقالت له خديجةُ ما قالت تُشجِّعُه بذلك، واستدلّت بما عهـدتْ مـن أخلاقِه الجميلةِ وصفاتِه الجليلـةِ علـى أنّ ا لله تعـالى لا يُسـلِمُه إلى مكـروهٍ، وكان هذا منها[٢] من أجلِّ مناقبِها وأتمِّ فضائلِها رضي ا لله عنها .

والمرادُ بالشّاعرِ في هذا الحديث مَن كان لـه تـابعٌ مـن الجـنّ يُسـاعِدُه على ما هو بصددِه نحو ما كـان يَجـري علـى لسـان سَـطِيحٍ وشِـقٍّ[٣] مـن الكلامِ المسجوعِ وغيرِه، وهو معنى وصفِ الكفرةِ لعنهم ا للهُ للنّبيّ ﷺ بأنّـه شاعِرٌ أي أنّه من ذلك القبيل قال ا للهُ تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ**﴾[٤] وا للهُ أعلم.

قولُها : « قالت له خديجةُ : كلاّ أبشِرْ » :

كلاّ : حرفُ رَدْعٍ وزَجْرٍ، ويُستعمل استعمالَ النّفي والتّبرئة والتّبعيـد كقول خديجة هنا، فهو ردٌّ لما قال لها .

(١) تقدّم تخريجُه ص ٧٨ .

(٢) غير مثبتة في م .

(٣) سطيحٌ وشِقٌّ : كاهنان من أهل الجاهليّة ، انظر عنهما أعلام الزّركلي ٣/١٤ ، ١٧٠ .

(٤) الأنبياء : الآية ٥ .

زادَ يونس في روايتِه بعد قولها « كَلاَّ »: « أبشِـرْ »، وليـس « أبشِـرْ » في رواية عقيلٍ. يُقال : أَبْشِرَ الرّجلُ بكذا أي سُرَّ به وفرح؛ فعلى هذا جاءَ « أَبْشِرْ » بقطعِ الهمزةِ كقوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾[١]، يُقـال: بَشَـرْتُهُ بكـذا وبَشَـرْتُهُ بـالتّخفيف والتّشـديد، وقُـرىء بهمـا[٢] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾[٣]، فَأَبْشَرَ هُوَ، فهو على هذا من باب كَبَّبْتُهُ فَأَكَبَّ، ممّا جـاء مُطاوِعُ ثُلاثيه على « أَفْعَلَ » وهو قليلٌ، والمعروفُ عكسُ ذلك نحـو: أَنْشَـرَ اللهُ الموتى فَنَشرُوا. ثمّ المُبَشَّرُ به تارةً يُذْكَرُ كمـا في الآيـة، وتـارةً يُحـذَفُ كما في الخبر، وتقديرُه: أَبْشِرْ بما يَسُرُّك ويُقِرُّ عينَك.

قولُها : « فو اللهِ لا يُخزيك اللهُ أبداً » :

اتّفق يونس وعقيل على رواية « يُخزيك » بالخاء المعجمة وبعد الزايِ ياءٌ، ورواه معمر عن الزُّهري: « يُحزنك » بالحاء المهملة والنّون من الحُزن، يُقال: حَزَنَهُ وأحزَنَهُ، وقد قُرىء بهما .

والخزيُ : بلوغُ غاية الـذُّلِّ والهـوان والانكسـار والفضيحـة قـال اللهُ تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[٤]، دلّ على أنّ الخزيَ أبلغُ من الـذُّلِّ، أي لا يفعلُ بك فعلاً يُخزيكَ مع فعلك الجميل.

---

(١) فصّلت : الآية ٣٠ .

(٢) في م زيادة : في نحو . والمـرادُ التّخفيـف والتّشـديد؛ فـالتّخفيفُ: يَبْشُـرُهُمْ، وهـي قـراءةُ حمزة، والتّشديدُ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾، وهي قراءةُ الجمهور، انظر التّيسير ص ٨٧ ـ ٨٨ للدّاني.

(٣) التّوبة : الآية ٢١ .

(٤) طه : الآية ١٣٤ .

ثمّ وصفتهُ بما اشتملَ عليه من الفضائل قال ابنُ بطّالٍ : هذا قياسٌ منها على العاداتِ والأكثرِ في النّاس في حُسن عاقبةِ مَن فعلَ الخيرَ.

وفيه جوازُ تزكيةِ الرّجلِ في وجهه بما فيه من الخير، وليس بمُعارضٍ لقوله عليه السّلام: « احثُوا التّرابَ في وجوه المدّاحين »[١]، فإنّما أرادَ بذلك إذا مدحُوه بالباطلِ وبما ليس في الممدوحِ.

قولُها : « وا للهِ إنّك لتصلُ الرّحِمَ » إلى آخرِه :

هذا القَسَمُ في رواية يُونس وسقطَ في رواية غيرِه؛ وصفتْهُ ﷺ بصفاتٍ شريفةٍ كانت مشهورةً فيه، وذلك من قِبَلِ ما زادَهُ ا للهُ تعالى من صفات النُّبوّة وآثار الرّسالة، وعلّمَهُ ما لم يكن يَعْلَم وكان فضلُ ا للهِ عليه عظيماً، فكان النّبيُّ ﷺ مشهوراً عند قومِه بالأمانةِ وصدقِ الحديثِ والإحسانِ إلى الأقارب وغيرهم.

والرّحمُ : كنايةٌ عن القَرابة، وصلتُها برُّ الأقارب والإحسانُ إليهم، وفي الحديث عن ا للهِ تعالى: « مَن وصلَها وصلتُه، ومَن قطعها بتتُّه »[٢]، أي لا تقطع قرابتَك ولا تمنع خيرَك بل تصلهم بجميل فعلِك.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٩٧/٤، رقم: ٦٩، وأحمد ٦/٥ واللّفظُ له - لكن مع تأخير كلمة : التّراب - ، من حديث المقداد رضي ا للهُ عنه. وللحديث شواهدُ استوفاها العلاّمةُ الألبانيُّ في الصّحيحة رقم : ٩١٢ .

(٢) أخرجه البخاري ٤١٧/١٠، رقم: ٥٩٨٨، من حديث أبي هريرة رضي ا للهُ عنه.عن النّبيّ ﷺ: « إنّ الرّحمَ شُجْنَةٌ من الرّحمن، فقال ا للهُ: من وصلكِ وصلتُه، ومن قطعكِ قطعتُه ».

قولُها : « وتصدُقُ الحديثَ، وتحمِلُ الكَلَّ » :

يُقال : صَدَقَ في الحديثِ ، وصَدَّقَ الحديثَ .

والكَلُّ : الثِّقَلُ من كلِّ شيءٍ في المُؤنَةِ والجسمِ يُقال: أَلْقَى فلانٌ على كَلِّه أي ثقله قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾[١] أي ثِقَلٌ وعِيالٌ على وليِّه وهو الذي لا يُغني نفسَهُ عن قائمٍ بمصالحِها، أرادتْ خديجةُ أنّه ﷺ يُعينُ الضّعيفَ العاجزَ عن نفسِه، أو تَعني أنّه ﷺ كان يتكفّلُ بأمورٍ تشُقُّ على حامليها[٢].

قال القزّازُ : ويجوزُ أن يكون قولُها : « وتحمِلُ الكَلَّ » أي تقومُ باليتيمِ لأنّ العربَ تجعلُ الكَلَّ اليتيمَ ومنه قولُ الشّاعر يذُمُّ رجلاً :

أكولٌ لمالِ الكَلِّ قبل شَبابِـــه

إذا كان عَظْمُ الكَلِّ غيرَ شديدِ[٣]

قال القاضي عياض : « الكَلُّ هنا بفتح الكافِ الثِّقَلُ، وقيل: أرادَ[٤] به الضّعيف. وقال بعضُهم: أراد به[٥] اليتيمَ والمُسافرَ وهو الذي أصابَهُ الكَلالُ »[٦].

---

(١) النّحل : الآية ٧٦ .

(٢) في م : حاملها .

(٣) تهذيب اللّغة ٤٤٦/٩، واللّسان ٥٩٤/١١ دون عزوٍ لقائله.

(٤) في إكمال المعلم : أرادت .

(٥) الضّعيف وقال بعضهم أراد به : ساقطة من م .

(٦) إكمال المعلم ٦٣٦/١ - ٦٣٧ .

قولُها : « وتُكسبُ المعدومَ » :

قال الخطّابيُّ : « صوابُه : وتُكسِبُ المُعْدِمَ لأنّ المعدومَ لا يدخلُ تحت الأفعال، تُريدُ أنّك تُعطي العائلَ وتَرْفدُهُ، وفيه لُغتان يُقال: كَسَبْتُ الرّجلَ مالاً وأَكْسَبْتُهُ، وأفصحُهما بحذفِ الألفِ »[١].

وقال غيرُه : « الذي ذُكِرَ أنّه محفوظٌ ووجدتُه في رواية أبي زيدٍ: المُعْدِمَ؛ فعلى هذا وصفتْهُ بالكرمِ وإعطاءِ الفقراءِ ».

قال : « وللمعدومِ صفةٌ زائدةٌ على العطاء والبذل لأنّ المعدومَ ما لا يوجدُ، فإذا قُرن في الذِّكْرِ بما يدلُّ على وجودِه فُهم أنّه النَّفيسُ الذي يعْدِمُه كثيرٌ من النّاسِ، فصفتُه ﷺ على هذا إنّما هي بإعطائه ما لاَ تَسخُو به نفسُ غيرِه ».

وقال الهرويُّ في « كتاب الغريبين » :

« يقال: فلانٌ يكسب المعدوم إذا كان مَجْدُوداً ينال[٢] ما يحرمه غيره[٣] يُقال: هذا آكَلُكُم للمأدومِ، وأكسبُكُم للمعدومِ، وأعطاكُم للمحرومِ، يُقال: عدمتُ الشّيءَ إذا فقدتُه، وأعْدمَ الرّجلُ فهو مَعْدُومٌ[٤] إذا افتقرَ »[٥] .

---

(١) أعلام الحديث ١/١٢٩ .

(٢) في الغريبين : يقال ، وهو تصحيفٌ .

(٣) وقال الهرويّ في كتاب الغريبين ... غيره : ساقطة من م .

(٤) في م : مُعْدِمٌ .

(٥) الغريبين ٤/١٢٣٨ ـ تحقيق المزيدي .

قال الجوهريُّ : « كَسَبْتُ أهلي خيراً، وكَسَبْتُ الرّجلَ مالاً فكَسَبَهُ ».
قال : « وهذا ممّا جاءَ على فَعَلْتُهُ فَفَعَلَ »[١] .
وقال ابنُ دريدٍ : « و أكسبتُه خطأً »[٢].
وقال ثعلب : « كلُّ النّاسِ يقولون : كَسَبَكَ إلاّ ابن الأعرابيّ فإنّه يقول: أَكْسَبَكَ »[٣]، وأنشدَ :

فأكسبني مالاً وأكسبتُهُ حَمْدا[٤]

وحكى ابنُ سيده : « كَسَبْتُ الرّجُلَ خيراً وأَكْسَبْتُهُ إيّاهُ ـ قال ـ: والأُولى أعلى »[٥].
قال القَزّازُ : « تكسِبُ حرفٌ نادِرٌ يُقال: كَسَبْتُ المالَ وكَسَبْتُهُ غيري فَكَسَبَهُ، ولا يُقال: أَكْسَبْتُهُ، ولكن: كَسَبْتُ الرّجُلَ المالَ يقول: وتكسبُ النّاس المعدومَ من كلِّ ما لا يجدُونه من معدومات الفوائدِ ».
قال القاضي عياض: « روايتُنا في هذا عن أكثر شيوخنا: تَكْسِبُ بفتح التّاءِ، وعند بعضِهم بضمِّها، وبالوجهين قرأنا الحَرْفَ على الحافظِ أبي الحُسين[٦] في غير هذا الكتابِ »[٧].

(١) الصّحاح ٢١٢/١ .
(٢) جمهرة اللّغة ٢٨٧/١ لابن دريدٍ .
(٣) تهذيب اللّغة ٧٩/١٠ ـ ٨٠ .
(٤) هذا الشّطرُ في الغريبين للهروي ١٦٣١/٦ ـ تحقيق المزيدي .
(٥) المحكم ٤٥٣/٦ لابن سيده .
(٦) أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الأمويّ الوزير اللّغوي الحافظ، شيخ القاضي عياض، توفّي سنة ٥٠٨هـ، انظر الغنية ص ٢٠١ ـ ٢٠٥ للقاضي عياض.
(٧) إكمال المعلم ٦٣٧/١ .

قال(١) : « وذكـرَ ثـابتٌ في « دلائِلـه » في معنـى هـذا: إنّـك تُصيـبُ وتكسبُ مـا يَعْجِـزُ غيرُك عـن كَسْبِهِ ويُعْدَمُـه، والعـربُ كـانت تَتمـادَحُ بكَسْبِ المالِ لا سيما قريشٌ »(٢).

قال : « وعلى هـذا لا تكـونُ التّـاءُ إلاّ مفتوحـةً لأنّـه مُعَـدّى لمفعـولٍ واحدٍ، وكان عليه السّلام مَجْدُوداً في تجارتِه وخبرُه بذلك مشهورٌ ».

وقيل : معناهُ تكسـبُ النّـاسَ مـا لا يجدُونـه مـن معدومـاتِ الفوائـد، وهذا مُعَدّى إلى مفعولين، والتّاءُ هنا مفتوحةٌ على قول الأكثر، وتُضمُّ علـى قول بعضهم كما تقدّم، وهذا أبلغُ [في المدح](٣) وأشهرُ في خُلُقِ نبيِّنا عليـه السّلام قبل النُّبوّةِ وبعدها »(٤).

وقال أبو عبد الله محمّد بن الحافظ إسماعيل بن محمّد بن الفضل :

« قولُه: وتكسبُ المعدومَ ، أي تُعطيه وتُعاونُه على جمع المـال، جعـل العاجزَ الذي لا يقدِرُ على السّعي في التّعيُّشِ وتحصيلِ مـا تُرجـى بـه الأيّـامُ بمنزلة المعدومِ » .

(قلتُ : ومنه قولُ أبي الحسن التّهامي :

عُدَّ ذا الفقرِ مَيْتاً وكِساه   كفناً بالياً ومَأواهُ قَـبْرَا(٥)

---

(١) أي القاضي عياض .

(٢) إكمال المعلم ٦٣٨/١ .

(٣) من إكمال المعلم .

(٤) المصدر نفسه ٦٣٨/١ - ٦٣٩ .

(٥) ديوان أبي الحسن التُّهامي ص ٢٩٣ .

ثمّ قال[١])[٢] : « والعربُ تُعَبِّرُ بالقلّة عن العدم وبالعدم عن القلّة، والمُحقِّقُون يذهبون في قول المتنبّي :

۞ إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنّهُ رجلا[٣] ۞

أنّه ليس بداخلٍ في المستحيلات بل مقصودُه إذا رأى شخصاً ضعيفاً أو شيئاً قليلاً ظنّهُ رجلاً، فعبّر عن المرئيِّ الضّعيفِ بـ : « غير شيءٍ »، وهذا كما أنّك تقولُ - إذا لقيتَ رجلاً مُستضعفاً جباناً أو جاهلاً بخيلاً -: لا شيءَ، وليس بشيءٍ، وتُنْزِلُهُ منزلةَ المعدومِ للمبالغة في العجزِ والحقارةِ ».

قال : « وذكرَ الخطّابيُّ أنّ صوابَه المُعْدِمُ ».

قال : « والصّوابُ هي اللّفظةُ المحفوظةُ بين أصحاب الحديث المشهورة الصّحيحة عن رسول الله ﷺ لأنّ مقصودَه السّعيُ في حاجات الضّعاف.

وعلى هذا ما رُوي أنّ رسول الله ﷺ كان لا يَستنكِفُ أن يمشي مع الضّعيف والأرملة يقضي لهما حاجتهُما[٤] ».

---

(١) أي قوام السُّنّة محمّد بن إسماعيل الحافظ .

(٢) من م .

(٣) ديوان المتنبّي ص ١٨ ، وصدرُه : وضاقت الأرضُ حتّى كان هاربُهم .

(٤) أخرجه النّسائيُّ ٣/١٢٠ - ١٢١، رقم: ١٤١٣، والدّارميُّ ١/٤٨، رقم: ٧٤، من طريق الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقدٍ ، قال : حدّثني يحيى بن عقيلٍ ، قال : سمعتُ عبد الله بن أبي أوفى يقول: « كان رسول الله ﷺ يُكثرُ الذِّكْرَ، ويُقلُّ اللّغوَ، ويُطيلُ الصّلاة، ويقصّرُ الخطبةَ، ولا يأنفُ أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة ».

=

(قال)[١] : « وأمّا التّعبيرُ بالقلّة عن المُعْدَم فقولُه تعالى: ﴿**فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٢] أي لا يُؤمنون رأساً لا قليلاً ولا كثيراً، ومثلُه حديثُ عبدِ الله بن أبي أوفى: « كان رسولُ الله ﷺ يُقِلُّ اللَّغْوَ »[٣] أي لا يلغو أصلاً ».

قال : « وكنتُ قد راجعتُ في ابتداء الطّلب سيّدَنا والدي في معنى هذه اللّفظة فذكرَ وجهاً لم أر أحسنَ منه ».

قال : « معناهُ تَسعى في طلب عاجزٍ تُنعِشُه كما أنّ غيرَك يَسعى في طلب مال يُثَمِّرُه، والكسبُ هو الاستفادةُ، فكما يَرغبُ غيرُك أن يستفيدَ مالاً تَرغبُ أنت أن تستفيدَ عاجزاً تَجْبُرُه وتُعينُه، والكسبُ الآن يقتضي مفعولاً فَرْداً وهو أولى لأنّك لا تحتاجُ فيه إلى إضمار شيءٍ كما تحتاجُ هناك ».

قلتُ :

يُقال : كَسَبْتُ مالاً أي حصّلتُه، وكسبتُ زيداً مالاً أي حصّلتُه له، فقولُهم : كسبتُ زيداً مالاً كقولك : أعطيتُ زيداً مالاً، فهو في قوله : « تكسبُ المعدومَ » يحتملُ أن يكون من هذا الباب، لكن لم يَذكر إلاّ مفعولاً واحداً؛ فيحتملُ أن يكون المحذوفُ هو المفعولُ الأوّلُ، ويحتملُ أن يكون الثّاني .

وصحّح إسنادَه العلاّمةُ الألبانيُّ في تخريج أحاديث المشكاة ١٦٢٢/٣، وانظر صحيح النّسائي ٣٠٦/١، رقم: ١٣٤١.

(١) من م . والكلام ما زال لقوام السُّنّة محمّد بن إسماعيل .

(٢) البقرة : الآية ٨٨ .

(٣) انظر الحديث الذي قبله .

فإن كان المحذوفُ هو الأوّلُ صار كقولك: أعطيتُ[1] مالاً ولا تَذْكُر المُعْطى .

وهذا هو الوجهُ الأوّلُ الذي أشار إليه من لم يُسَمِّه فقال: معناه أنّه يُعطي ما لاَ تَسْخُو به نفسُ غيره، فتقديرُه على هذا: تُعطي النّاسَ المعدومَ، وفي معناه الوجهُ الذي ذكره الهرويُّ لأنّ معناه تكسبُ نفسَك الأشياءَ المعدومةَ لغيرك أي تستفيدُ ما لاَ يستفيدُه غيرُك.

ويجوزُ أن يكون هذا الفعلُ يُستعمل مُتعدِّياً إلى واحدٍ وإلى اثنين، وهذا سائغٌ في ألسنة النّاس يقولون لِمَا قلَّ نظيرُه مع نفاستِه: ما هذا إلاّ معدومٌ، بمعنى أنّه معدومُ النّظيرِ أو أنّه لم يزل في حيّز العدم إلى أن ظفر به الآن مبالغةً في غرابتِه.

وإن كان المحذوفُ هو المفعولُ الثّاني فيكونُ كقولك: أعطيتُ زيداً ولا تَذكُر ما أعطيته، وهذا هو الوجهُ[2] الذي أشارَ إليه ابنُ الحافظ إسماعيل، أي تُعْطي المعدومَ ما يَصيرُ به موجوداً .

أمّا الوجهُ الذي حكاه عن والدِه فحقيقتُه أنّك كسبتَ أجرَ المعدومِ وثوابَه ومودّتَه؛ فإنّ عَيْنَ الرّجلِ الضّعيفِ لا يُكْسَبُ إلاّ أن يكون حربيّاً فيُغْنَم، ثمّ يُقَدَّرُ المفعولُ الأوّلُ محذوفاً كما قدّرناهُ في الوجه الذي ذكره الهرويُّ، أي تكسبُ نفسك المعدوم أي ثوابَه ومودّتَه، فاحتيج هنا إلى إضمارين إلاّ أنه قد اتّسعَ في حذف المفعول الأوّل في باب « كسب » إذا

---

(١) في م : أعطيتُه .

(٢) هو الوجهُ : ساقطة من م .

كان هو الفاعلُ حتّى صار كأنّه نَسْيٌ مَنْسِيٌّ للاستغناء عنه فيُقال: كسبتُ مالاً، وتقديرُ المفعول: كَسَبْتُ نفسي مالاً، وهكذا الكلامُ فيما كان كذلك نحو رجعتُ ورجعتُه والله أعلم.

وسمعتُ القاضي أبا العبّاس الخُوَيِّي[1] يستدلُّ بقول العرب: هذا ليس بشيءٍ إذا أرادوا المبالغةَ في حَقارتِه وأنّه كالعدم على صحّة مذهب أهل الحقِّ في أنّ المعدومَ لا يُسمّى شيئاً لأنّه لو كان يُسمّى شيئاً لما حصلت للعرب مبالغةٌ في قولهم: هذا لا يُسمّى بشيءٍ .

وهذا الذي قاله حسنٌ لكن المُخالفين يقولون: المعدومُ الممكِنُ يُسمّى شيئاً، ووافقُوا على نفي تسمية غير الممكنِ بشيءٍ، فعلى هذا تحصلُ المبالغةُ للعرب على أتمِّ الوجوه، وتقديرُه: إنّ هذا عدمٌ مستحيلٌ وجودُه، وهذا أبلغُ من قولنا: إنّه معدومٌ فحسبُ والله أعلم .

قولُها : « و تَقْرِي الضّيفَ » :

أي تأتيه بالقِرَى وهو ما يبرُّه به عند نزولِه عليه من طعامٍ وغيرِه ممّا يحتاجُ إليه، يُقال: قَرى الضّيفَ يَقْرِيه إذا فعلَ به ذلك، قِرىً بكسرِ القاف والقَصْرِ، وبفتحِهما والمَدِّ فهو قارٍ .

قولُها : « وتُعين على نوائب الحقِّ » :

النّوائبُ : جمعُ نائبةٍ وهي ما ينوبُ الإنسانَ من خيرٍ أو شرٍّ، وأرادتْ هنا نوائبَ الخير فلهذا جعلتْهُ مُعيناً عليها وعبّرتْ عنها بنوائب الحقِّ.

---

(١) أبو العبّاس أحمد بن الخليل البرمكي الخُوَيِّي، فقيهٌ أصوليٌّ متكلِّمٌ، توفّي سنة ٦٣٧هـ، انظر الذّيل على الرّوضتين ص ١٦٩ - ١٧٠، وطبقات السّبكي ٨/١٦/١٧.

قال القزّازُ : « أي تُعين ـ بما تقدِرُ عليه ـ مَن أصابَتْهُ نوائب في حقٍّ أعنتَهُ في نوائبِه؛ تَذْكُرُ بهذا كلِّه كَرَمَ أخلاقِه، وأنّ الله تعالى لا يَفعلُ ما يُخزيه مع جميل فعلِه ».

قلتُ :

وهذه الصّفاتُ الجليلةُ التي وصفتْ بها خديجةُ رسولَ الله ﷺ قد وُصف بها أيضاً صاحبُه أبو بكرٍ الصّدّيقُ رضي الله عنه، ففي « الصّحيح » عن عائشة أيضاً أنّ أبا بكرٍ رضي الله عنه لمّا ابتُلي المسلمون خرجَ مُهاجراً إلى أرض الحبشة حتّى إذا بلغَ بِرْكَ الغِمادِ[1] لقيهُ ابنُ الدَّغِنَّةِ[2] وهو سيّدُ القَارَةِ فقال: أين تريدُ يا أبا بكرٍ؟ قال: أخرجني قومي فأريدُ أن أَسيحَ في الأرض فأعبدَ ربّي عزّ وجلّ، فقال: إنّ مثلَك لا يُخرَج، إنّك تكسِبُ المعدوم، وتصلُ الرّحم، وتحملُ الكَلّ، وتَقْري الضّيف، وتُعين على نوائب الحقِّ، فأنا لك جارٌ فارجع فاعبُد ربَّك ببلدك »[3].

---

(١) ضبط الحافظُ في فتح الباري ٧/٢٣٢ برك الغماد بفتح الموحّدة وسكون الرّاء بعدها بعدها كافٌ، وقيل بكسر أوّله. وأمّا الغمادُ: فهو بكسر المعجمة، وقد تضمّ وبتخفيف الميم، وحكى ابنُ فارسٍ فيها ضمّ العين، موضع على خمس ليالٍ من مكّة إلى جهة اليمن.

(٢) ذكر الحافظُ أيضاً أنّه بضمّ المهملة والمعجمة وتشديد النّون عند أهل اللّغة، وعند الرُّواة بفتح أوّله وكسر ثانيه وتخفيف النّون.

(٣) أخرجه البخاري ٧/٢٣٠ ـ ٢٣٢ ، رقم : ٣٩٠٥. قال الحافظُ: « وفي موافقة وصف ابن الدّغنّة لأبي بكرٍ بمثل ما وصفت به خديجةُ النّبيّ ﷺ ما يدلُّ على عظيم فضل أبي بكرٍ واتّصافه بالصّفات البالغة في أنواع الكمال ».

قولُها : « فانطلقتْ به خديجةُ حتّى أتتْ به ورقةَ بن نوفل بن أسد ابن عبد العُزّى وهو ابنُ عمِّ خديجةَ أخي أبيها » :

قلتُ : هي خديجةُ بنتُ خُوَيْلِد بن أسد القرشيّةُ الأسديّةُ أوّلُ زوجةٍ لرسول الله ﷺ، وأوّلُ من آمن به وصدّقه، وصلّى معه، وآزره على أمرِه، ولها الفضلُ على غيرها ممّن شاركها في هذه الأوصاف بما انفردتْ به من تثبيتِ النّبيّ ﷺ وإزالةِ الهمِّ عنه، واجتماعِها بمن كان من أهل الكتاب، وسُؤالها عن ذلك، وحرصِها فيه رضي الله عنها، وانضمَّ إلى ذلك أنّها آنستْهُ من كلِّ وَحْشَةٍ، وهوّنتْ عليه كلَّ مكروهٍ وأراحتْهُ بمالها من كلِّ كَدٍّ ونَصَبٍ، وفرّغتْهُ لعبادةِ الله تعالى وتنفيذِ أمرِه.

قال ابن إسحاق : « وكانت أوّلَ من آمن بالله ورسولِه وصدّقت بما جاءه من الله، فخُفِّفَ بذلك عن رسول الله ﷺ؛ لا يسمعُ شيئاً يكرهُه مِن ردٍّ عليه وتكذيبٍ له فَحزَنَهُ ذلك إلاّ فرّجَ الله عنه إذا رجعَ إليها، تُثبِّتُه وتُخَفِّفُ عنه وتُصَدِّقُه وتُهَوِّنُ عليه أمرَ النّاس »[١].

ووقع في « كتاب الزّبير بن أبي بكرٍ » قال: قال عبدُ الرّحمن بن زيدٍ: قال آدمُ عليه السّلام: ممّا فُضِّلَ به عليّ ابني صاحبُ البعيرِ أنّ زوجَهُ كانتْ عوناً له على تبليغ أمر الله، وإنّ زوجتي كانتْ عوناً لي على المعصية.

وذكرتْ عائشةُ في هذا الحديثِ أنّ خديجة انطلقتْ بالنّبيّ ﷺ إلى ورقة، ووقع في حديث عبيد بن عميرٍ أنّها ذهبتْ وحدها إلى ورقة فأخبرتْهُ، ثمّ اجتمعَ به النّبيُّ ﷺ فإنّه قال ــ بعد حكايةِ قولها له ــ: إنّي

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٤٠ مع اختلافٍ يسيرٍ .

لأرجو أن تكونَ نـبيَّ هـذه الأمّـة، ثـمّ قـامتْ فجمعـتْ عليهـا ثيابَهـا، ثـمّ انطلقتْ إلى ورقة بن نوفل بن أسد وهو ابنُ عمِّها، وكان ورقةُ قد تنصّـرَ، وقرأ الكتبَ، وسمع من أهل التّوراة والإنجيل، فأخبرتْهُ بما أخبرها رسولُ الله ﷺ أنّه رأى وسمع، فقال ورقةُ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ والذي نفسُ ورقة بيـدِه لئـن كنتِ صدقتيني يا خديجةُ لقد جاءهُ النّاموسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسى، وإنّه لنبيُّ هذه الأمّة، فقولي له فليثبُتْ، فرجعتْ خديجـةُ إلى رسـول الله ﷺ فأخبرتْهُ بما قال ورقةُ، فسَهَّلَ ذلك[1] عنه بعضَ مـا كـان فيـه مـن الهَـمِّ بمـا جاءَهُ، فلمّا قضى رسولُ الله ﷺ جوارَه وانصرفَ صنعَ كما كـان يصنعُ، بدأ بالكعبةِ فطافَ بها، فلقيهُ ورقةُ بن نوفلٍ وهو يطوفُ بالكعبةِ فقال لـه: يابن أخي، أخبرني بمـا رأيـتَ وسمعـتَ، فأخـبرَهُ رسـولُ الله ﷺ، فقـال لـه ورقةُ: والذي نفسي بيده إنّك لنبيُّ هذه الأمّة، ولقد جاءك النّاموسُ الأكـبرُ الذي جاءَ موسى؛ ولَتُكَذَّبَنَّـهْ، ولَتُؤْذَيَنَّـهْ، ولَتُخْرَجَنَّـهْ، ولَتُقَاتَلَنَّـهْ، ولئـن أنـا أدركتُ ذلك لأنصُرَنَّ الله نصراً يعلمُه، ثمّ أدنى رأسَه منـه فقبّـل يافوخَـه، ثـمّ انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى منزله وقد زادهُ ذلك مـن قـول ورقـةَ ثباتـاً، وخفّف عنه بعضَ ما كان فيه من الهَمِّ.

قال ابن إسحاق : وحدّثني إسماعيلُ بن أبي حكيم مولى[2] الزُّبـير أنّـه حُدِّث عن خديجة أنّها قالتْ لرسول الله ﷺ - فيما تُثبِّتُهُ به فيما أكرمهُ الله به من النّبوّة - أي ابنَ عمّ، أتستطيعُ أن تُخبرني بصاحبِك هذا الذي يـأتيك

(١) غير مثبتة في م .

(٢) في سيرة ابن هشام زيادة : آل .

إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني بـه، فجـاءهُ جـبريلُ كـمـا كان يأتيه[١]، فقـال رسـولُ الله ﷺ لخديجـة: يـا خديجـةُ، هـذا جـبريلُ قـد جاءني، فقالت: قُم يا بنَ عمّ، فاجلس على فخذي اليُسرى ففعل، قـالت: هل تراهُ؟ قـال: نعـم، قـالت: فتحـوّل فـاقعُد علـى فخـذي اليُمنـى ففعـل، فقالت: هل تراهُ؟ قـال: نعـم، فحسَـرت فـألقتْ خمارَهـا ورسـولُ الله ﷺ جالسٌ في حِجْرِها، قالت: هل تـراه؟ قـال: لا، قـالت: يـا بـنَ عـمّ فـاثبُت وأبشر، فو الله إنّه لَمَلَكٌ وما هو شيطانٌ .

قال ابنُ إسحاق : فحدّثتُ عبدَ الله بن الحسن هـذا الحديـثَ فقـال: قد سمعتُ فاطمةَ بنت الحسين - يعني أمَّه - تحدِّثُ بهـذا[٢] الحديـثَ إلاّ أنّـي سمعتُها تقول: أدخلتْ خديجةُ رسـولَ الله ﷺ بينهـا وبـين دِرْعَيْهـا فذهـبَ عند ذلك جبريلُ عليه السّلام »[٣].

قال الحافظُ أبو بكر البيهقيُّ : « وهذا شيءٌ كانت خديجةُ رضي الله عنها تصنعهُ[٤] تَستثبتُ به الأمرَ[٥] احتياطاً لدينِها وتصديقها، فأمّا النّبيُّ ﷺ فقد كان وَثِقَ بما قال له جبريلُ عليه السّلام، وأراهُ من الآيات التي ذكرناها

(١) في سيرة ابن هشام : يصنع .

(٢) في م : هذا .

(٣) أخرجه ابنُ إسحاق - كما في سيرة ابن هشام ١/٢٣٨ -، ومن طريقه البيهقـيُّ في دلائـل النّبوّة ٢/١٥١ - ١٥٢، وفيه جهالةُ الواسطة بين إسماعيل وخديجة.

(٤) غير مثبتة في م .

(٥) في م : الوحي .

مرّةً بعد أخرى، وما كان من تسليم الحَجَرِ والشّجرِ عليه، وما كان من إجابة الشّجر لدُعائه، وذلك بعدما كذّبهُ قومُه وشكاهُم إلى جبريل عليه السّلام، فأرادَ أن يُطيِّبَ قلبَه »[1].

قولُها : « وكانَ امرءاً تنصّرَ في الجاهليّة، وكان يكتبُ الكتابَ العربيَّ، ويكتبُ مِن الإنجيل بالعِبرانيّةِ ما شاء الله أن يكتبَ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِي » :

هذه صفاتُ ورقةَ بن نوفلٍ، ووقعَ في رواية عقيلٍ في « صحيح البخاري »: « وكان يَكتبُ الكتابَ العِبرانيَّ، ويكتبُ من الإنجيل بالعِبرانيّة »، ولا منافاةَ بينهما فقد كان يعرفُ الكتابين العربيّ والعِبرانيّ، ولولا ذلك لما قَدَرَ على أن يكتبَ الإنجيل بالعربيّة، وكان ورقةُ أحدَ الجماعةِ الذين رغبوا في الجاهليّة عن عبادة الأوثان، وسأل عن الدِّين الحَنيف علماءَ أهل الأديان، وكان ينتظرُ خروجَ رسول الله ﷺ ليتبعهُ لأنّه سمع أمرَه من أهل الكتاب، ووقف على بعض صفاتِه عندهم، وكانت خديجةُ تُخبرُه عن أحوال النّبيّ ﷺ مِن حين أخبرها غلامُها ميسرةُ الذي وجّهتهُ[2] مع النّبيّ ﷺ تاجراً إلى الشّام، وسمع ما قالتهُ فيه الرُّهبانُ.

قال موسى بن عقبة : « ثمّ إنّ الله تعالى بعث محمّداً ﷺ على رأس خمس عشرة سنةً من بنيان الكعبة »[3] .

---

(١) دلائل النّبوّة ١٥٢/٢ للبيهقي .

(٢) في م : توجّه .

(٣) أخرج قول موسى بن عقبة البيهقيُّ في دلائل النّبوّة ١٤١/٢ .

قال ابنُ شهابٍ : « وحدّثني عروةُ بن الزّبير عن عائشة أنّها قالت: تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين سنةً »[١].

قال ابن شهابٍ : « وحدّثني مثلَ ذلك سعيدُ بن المسيِّب وكان فيما بلغنا أوّلُ ما رأى أنّ الله عزّ وجلّ أراهُ رؤيا في المنام فشقّ ذلك عليه، فذكرَها رسولُ الله ﷺ لامرأتِه خديجة، فعصمَها الله عزّ وجلّ من التّكذيب وشرحَ صدرَها بالتّصديق، فقالت: أبشرْ فإنّ الله عزّ وجلّ لن[٢] يصنع بك إلاّ خيراً، ثمّ إنّه خرجَ من عندها ثمّ رجع إليها فأخبرها أنّه رأى بطنَه شُقَّ ثمّ طُهِّر وغُسل ثمّ أُعيد كما كان، قالت: واللهِ هذا خيرٌ فأبشر، ثمّ استعلن له جبريلُ عليه السّلام وهو بأعلى مكّة فأجلسه على مجلسٍ كريمٍ مُعْجِبٍ كان النّبيُّ ﷺ يقول: أجلسَني على بساطٍ كهيئة الدُّرْنُوكِ فيه الياقوتُ واللُّؤلُؤُ، فبشّرهُ برسالة الله عزّ وجلّ حتّى اطمأنّ النّبيُّ ﷺ، فقال له جبريلُ: اقرأ، فقال: كيف أقرأ؟ قال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** - إلى - **مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾، قال: ويزعمُ ناسٌ أنّ ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ**﴾ أوّلُ سورةٍ نزلتْ عليه ».

قال ابنُ شهابٍ : « وكانت خديجةُ أوّلَ من آمن بالله وصدّق رسولَ الله ﷺ قبل أن تُفرض الصّلاةُ، قال: فقَبِلَ الرّسولُ رسالةَ ربِّه عزّ وجلّ

---

(١) المصدر نفسه ، وهذه الطّريقُ أخرجها البخاري ٥٥٩/٦، كتاب الفضائل، باب وفاة النّبيّ ﷺ.

(٢) في م : لم .

واتّبع الذي جاءه[١] به جبريلُ عليه السّلام من عند الله، فلمّا انصرفَ مُنقلِباً إلى بيتِه جعلَ لا يمرُّ على شجرةٍ ولا حَجَرٍ إلاّ سلّم عليه، فرجعَ مسروراً إلى أهلِه مُوقناً قد رأى أمراً عظيماً، فلمّا دخل على خديجة قال :

أَرَأَيْتَكِ الذي كُنتُ أُحَدِّثُكِ أنّي رأيتُه في المنامِ فإنّه جبريلُ عليه السّلام استعلنَ لي أَرْسَلَهُ إليّ ربّي، فأخبرها بالذي جاءه من الله عزّ وجلّ وما سمع منه، فقالت :

أبشر فو الله لا يفعلُ اللهُ بك إلاّ خيراً، فاقْبَلْ الذي جاءك من الله فإنّه حقٌّ، وأبشِرْ فإنّك رسولُ الله حقّاً .

ثمّ انطلقتْ مكانَها حتّى أتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمسٍ نصرانياً من أهل نِينَوَى يُقال له عَدَّاس فقالت[٢]: يا عَدَّاسُ، أُذَكِّرُكَ بالله إلاّ ما أخبرتني هل عندك علمٌ من جبريل؟ فقال عَدّاس: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ما شأنُ جبريلَ يُذْكَرُ بهذه الأرضِ التي أهلُها أهلُ الأوثانِ؟ فقالت: أخبرني بعلمك فيه، قال: فإنّه أمينُ الله بينه وبين النّبيّين وهو صاحبُ موسى وعيسى عليهما السّلام.

فرجعتْ خديجةُ من عنده فجاءت ورقةَ بن نوفلٍ وكان ورقةُ قد كرِه عبادةَ الأوثان هو وزيدُ بن عمرو بن نُفيلٍ، وكان زيدٌ قد حرّم كلَّ شيءٍ

---

(١) في م : جاء .

(٢) في م زيادة : له .

حرّمه الله عزّ وجلّ من الدّم والذّبيحة على النُّصُبِ ومن أبوابِ الظُّلم في الجاهليّة، فعَمَدَ هو وورقةُ بن نوفلٍ يلتمسان العلمَ حتّى وقعا بالشّام، فعرضتْ اليهودُ عليهما دينَهم فكرهاهُ وسألا رُهبانَ النّصرانيّة، فأمّا ورقةُ فتنصّرَ، وأمّا زيدٌ فكرِه النّصرانيّةَ فقال له قائلٌ من الرُّهبان: إنّك تلتمسُ ديناً ليس يُوجدُ اليومَ في الأرض، فقال له زيدٌ: أيّ دِينٍ ذلك؟ قال القائلُ: دِينُ القَيِّمِ دِينُ إبراهيمَ خليلِ الرّحمن، قال: وما كان دينُه؟ قال: كان حنيفاً مُسلماً، فلمّا وصفَ له دِينَ إبراهيم قال زيدٌ: أنا على دِينِ إبراهيم وأنا ساجدٌ نحو الكعبةِ التي بنى إبراهيمُ، فسجدَ نحو الكعبةِ في الجاهليّة، وقال زيدٌ لّما تبيّن له الهُدى :

أسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ   له المُزْنُ تحملُ عَذْباً زُلالاَ

ثمّ تُوفِّي زيدٌ وبقي ورقةُ بعدهُ كما يزعمون سنين، فلمّا وصفتْ خديجةُ لورقة حين جاءتهُ شأنَ محمّدٍ ﷺ وذكرتْ له جبريلَ عليه السّلام وما جاء به إلى رسول الله ﷺ من عند الله عزّ وجلّ قال لها ورقةُ: يا ابنة أخي، ما أدري لعلّ صاحبَكِ النّبيُّ الذي تَنتظرُ أهلُ الكتابِ الذي[1] يجدُونه مكتوباً عندهم في التّوراة والإنجيل، وأُقسمُ بالله لئن كان إيّاهُ ثمّ أظهرَ دعاءَه وأنا حيٌّ لأُبلينّ الله في طاعة رسولِه وحسنِ مُؤازرتِه الصّبرَ والنّصرَ، فمات ورقةُ »[2].

---

(١) غير مثبتة في م .

(٢) دلائل النّبوّة ١٤٣/٢ - ١٤٥ للبيهقي، والخبرُ بلاغٌ من الزّهري وليس بمتّصلٍ.

قال الحافظُ البيهقيُّ: « والذي ذكرَ فيه من شقِّ بطنِه يحتملُ أن يكون حكايةً منه لما صُنع به في صباهُ، ويحتملُ أن يكون شُقَّ مرّةً أخرى، ثمّ مرّةً ثالثةً حين عُرج به إلى السّماء والله أعلم »[١].

قلتُ : هذه المرّة الثّانية إنّما كانت عن منامٍ ووقع تفسيرُها عند عُروجِه إلى السّماء والله أعلم.

والقاضي عياض يَرى أنّه إنّما فُعل به ذلك مرّةً واحدةً في عُمرِه، وقد بيّنّا ذلك في « شرح ذات الأصول »[٢] .

قولُها : « فقالت له خديجةُ : أي عمّ، اسمع من ابن أخيك » :

وفي روايةٍ : « أي ابنَ عمّ » وهو الأصلُ لأنّه ابنُ عمِّها حقيقةً.

ووجهُ الرّواية الأولى أنّها خاطبتْهُ بذلك على وجه التّعظيم له لا على وجه النَّسَبِ بينهما تنزيلاً له منزلةَ الأبِ كما يُخاطبُه الأجنبيُّ الصّغيرُ بذلك .

ومثلُه ما يقعُ في بعض الأسانيد من رواية حنبل بن إسحاق بن حنبلٍ، عن ابن عمِّه الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبلٍ فيقول: ثنا عمّي - يعني أحمد - وإنّما هو ابنُ عمِّه .

وأمّا تعبيرُها عن النّبيّ ﷺ بأنّه ابنُ أخيه فهو من بابِ التّعظيم له أيضاً والتّرقيق في الخطاب طلباً للإقبال عليه والإصغاء إليه، وليس من باب النَّسَبِ فإنّ ورقةَ وإن كان قُرشيّاً فليس عمّاً للنّبيّ ﷺ فإنّه أسديٌّ والنّبيُّ

---

(١) المصدر نفسه ٢/١٤٦ .

(٢) انفرد بذِكْرِه المؤلّفُ هنا ولم يرد في مصادر ترجمته .

ﷺ هاشميٌّ، وإنّما يلتقيان في نسب قُريشٍ عند قُصيٍّ بن كلاب بن مُرّة، فالنّبيُّ ﷺ من ذُرِّيّة عبد مناف بن قصيّ وورقة من ذريّة عبد العُزّى بن قُصيّ.

قولُها : « فقال ورقةُ: يا بنَ أخي، ما ذا تَرى؟ فأخبرهُ رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى » :

لقوله : « ما ذا تَرى » تقديران :

أحدُهما : ما الذي ترى .

والثّاني : أيّ شيءٍ ترى .

وكلاهُما بمعنى واحدٍ .

وفي كتاب « الدّلائل »[1] مُنقطعاً عن أبي ميسرة عمرو بن شُرحبيل أنّ رسول الله ﷺ قال لخديجة: « إنّي إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً، وقد خشيتُ والله أن يكون لهذا أمرٌ، قالت: معاذَ اللهِ، ما كان اللهُ ليفعلَ ذلك بك، فوالله إنّك لتُؤدّي الأمانة، وتصلُ الرّحم، وتصدقُ الحديث، فلمّا دخل أبو بكرٍ وليس رسولُ الله ﷺ ثَمَّ ذكرتْ خديجةُ له، فقالت: يا عتيق، اذهب مع محمّدٍ إلى ورقة، فلمّا دخل رسولُ الله ﷺ أخذ أبو بكرٍ بيده فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة، فانطلقا إليه فقصّا عليه فقال: إنّي إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً خلفي: يا محمّد، يا محمّد، فأنطلقُ هارباً في الأرض، فقال له: لا تفعلْ، إذا أتاك فاثبُت حتّى تسمعَ ما يقولُ لك، ثم ائتني فأخبرني، فلمّا خلا ناداهُ: يا محمّد، قُل:

---

(١) يعني دلائل النّبوّة للبيهقي ٢/١٥٨ - ١٥٩ .

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ حتّى بلغَ: ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾، قُل: لا إله إلاّ الله، فأتى ورقةُ فذكرَ له ذلك، فقال له ورقةُ: أبشرْ ثمّ أبشرْ، فأنا أشهدُ أنّك الذي بشّرَ بك ابنُ مريم، وأنّك على مثلِ ناموس موسى، وأنّك نبيٌّ مُرسَلٌ، وأنّك ستُؤمرُ بالجهادِ بعد يومِك هذا، ولئن أدركني ذلك لأُجاهِدَنَّ معك، فلمّا تُوفِّي قال رسولُ الله ﷺ: لقد رأيتُ القس في الجنّةِ وعليه ثيابُ الحرير لأنّه آمن بي وصدّقني - يعني ورقة - ».

لفظُ ما أخرجه البيهقيُّ في « كتابه »[1]، وأخرجه أبو نعيمٍ[2] بمعناهُ وقال: « فأسرّتْ ذلك إلى أبي بكرٍ وكان نَديماً له في الجاهليّة ».

قال السُّهيليُّ: « وفي رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي ميسرة فذكر الحديثَ باللّفظ الأوّل »[3].

(قال)[4]: « وفي رواية يونس أيضاً - يعني عن ابن إسحاق - أنّه عليه السّلام قال لرجلٍ يَسُبُّ ورقةَ: أما علمتَ أنّي رأيتُ لورقةَ جنّةً أو

---

(١) دلائل النّبوّة ٢/١٥٨ - ١٥٩ من طريق يونس بن بكيرٍ، عن يونس بن عمرو، عن أبيه، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل به. قال البيهقي بعده: « فهذا منقطعٌ، فإن كان محفوظاً فيحتملُ أن يكون خبراً عن نزولها - يعني الفاتحة - بعدما نزلت عليه ﴿اقْـرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ والله أعلم ». وقال ابن كثيرٍ في البداية والنّهاية ٣/٩: « هو مرسلٌ، وفيه غرابةٌ وهو كونُ الفاتحة أوّل ما نزل ».

(٢) في دلائل النّبوّة من طريق يونس بن عمرو، عن أبيه، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل به، كما هو عند البيهقي. انظر البداية والنّهاية ٣/١٠.

(٣) الرّوض الأنف ١/٢٧٤ .

(٤) من م ، والكلام للسّهيلي .

جنّتين »[١].

قال : « وهذا الحديثُ الأخيرُ قد أسندهُ البزّارُ[٢] »[٣].

قولُها : « فقال له ورقةُ: هذا النّاموسُ الذي أُنزل على موسى ﷺ » :

وفي رواية صالح بن أبي الأخضر عن الزُّهريّ فقال: « هو والله النّاموسُ الذي أُنزل على موسى ﷺ » .

قال الهرويُّ : « النّاموسُ صاحبُ سِرِّ المَلِكِ يُقال: نَمَسَ يَنْمِسُ نَمْساً إذا كتمَ السِّرَّ، ونامَسْتُه مُنامَسَةً إذا ساررْتَهُ، وسُمِّي جبريلُ عليه السّلام ناموساً لأنّ الله تعالى خصّهُ بالوحي والغيب اللّذَين لا يَطّلِعُ عليهما غيرُه »[٤].

قال الجوهريُّ : « ناموسُ الرّجُلِ صاحبُ سِرِّه الذي يُطلِعُه على باطن أمرِه ويَخُصُّهُ بما يَسترُه عن غيرِه، وأهلُ الكتابِ يُسَمُّون جبريلَ عليه السّلام

---

(١) الرّوض الأنف ١/٢٧٥ .

(٢) أخرجه البزّارُ - زوائده ٣/٢٨١، رقم: ٢٧٥١، من طريق أبي أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كان بين أخي ورقة وبين رجلٍ كلامٌ، فوقع الرّجلُ في ورقة ليغضبه، فقال رسول الله ﷺ: أشعرتَ أنّي رأيتُ لورقة جنّةً أو جنّتين، ونهى عن سبِّه. وهذا مرسلٌ لكنّه جاء موصولاً أخرجه البزّار رقم: ٢٧٥٠، والحاكمُ ٢/٦٠٩ من طريق أبي معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: لا تسبُّوا ورقة فإنّي رأيتُ له جنّةً أو جنّتين. قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشّيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذّهبيُّ والألبانيُّ في الصّحيحة رقم: ٤٠٥.

(٣) الرّوض الأنف ١/٢٧٥ .

(٤) الغريبين ٦/١٨٨٧ - ١٨٨ - تحقيق المزيدي .

النّاموسَ، والنّاموسُ قُتْرَةُ الصّائدِ لأنّه يَختفي فيها[(١)]، ونَمَسْتُ الرّجُلَ ونامَسْتُهُ إذا سارَرْتَهُ قال الكُمَيت :

فأبلِغ يزيدَ إنْ عَرَضْتَ ومُنْذِراً

وعَمَّيْهما والمُسْتَسِرَّ المُنامِسَا »[(٢)].

قال الخطّابيُّ : « قولُه : هذا النّاموسُ الذي أُنزل على موسى، يريدُ جبريلَ صلواتُ اللهِ عليهما. وأخبرني أبو عمر، أخبرنا أبو العبّاس، عن عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ، عن أبيه قال: النّاموسُ صاحبُ سِرِّ الخَيْرِ، والجاسوسُ صاحبُ سِرِّ الشَّرِّ.

ويُقال : إنّ أصلَه مأخوذٌ من قولك: نامَسْتُ الرّجلَ إذا سارَرْتَهُ فقيل منه: ناموسٌ على بناء فاعُول .

وقيل : هو مقلوبٌ مِن ناسَمْتُهُ فقدّمَ الميم على السّين »[(٣)] .

قال السُّهيليُّ : « وإنّما ذكرَ ورقةُ موسى ولم يذكُر عيسى ـ وهو أقربُ ـ لأنّ ورقةَ كان قد تنصّر، والنّصارى لا يقولون في عيسى: إنّه نبيٌّ يأتيه جبريلُ إنّما يقولون فيه: إنّ أُقْنوماً من الأقانيمِ الثّلاثةِ اللاّهوتيّةِ حلَّ بناسوتِ المسيح، واتّحد به على اختلافٍ بينهم في ذلك الحُلول، وهو أُقْنومُ الكلمةِ والكلمةُ عندهُم عبارةٌ عن العلم، فلذلك كان المسيحُ في زعمِهم[(٤)]

---

(١) لأنّه يختفي فيها : لا توجد في صحاح الجوهري .

(٢) الصّحاح ٣/٩٨٦. والبيتُ أيضاً في غريب أبي عبيدٍ ٢/٢٠٠ معزوّاً للكميت .

(٣) أعلام الحديث ١/١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٤) في الرّوض الأنف : « عندهم » بدل « في زعمهم » .

يعلمُ الغيبَ ويُخبرُ بما في غدٍ، فلمّا كان هذا من مذهبِ النّصارَى الكَذَبَةِ على اللهِ المُدَّعين المُحالَ عَدَلَ عن ذِكْرِ عيسى إلى ذِكْرِ موسى عليهما السّلامُ؛ لعلمِه أو لاعتقادِه أنّ جبريلَ كان ينزلُ على موسى، لكن ورقة قد ثبتَ إيمانُه بمحمّدٍ ﷺ، وقد قدّمنا حديثَ التّرمذيّ أنّ رسولَ الله ﷺ رآهُ في المنامِ وعليه ثيابٌ بيضٌ إلى آخر الحديث »(١).

قلتُ : قد سبقَ في حديث عدّاسٍ ـ وكان أيضاً نصرانيّاً ـ أنّه وصفَ جبريلَ لخديجة فقال: إنّه أمينُ اللهِ بينه وبين النّبيّين، وهو صاحبُ موسى وعيسى عليهما السّلامُ.

وفي كتاب « الدّلائل » لأبي نعيمٍ عن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال ورقةُ ـ لمّا ذكرتْ له خديجةُ أنّه ذَكَرَ لها جبريلَ ـ : سبُّوحٌ سبُّوحٌ، وما لجبريلَ يُذكرُ في هذه الأرض التي تُعبدُ فيها الأوثانُ، جبريلُ أمينُ اللهِ بينه وبين رُسلِه، اذهبي به إلى المكان الذي رَأى فيه ما رَأى فإذا أتاهُ فتحسَّري، فإن يكن من عند الله لا يراهُ، ففعلت فلمّا تحسّرت تغيّبَ جبريلُ فلم يرهُ، فرجعت وأخبرت ورقةَ، فقال: إنّه ليأتيه النّاموسُ الأكبرُ الذي لا يُعَلِّمُه بنو إسرائيل أبناءَهُم إلاّ بالثّمن، ثمّ أقامَ ورقةُ ينتظرُ إظهارَ الدّعوةِ .

ورواهُ عليُّ بن مُسْهِرٍ عن هشام وقال: لئن كنتِ صَدَقْتِني إنّه ليأتيه النّاموسُ الأكبرُ ناموسُ عيسى الذي لا يُعَلِّمُه بنو إسرائيل أبناءَهُم، ولئن نطقَ وأنا حَيٌّ لأُبلينّ الله فيه بلاءً حسناً .

---

(١) الرّوض الأنف ١/٢٧٣ .

قولُه : « يا ليتني فيها جَذَعاً » :

قال الهرويُّ : « يعني في نبوّة محمّدٍ ﷺ يقولُ: يا ليتني كنتُ شابّاً فيها يعني حين[١] تظهرَ نبوّتُه حتّى أُبالغَ في نُصرتِه، والأصلُ في الجَذَعِ سِنُّو الدَّوابِّ وهو قبل أن يثني بسنةٍ، والدّهرُ جَذَعٌ أبداً أي شابٌّ لا يهرمُ »[٢].

وقال الخطّابيُّ : « معناهُ ليتني بقيتُ حيّاً إلى وقت مخرجِك، وأيّامَ دعوتِك، وكنتُ فيها شابّاً بمنزلة الجَذَعِ من الحيوان[٣] كقول دُريدٍ :

يا ليتني فيها جَذَعْ   أَخُبُّ فيها وأَضَعْ »[٤].

قال[٥] : « وقولُه : « فيها » على التّأنيث أضمر إمّا الدّعوةَ وإمّا النُّبوّةَ أو الدّولةَ، ونصب « جذعاً » على معنى: ليتني كنتُ جَذَعاً فأضمرَ « كنتُ » لأنّ « ليت » قد شُغل بالمُكَنَّى فلم يُبق له فعلاً فيما بعده »[٦].

قال المازريُّ : « الظّاهرُ أن يكون « جَذَعاً » منصوباً على أنّه خبرُ « كان » المحذوفةِ ، فالتّقديرُ : ليتني أكونُ فيها جذعاً .

قال : وهذا على طريقة[٧] الكُوفيين، ومَثَلُ ما يُضْمَرُ فيه « كان »

(١) في م : حتّى .

(٢) الغريبين ١/٣٣٠ للهروي .

(٣) في أعلام الحديث : الخيول ، وإخاله تصحيفاً .

(٤) أعلام الحديث ١/١٣٠ - ١٣١ .

(٥) أي الخطّابي .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) في م : طريق .

عندهم قولُ الله تعالى: ﴿انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ﴾(١)، تقديرُه عند الكسائي: يكُن الانتهاءُ خيراً لكم »(٢).

قال القاضي عياض: « كذا وقع هذا الحرفُ في أكثر الرّوايات في الأمّ(٣) وفي « كتاب البخاري »: « جَذَعاً » بالنّصب، ووقع هنا عندنا لابن ماهان: « جَذَعٌ » على خبر « ليت »، وكذلك هو في البخاريّ عند الأصيليّ.

ووجهُ النّصبِ عندي فيه وأَظْهَرُه كونُه على الحال، وخبرُ « ليت » مُضْمَرٌ في « فيها » تقديرُه: ليتني في أيّام نبوّتِك حيٌّ، أو لأيّامِها(٤) مُدْرِكٌ، في حال شبيبةٍ وصحّةٍ وقوّةٍ لنصرتِكَ، إذ كان قد أسنَّ وعَمِيَ عند قوله هذا كما جاء في الحديث »(٥).

قلتُ: الوجهان جيّدان وذلك قريبٌ من قول الشّاعر الذي تكلّم النّحاةُ عليه:

❁ يا ليتَ أيّامَ الصِّبا رَواجِعَا ❁

وقالوا: التّقديرُ: أقبلتْ رَواجعا، فيكون نَصْباً على الحال.

وقال الكسائيُّ: « كانتْ رَواجِعا، فهو خبرُ كان ».

---

(١) النّساء: الآية ١٧١.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ١/٣٢٧.

(٣) يعني صحيح مسلمٍ.

(٤) في إكمال المعلم: لأيّامك.

(٥) إكمال المعلم ١/٦٤٥ - ٦٤٦.

وأجازَ الفرّاءُ : ليتَ زيداً قائماً ، بنصب خبر « ليت »، ويُجريه مجرى: أتمنّى زيداً قائماً .

وقد قال أبو عبيدة : إنّ الذي ذهبَ إليه الفرّاءُ لغةُ عكلٍ ينصبون خبر « ليت »، وأنشدَ على ذلك قولَ النّمر :

ألا ليتني[1] حَجَراً بوادٍ　　أصَمَّ وليتَ أمِّي لم تَلِدْني

فإن قلنا : إنّ « جَذَعاً » نُصب على الحال كان قولُه « فيها » خبرَ « ليت »، أي ليتني كائنٌ أو موجودٌ في أيّام نبوّتك كقول كعب بن لُؤيّ ابن غالبٍ :

يا ليتني شاهِدٌ فَحْواءَ دعوتِه　　حينَ العَشيرةُ تَبْغي الحقَّ خِذْلانَا[2]

ويُروى : فَحْوى نُبوّتِه .

قولُه : « يا ليتني أكونُ حيّاً حين يُخرجُك قومُك » :

حيّا : خبرُ « أكونُ » وهذا يُقوّي نصبَ « جذعاً » المتقدّم على إضمار « أكون »، ودلّنا هذا الظّاهرُ على ذلك المُقدَّر لأنّ كلتا الجُملتين تَمَنٍّ، تمنّى الحياةَ عند إخراج قومِه له حُبّا لنَصره ورغبةً في جهاد أعدائه، وتمنّى القُوّةَ والشّبابَ في زمن النّبوّة ليظهر غَناؤُه، وتتضاعف مؤازرتُه واعتناؤُه .

قولُها : « فقال رسول الله ﷺ : أو مُخْرِجيَّ هُم ؟ » :

وفي رواية صالحٍ عن الزُّهري : « أو مُخرِجيَّ قومي ؟ » .

---

(١) في م : يا ليتني .

(٢) البيتُ في دلائل النّبوّة ـ الطبعة الهنديّة ص ٥١ لأبي نعيمٍ .

قال السُّهيليُّ : « وفي حديث ورقة أنّه قال لرسول الله ﷺ: لَتُكَذَّبَنَّهْ، فلم يقُل له النّبيُّ ﷺ شيئاً، ثمّ قال: ولَتُؤْذَيَنَّهْ، فلم يقُل النّبيُّ ﷺ شيئاً، ثمّ قال: ولَتُخْرَجَنَّهْ، فقال: أو مُخْرِجِيَّ هُم ؟

ففي هذا دليلٌ على حبِّ الوطن وشدّة مفارقتِه على النّفس، وأيضاً فإنّه حرمُ الله وجوارُ بيته وبلدُ[1] أبيه إسماعيل، فلذلك تحرّكتْ نفسُه عند ذِكْرِ الخروج منه ما لم يتحرّك قبل ذلك فقال: أو مخرجيّ هم ؟

والموضعُ الدّالُّ على تحرُّكِ النّفس وتحرُّقِها إدخالُ الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسُّؤال عنه، وذلك أنّ الواو تَرُدُّ إلى الكلام المتقدِّم، وتُشعِرُ المُخاطَبَ بأنّ الاستفهامَ على جهة الإنكار أو التّفجُّعِ لكلامِه والتّألُّمِ منه، والهاءُ في قوله: « لَتُكَذَّبَنَّهْ » وما بعدها لا يُنطَقُ بها إلاّ ساكنةً لأنّها هاءُ السَّكْتِ وليست بهاء إضمار .

ولا بُدّ من تشديد الياءِ من « مُخْرِجِيَّ » لأنّه جمعٌ والأصلُ : « مُخْرِجُويَ » فأُدغمت الواوُ في الياء لاجتماعهما وسبقِ إحداهما بالسُّكون وهو قياسٌ مُطَّرِدٌ وهو خبرُ ابتداءٍ مُقَدَّمٌ، ولو كان المبتدأُ اسماً ظاهراً لجاز تخفيفُ الياء ويكونُ الاسمُ الظّاهرُ فاعلاً لا مبتدأً، كما تقول: أضارِبٌ قومُك، أخارِجٌ إخوتُك، فتفرد لأنّك رفعتَ به فاعلاً »[2].

---

(١) في م : بلدة .

(٢) الرّوض الأنف ١/٢٧٣ - ٢٧٤ مع تصرّفٍ في العبارة، وملاحظة أنّ جملة: « والموضع ... والتّألّم منه » لا توجد في كتاب السّهيلي الرّوض الأنف .

(قلتُ : فعلى هذا يجوزُ تخفيفُ الياءِ على رواية صالحٍ عن الزُّهـريّ : « أو مُخْرِجي قَومي » .

ثمّ قـال)[١] : « وهـو حسـنٌ في مذهـب سيبويه والأخفـش، ولـولا الاستفهامُ لما جازَ الإفرادُ إلاّ علـى مذهـب الأخفـش فإنّـه يقـول: قـائمٌ الزّيدونَ، دون استفهامٍ، فإن كان الاسمُ المبتدأُ من المُضمَراتِ نحو: أخـارِجٌ أنت؟ وأقائمٌ هو؟ لم يصحّ فيه إلاّ الابتداءُ لأنّ الفـاعلَ إذا كـان مُضمـراً لم يكن مُنفصلاً، لا تقول: قامَ أنا، ولا ذهب أنت، فكذلك لا تقول: أذاهـبٌ أنت؟ على حدِّ الفاعل ولكن على حدِّ المبتدأ، وإذا كان على حدِّ المبتـدأ[٢] فلا بدّ من جمع الخبر، فعلى هذا يقول: أو مُخْرِجيَّ هـم؟ بالتّشـديد تُريـدُ: أمخرجونَ، ثمّ أضفتَ إلى الياء وحذفتَ النُّـون للإضافـة ثـمّ أُدغمـتَ الـواو كما يقتضي القياسُ »[٣].

(قال)[٤] : « وهذا فصلٌ بديعٌ في النّحو قـلّ مـن تنبّـه إليـه وشـرحه بهذا البيان »[٥].

❁ ❁ ❁

(١) من م . والكلام ما يزال للسّهيلي .
(٢) وإذا كان على حدِّ المبتدأ : ساقطة من م .
(٣) الرّوض الأنف ١/٢٧٤ .
(٤) من م .
(٥) لا يوجد هذا النّصُّ في الرّوض الأنف .

قولُها : « قال ورقةُ : نعم، لم يأت رجلٌ قطُّ بما جئتَ به إلاّ عُودِي »:

وفي رواية : « أوذي مكان « عودي »»، وفي رواية صالح بن أبي الأخضر وغيرِه عن الزُّهري الجمعُ بينهما قال: « إلاّ عُودي وأوذي، فليتني فيها جَذَعاً ».

وفي حديث عبد الله بن شدّادٍ قال: « فقال ورقةُ لخديجة: هل رأى زوجُكِ صاحبَه في خَضِرٍ؟ فقالت: نعم، فقال: إنّ زوجَك نبيٌّ، وسيُصيبُه في أمّتِه بلاءٌ » رواهُما أبو نعيمٍ في « دلائِله » .

قلتُ : وهذه سنّةُ الله تعالى في الأنبياء والمرسلين مع قومِهم غيرِ الموفَّقين للإيمان منهم فإنّهم يُظهرون لهم العداوةَ والأذى على الجملة، ويشتدُّ عليهم الفِطامُ عمّا كان آباؤُهم عليه، فيُبالغون في أذى نبيِّهم والذين آمنوا به، فيضطرُّونهم إلى الخروج عنهم كما جرى لنبيِّنا وأصحابه، ولعلّ ورقةَ سمع ذلك من أهل الكتاب الذين عَرفَ منهم صفةَ النّبيّ محمّدٍ ﷺ ووقتَ مبعثِه.

ولفظُ « قَطُّ » في تأكيد نفي الفعل الماضي كلفظ « أبداً » في نفي الفعل المستقبل، والطّاءُ مضمومةٌ مشدّدةٌ ومخفّفةٌ .

قولُه : « وإن يُدْرِكْني يومُك أَنْصُرْكَ نصراً مُؤَزَّراً » :

ووقع في رواية صالح عن الزُّهري: « فليتني حيّاً يومَ يُخرِجُك قومُك فأنصرك نصراً مُؤزّراً »، ووقع في حديث عبيد بن عميرٍ: « ولئن أنا أدركتُ ذلك ».

قال السُّهيليُّ : « « إن يُدْرِكْني يومُك » هو القياسُ لأنّ ورقةَ سابقٌ

بالوجودِ، والسّابقُ هو الذي يُدرِكُ من يأتي بعدَهُ كما جاء: « أشقى النّاسِ من أدركتهُ السّاعةُ وهو حيٌّ[١] »[٢] .

قال[٣] : « وروايةُ ابن إسحاق[٤] أيضاً لها وجهٌ لأنّ المعنى: إن أَرَ ذلك اليومَ، فسَمَّى رؤيتَه إدراكاً، وفي التّنزيل: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[٥] أي لا تراهُ على أحد القولين.

وقولُه : « مُؤَزَّراً » من الأَزْرِ وهو القُوَّةُ والعَوْنُ »[٦].

وقال الخطّابيُّ[٧] : « مُؤزَّراً أي بليغاً مُقوّىً ».

---

(١) أخرجه بنحوه القضاعيُّ في مسنده ٢٠٧/١، رقم: ٣١٣ من طريق يعلى بن الأشدق بن الجراد بن معاوية العقيلي - ويكنى بأبي الهيثم -، عن عمِّه عبد الله بن جرادٍ قال: قال رسول الله ﷺ: « الشّقيُّ كلّ الشّقيّ من أدركته السّاعةُ حيّاً لم يمت »، ويعلى بن الأشدق قال عنه البخاريُّ في التّاريخ الصّغير ١٧٩/٢: « لا يكتبُ حديثُه ». وقال ابنُ حبّان في المجروحين ١٤٢/٣: « لا تحلُّ الرّوايةُ عنه بحالٍ ولا الاحتجاجُ به بحيلةٍ، ولا كتابته إلاّ للخواصّ عند الاعتبار »، وعبدُ الله بن جرادٍ اثنان أحدُهما صحابيٌّ، والآخر واهٍ ذاهبُ الحديث ولم يثبت حديثُه، كما نقله ابنُ حجر في الإصابة ٤٨/٤ عن البخاري. وفي الباب عن ابن مسعودٍ قال: سمعتُ النّبيّ ﷺ يقول: « من شرار النّاس من تُدركُهم السّاعةُ وهم أحياء » أخرجه البخاريُّ ١٤/١٣، رقم: ٧٠٦٧.

(٢) الرّوض الأنف ٢٧٣/١ - ٢٧٤ .

(٣) أي السّهيلي .

(٤) رواية ابن إسحاق هي : « إن أدرك ذلك اليوم » .

(٥) الأنعام : الآية ١٠٣ .

(٦) الرّوض الأنف ٢٧٤/١ .

(٧) في م : الحافظُ .

وقال الهرويُّ : « مُؤزَّراً أي بالغاً، يُقال: آزَرْتُه ووازَرْتُه أي عاونته، وكذلك آسَى وواسَى »(١).

وقال الجوهريُّ : « العامّةُ تقول : وازَرْتُه »(٢) .

قال ابنُ سيده : « هي على البدل » .

قال ابنُ الأعرابي : « الأَزْرُ القُوّةُ أو الضّعفُ فهو من الأضداد، والأَزْرُ: الظَّهْرُ فقولُه تعالى: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾(٣) يحتملُ المعاني الثّلاثة »(٤).

وقال أبو عبد الله القزّاز : « هكذا نُقل هذا الحرفُ « مُؤَزَّراً » وهو من: وازَرْتُه مُوازَرَةً إذا عاونتَهُ في أمره، وأنت مُوازِرٌ له فيه أي مُعاوِنٌ ».

قال : « وأحسِبُ أنّ الألفَ سقطتْ من أمام الواو أي كان: « مُؤَازراً » إذ لا أصلَ لـ « مُؤَزَّر » في كلام العرب غيرُ ما ذكرنا، ومِن المُؤازرة أُخذ اسمُ وزيرِ المَلِكِ لأنّه مُعاونٌ له في أمورِه ».

قال القاضي عياض : « وقد ظهرَ لي أنّه صحيحٌ على ما جاءت به الرّوايةُ وأنّه أولى وأليقُ بالمعنى، والمرادُ: نصراً قويّاً، مأخوذٌ من الأَزْرِ وهو القُوّةُ ومنه: تَأَزَّرَ النَّبْتُ إذا اشتدَّ وطالَ قال الله تعالى: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾(٥) قيل: قُوّتي وقيل: ظَهْري، ولو كان على ما ذهبَ إليه هذا

---

(١) الغريبين ٤٦/١ للهروي .

(٢) الصّحاح ٥٧٨/٢ .

(٣) طه : الآية ٣١ .

(٤) تهذيب اللّغة ٢٤٧/١٣ .

(٥) طه : الآية ٣١ .

القائلُ لكان صوابُ الكلامِ « مُؤَازِراً » بكسر الزّاي، وبعد أن ظهرَ لي هـذا وجدتُ معناهُ مُعَلَّقاً عن بعض المشايخ ووجدتُه للخطّابيّ[١] وهو صحيحٌ »[٢].

قلتُ : ليس فيما قالهُ القاضي ما يُجابُ به عن اعتراض القَزّاز و(لا)[٣] ما يُصَحِّحُ به لفظُ « مُؤَزَّر » من جهة الاشتقاق على قياس العربيّة إلا قولُه: تأزّرَ النَّبْتُ إذا التفَّ واشتدّ .

أنشد الجوهريُّ[٤] :

تأزّرَ فيه النَّبْتُ حتّى تخايلتْ رُباهُ وحتّى ما تَرى الشّاء نُوَّمَا

فوزنُ « تَأَزَّرَ » تفعّلَ، وتفعّلَ هو مُطاوِعُ فَعَلَ كتكسّرَ وتعرّفَ، وفَعَّلَ وأَفْعَلَ يتّفقان في التّعدية كثيراً كأنزلَ ونزّلَ، وقد قال الله تعالى: ﴿فَآزَرَهُ﴾[٥]، فهذا أَفْعَلَ؛ فلا بُعْدَ في جواز فَعَّلَ وقد دلَّ عليه مُطاوِعُه، فقولُه: « مُؤَزَّراً » اسمُ مفعولٍ من ذلك مثلُ مُشَرَّف ومُفَضَّل، وليس لنا من غير ذلك أَزَّرَهُ فهو مُؤَزَّرٌ إلاّ في لُبس الإزار يُقال: أَزَّرْتُهُ تأزيراً فتأزّرَ هو واتّزَرَ .

فأقولُ : يجوزُ أن يكون مأخوذاً من هذا لأنّ لُبْسَ الإزارِ يُكنى به عن الجِدِّ والتَّشْميرِ في الأمرِ والقيامِ به على الوجه المرضيّ، وأصلُه أن يَتّزِك

(١) أعلام الحديث ١/١٣١ .

(٢) إكمال المعلم ١/٦٤٦ - ٦٤٧ .

(٣) من م .

(٤) الصّحاح ٢/٥٧٨ .

(٥) الفتح : الآية ٢٩ .

مُضاجعةَ أهلِه كما جاء في الحديث: « كان رسولُ الله ﷺ إذا دخل العَشْرُ الأواخِرُ شَدَّ المئزرَ وأيقظَ أهلَه »(١).

وقال الشّاعرُ :

قومٌ إذا حاربُوا شَدُّوا مآزِرَهُم

فمعناهُ : أنصرك نصراً قد اعتُني به واجتُهد فيه وشُمِّر لـه، فهـو علـى أكمل وجوه النّصر والله أعلمُ .

وفي حديث ابن لهيعة عـن أبـي الأسـود عـن عـروة: « أنّ ورقـةَ قـال لخديجة: يا بنتَ أخي، ما أدري لعـلَّ صـاحبَكِ الـذي ينتظـرُ أهـلُ الكتـابِ الذي يجدُونه مكتوباً في الإنجيل، فأُقسمُ بالله لئن كان إيّاهُ ثـمّ دعـا إلى الله وأنا حَيٌّ لأُبلينّ اللهَ في طاعةِ رسولِه وحسنِ المُؤازرةِ والنُّصْرةِ له » .

أخرجهُ أبو نعيمٍ الأصبهاني في « دلائله »(٢) .

وقد تقدّم نحوُه أيضاً في رواية موسى بن عقبة، فهذا يُقـوّي مـا صـار إليه القَزّازُ والله أعلمُ .

قال ابنُ إسحاق : وقـد كـانت خديجةُ ذكـرتْ لورقـة مـا ذَكَـرَ لهـا غُلامُها ميسرةُ من قول الرّاهب وما كان رأى منه إذ كان المَلَكان يُظِلاّنِـه، فقال ورقةُ: لئن كان هذا حقّاً يـا خديجـةُ إنّ محمّـداً لنبيُّ هـذه الأُمّـة، قـد

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٩/٤، رقم: ٢٠٢٤، ومسلم ٨٣٢/٢، رقم: ٧، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) والبيهقيُّ أيضاً في دلائل النّبوّة ١٤٥/٢. وإسنادُه مرسـلٌ، وابـنُ لهيعـة ضعيـفٌ مـن قبـل حفظه.

عرفتُ أنّه كائنٌ لهذه الأُمّة نبيٌّ يُنتظَرُ هذا زمانُه، فجعل ورقةُ يستبطئُ الأمرَ ويقول: حتّى متى، فكان فيما يَذكرون يقول أشعاراً يستبطئُ فيها(١) خبرَ خديجة فقال:

أتُبْكِرُ أم أنتَ العَشِيَّةَ رائِحُ
وفي الصّدر مِن إضمارك الحُزنَ فادِحُ

لفُرقة قومٍ لا تُحِبُّ فِراقَهُم
كأنّك عنهم بعد يومين نازِحُ

وأخبارُ صدقٍ خُبِّرَتْ عن محمّدٍ
يُخبِّرُها عنه إذا غابَ ناصِحُ

فقال الذي وجّهت يا خيرَ حُرّةٍ
بغَوْرٍ وبالنَّجْدَين حيثُ الصَّحاصِحُ

إلى سُوق بُصرى في الرِّكاب التي غَدَتْ
وهُنَّ من الأحْمالِ قُعْسٌ دَوالِحُ

فخبَّرَنا عن كلِّ خَيْرٍ بعِلْمِه
وللخيرِ أبوابٌ لهُنّ مفاتِحُ

بأنّ ابنَ عبدِ الله أحمدَ مُرْسَلٌ
إلى كلِّ مَن ضُمَّتْ عليه الأباطِحُ

وظنّي به أن سوفَ يُبعثُ صادِقاً
كما أُرسِلَ العَبْدانِ هودٌ وصالِحُ

---

(١) في م: بها.

وموسى وإبراهيمُ حتّى يُرى لـــهُ
بَهاءٌ ومَنْشُـورٌ مِن الذِّكْــرِ واضِــحُ
ويتبعُه حَيّا لُـؤَيٍّ جماعــــةً
شبابُهمُ والأشْيَبُـونَ الجَحاجِــحُ
فإن أَبْقَ حتّى يُدْرِكِ النّاسَ دهــرُه
فإنّي به مُستبشِـرُ الـوُدِّ فــارِحُ
وإلاّ فإنّي يا خديـجةُ فاعلَمِـــي
عَن[١] أرْضِكِ في الأرضِ العَريضةِ سائِحُ
فمُتَّبِعٌ دِينَ الذي أَسَّسَ الهُــدَى
وكُلٌّ له فَضْلٌ على النّـاسِ راجِــحُ
وأسّــسَ بنيـاناً بمكّــةَ ثابتــاً
تَــلأْلأُ فيــه بالظَّــلامِ المَصابِــحُ
مُنيفاً على تَشْييدِ كــلِّ مُشَيَّــدٍ
على بابِه ذي العُروتينِ الصّفائـــحُ
مَثاباً لأفْناءِ القبائــلِ كلِّـــها
تَخُبُّ إليه اليَعْمُلاتُ الطَّلائِــحُ
حَراجيجُ حُدْبٌ قد كَلِلْنَ من السُّرى
تَعَلَّقُ في أَرْساغِهِـنَّ السَّرائِــحُ[٢]

---

(١) في هامشي الأصل ، م : مِنْ .

(٢) روى هذه القصيدة يونس عن ابن إسحاق انظر الرّوض الأنف ١/٢٢٠ - ٢٢١، والبداية والنّهاية ٣/١٢ مع اختلافٍ في بعض الكلمات، ثمّ إنّ ابن كثيرٍ لم يورد من القصيدة إلاّ سبعة أبياتٍ. وإسنادُها كما هو ظاهرٌ معضلٌ .

وقال ورقةُ أيضاً :

إن يَكُ حقّاً يا خديجةُ فاعلمي
حديثُكِ إيّانا فأحمدُ مُرْسَلُ

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ مَعْهُما
من اللهِ وحيٌ يَشْرَحُ الصّدرَ مُنْزَلُ

يفوزُ به مَن فازَ فيها بتوبةٍ
ويَشْقَى به العاتي الغَوِيُّ المُضَلَّلُ

فريقانِ منهم فِرْقةٌ في جنانِه
وأخرى بأجْوارِ الجحيمِ تُغَلَّلُ

إذا ما دَعَوْا بالويلِ فيها تتابعتْ
مَقامِعُ في هاماتِهم ثَمَّ تُشْعَلُ

فسُبحانَ من تَهوى الرِّياحُ بأمرِه
ومن هو في الأيّامِ ما شاءَ يفعَلُ

ومَن عرشُه فوق السّمواتِ كُلِّها
وأحكامُه في خَلْقِه لا تُبَدَّلُ(١)

---

(١) أخرج القصيدةَ البيهقيُّ في دلائل النّبوّة ٢/١٤٩ ـ ١٥٠ من طريق يونس، عن ابن إسحاق قال: وكان ورقةُ بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ قال فيما ذكرت له خديجةُ من أمر رسول الله ﷺ فيما يزعمون: فذكر القصيدة. وهذا مرسلٌ. ولها طريقٌ أخرى أخرجها أبو نعيم في دلائل النّبوّة ١/٢٨٠ ـ ٢٨٢ من طريق إسماعيل بن أبي =

وقال ورقةُ أيضاً :

يا للرِّجال لصَرْفِ الدَّهْرِ والقَــدَرِ
وما لشيءٍ قضاهُ اللهُ مِن غِيَــــرِ

حتّى خديجةُ تَدعوني لأُخبِرَهــــا
وما لنا[١] بِخَفِيِّ الغيبِ مِن خَبَــــرِ

فكانَ ما سألتْ عنهُ لأُخبِرَهــــا
أمراً أراهُ سيأتي النّاسَ عن أَخَــــرِ

فخبّرتني بأمرٍ قــد سمعــتُ بــه
فيما مضى مِن قديم النّاس[٢] والعُصُرِ

بأنّ أحمــــدَ يأتيــه فيُخبِــرُه
جبريلُ أنّك مبعوثٌ إلى البَشَــــرِ

فقلتُ عَلَّ الذي تَرْجين[٣] يُنْجِــزُهُ
لك الإلهُ فَرَجِّي الخيرَ وانتظــــرِي

وأرسليه إلينا كي نُسائلَــــهُ
عن أمر ما يَرى في النّومِ والسَّهَــــرِ

حكيمٍ، عن عمر بن عبد العزيز، عن أبي بكر بن عبد الرّحمن بن الحارث بن هشام، عن أمّ سلمة، عن خديجة به.

(١) في هامشي الأصل ، م : لها .

(٢) في م : الدّهر .

(٣) في م : ترجوه .

فقال حين أتانا منطِقاً عَجَبــــاً
تقفُّ منه أعالي الجلدِ والشَّعَـــرِ
إنّي رأيتُ أمينَ اللهِ واجهــني
في صورةٍ أُكملتْ مِن أعظمِ[١] الصُّوَرِ
ثمّ استمرّ فكان الخوفُ يَذْعُرُنـي
ممّا يُسلِّمُ ما حَوْلي مِن الشَّجَـرِ
فقلتُ ظنّي وما يَدري أيَصْدُقُني
أن سوفَ تُبعَثُ تتلو مُنْزَلَ السُّـوَرِ
وسوف أبليكَ إن أَعْلَنْتَ دعوتَهُم
من الجهادِ بِلا مَنٍّ ولا كَـدَرِ[٢]

وقال ورقةُ أيضاً :

لجحتُ وكنتُ في الذِّكرى لَجُوجَا
لِهَمٍّ طالَ ما بعثَ النَّشيجَـا
ووصفٍ من خديجةَ بعدَ وصــفٍ
فقد طالَ انتظاري يا خديجـا
ببطنِ المكّتين[٣] على رجـاءِ
حديثكِ لو أرى منه[٤] خروجَـا

---

(١) في هامش الأصل : أهيب .

(٢) القصيدة في دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٢٨٢ - ٢٨٣، والبيهقي ٢/١٥٠ - ١٥١. قال ابنُ كثير في البداية ٣/١٣ - بعد إيراد القصيدة -: « وعندي في صحّتها عن ورقة نظرٌ ».

(٣) في هامش الأصل : قلتُ : يريدُ بالمكّتين جانبي مكّة شرّفها الله تعالى، وكذلك ما يثنى ويجمع من نحو ذلك.

(٤) في هامش الأصل : قلتُ : منه معمولُ خروجا تقدّم عليه، ومن أبى نحو ذلك من النّحويين لم ينعم النّظر في كثرة ما وردَ من ذلك في القرآن وغيره والله أعلم.

بما خبَّـرتني عـن قـول قُـسٍّ
من الرُّهبان يكرهُ أن يَعُوجَـا
بأنّ محمّداً سيسُـودُ يومـاً
ويَحْطِمُ مَن يكونُ له حجيجَـا
ويظهرُ في البلادِ ضيـاءَ نُـورٍ
يُقيمُ به البريّةَ أن تَمُوجَـا
فيَلقى مَن يُحاربُه خَسـاراً
ويَلقى مَن يُسالمُه فُلُوجَـا
فيا ليتني إذا ما كـان ذاكُـمْ
شهدتُ وكنتُ أوّلَهُم وُلُوجَـا
وُلُوجاً في الذي كرهـتْ قُريشٌ
وإن عجّتْ بمكّتها عَجيـجَا
أُرَجِّي بالذي كـرِهُوا جميعـاً
إلى ذي العرشِ إن سفلُوا عروجَا
فإن يبقَوا ونبْقَ تكُـنْ أمـورٌ
يضجُّ الكافرون بها ضجيـجَا
وإن أهلك فكـلُّ فتىً سيلقـى
مِن الأقدارِ متلفةً خَلُوجَـا[1]

(١) ذكر القصيدةَ ابنُ إسحاق بلا إسنادٍ كما في سيرة ابن هشام ١٩١/١ ـ ١٩٢، وذكرها أيضاً ابنُ كثيرٍ في البداية والنّهاية ١١/٣ مع اختلافٍ يسيرٍ في بعض الكلمات.

فصلٌ

انتهى حديثُ عائشةَ على ما ورد[١] في « صحيح مسلم » .

وفي الحديثِ دليلٌ على صحّة الرُّؤيا وأنّها إذا كانت صادقةً وقعتْ .

وفيه دليلٌ على أنّ الاعتزالَ والخَلْوَةَ والمُجاورةَ أفرغُ لقلب المُتعبِّد .

وفيه إشارةٌ إلى أنّ الدُّنيا لا بدّ فيها من التّردُّدِ في التّزوُّدِ .

وفيه دليلٌ على أنّ مكارمَ الأخلاقِ وخصالَ الخير تَقي مصارعَ السُّوءِ والله أعلمُ .

قولُها في « صحيح البخاري » : « لم يَنْشَبْ ورقةُ أن تُوفّي » :

قال ابنُ بطّال : « أي لم يَنْشَبْ في شيءٍ من الأمور، وكأنّ هذه اللّفظةَ عند العرب عبارةٌ عن السُّرعةِ والعجلةِ »[٢].

قال ابنُ القزّاز : « العربُ تقولُ : ما نَشِبَ فلانٌ أن يَفعل كذا أي ما لَبِثَ أن فعلَهُ، وما نَشِبْتُ أسألُ عن خبرك أي ما زلتُ ».

قال الحربيُّ : « أي لم يشتغل بغير ما كان فيه ولا أعرضَ عنه ».

ومثلُه : « ثمّ لم يَنْشَبْ أن طلّقها » أي لم يتعلّق بشيءٍ حتّى طلّق كما يَنْشَبُ الشّيءُ بالشّيءِ .

---

(١) غير مثبتة في م .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطّال ١/ل ٥ أ .

وحكى البَرْمَكيُّ[١] في كتابه « المنتهى »[٢] : « ما نَشِبَ أن فعلَ كذا أي ما لَبِثَ، وما نَشِبْتُ أقولُ ذلك ».

قلتُ :

فقولُها : « أن تُوفِّي » يكونُ بدلاً من « ورقة »، أي لم تَلْبَثْ وفاتُه أي أنّها أسرَعتْ ولم تُبطِىء، أو التّقديرُ: في أن تُوفِّي، أي لم يلبث في أمر الوفاة بل فاضتْ نفسُه في ذلك الأوان، ومثلُه قولُه تعالى: ﴿**فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ**﴾[٣].

قال الزّمخشريُّ في « تفسيره » :

« فما لبثَ في المجيء به[٤] بل عجّل فيه، أو فما لبثَ مجيئُه »[٥].

قولُه : « وفَتَرَ الوحيُ فَتْرَةً حتّى حَزِنَ النّبيُّ ﷺ فيما بلغنا حُزْناً غَدَا منه مِراراً كي يَترَدَّى مِن رُؤوس شَواهقِ الجبال » :

هذا من كلام الزُّهريّ أو غيرِه غيرِ عائشةَ والله أعلمُ لقولِه: « فيما بلغنا »، (ولم تقُل عائشةُ في شيءٍ من هذا الحديث ذلك وإن كانت لم

---

(١) هو أبو المعالي محمّد بن تميم البَرْمَكِيُّ اللّغويُّ، توفّي سنة ٤١١هـ، انظر معجم الأدباء ١٨/٣٤ - ٣٥، وهديّة العارفين ٢/٦١.

(٢) قال ياقوت : « له كتابٌ كبيرٌ في اللّغة سمّاه المنتهى في اللّغة منقولٌ من كتاب الصّحاح للجوهري، وزاد فيه أشياءَ قليلةً، وأغرب في ترتيبه ... » .

(٣) هود : الآية ٦٩ .

(٤) غير مثبتة في م .

(٥) الكشّاف ٢/٢٢٤ .

تُدرك وقتَهُ، وحديثُها هـذا مـن جملـة الأحـاديث الـتي يُعـبَّرُ عنهـا بمراسيل الصّحابة)[١].

وفَتَرَ الوحيُ : أي انكسرَ وضَعُفَ وقلَّ وانقطـعَ ومضـتْ علـى ذلـك مُدّة، ومنه قولُه تعالى: ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾[٢] أي على حين فُتُورٍ مـن إرسالِ الرُّسل وانقطاعٍ من الوحي، ويُقال: طَرْفٌ فاتِرٌ أي مُنكسِرٌ، ومـاءٌ فاتِرٌ للذي قلّت برودتُه أو حرارتُه، ولم يُذكر في الحديث مقدارُ الفَتْرَةِ.

قال السُّهيليُّ : « وقد جاء في بعض الأحـاديثِ المسـندةِ أنّهـا كـانت سنتين ونصفَ سنةٍ »[٣].

قال : « فمن هاهنا يتّفقُ ما قالهُ أنـسُ بـن مـالكٍ أنّ مُكثَـهُ ﷺ بمكّـة كان عشرَ سنين، وقولُ ابن عبّاسٍ: ثلاثَ عشرةَ سـنةً، وكـان قـد ابتُـدِىء بالرُّؤيا الصّادقةِ ستّةَ أشهُرٍ، فمن عدَّ هذه الفترةَ وأضافَ إليها الأشهُرَ السّتّةَ كانت كما قال ابنُ عبّاسٍ، ومن عدَّها مِن حِين حَمِيَ الوحيُ وتتـابعَ كمـا في حديث جابرٍ كانت عشرَ سنين »[٤].

قال : « ووجهٌ آخرُ في الجمعِ بين القولين وهو أنّ الشّعبيَّ قال : وُكِلَ إسرافيلُ بنبوّةِ محمّدٍ ﷺ ثلاثَ سنين، ثمّ جاءه جبريلُ بالقرآن »[٥].

---

(١) من م .

(٢) المائدة : الآية ١٩ .

(٣) الرّوض الأنف ١/٢٨١ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

قلتُ : وهذا منقطعٌ قال حنبل بن إسحاق : ثنا أبو عبد الله، ثنا محمّدُ بن أبي عَدِيٍّ، عن داود، عن عامرٍ قال: نزلت عليه النّبوّةُ وهو ابنُ أربعين سنةً، فقُرن بنبوّتِه إسرافيلُ ثلاثَ سنين، فكان يُعَلِّمُه الكلمةَ والشّيءَ ولم يَنزِل القرآنُ، فلمّا مضت ثلاثُ سنين قُرن بنبوّتِه جبريلُ، فنزل القرآنُ على لسانِه عشرين: عَشْراً بمكّة وعَشْراً بالمدينة، فمات وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين[1].

وقال ابنُ إسحاق في حديثه : « ثمّ فَتَرَ الوحيُ عن رسول الله ﷺ فَتْرَةً حتّى شقَّ عليه وأحزنَهُ فقال في نفسه ـ ممّا بلغ ذلك منه ـ: لقد خشيتُ أن يكون صاحبي قد قَلاني فوَدَعَني ، فجاءهُ جبريلُ بسورة « والضُّحى » يُقسِمُ له ربُّه وهو الذي أكرمَهُ بما أكرمَهُ ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾[2] »[3].

وشَواهِقُ الجبال : المرتفعاتُ منها واحدُها شاهِقٌ .

ويتردّى : أي يَرمي نفسَهُ ويسقُط .

قولُه : « فكُلّما أَوفى بذروة جبلٍ لكي يُلقي نفسَه منه تَبدّا له جبريلُ فقال: يا محمّد، إنّك رسولُ الله حقّاً » :

أوفى : أي أشرفَ .

وذروةُ كلِّ شيءٍ : أعلاهُ ، وجمعُها ذُراً .

---

(١) في م زيادة : سنةً . وهذا الحديثُ تقدّم تخريجُه ص ٧٧ .

(٢) الضّحى : الآية ٣ .

(٣) سيرة ابن هشامٍ ٢٤١/١ باختصارٍ .

وتبدّا له : أي ظهرَ .

قال السُّهيليُّ: « واسمُ جبريل سِرْيانيٌّ، ومعناهُ عبدُ الرّحمن أو عبدُ العزيز، هكذا جاء عن ابن عبّاسٍ موقوفاً ومرفوعاً أيضاً والوقفُ أصحُّ[1]. وأكثرُ النّاسِ على أنّ آخِرَ الاسمِ منه هو اسمُ الله وهو : إيل »[2].

قال : « وكان شيخُنا رحمه الله يذهبُ مذهبَ طائفةٍ من أهل العلمِ في أنّ هذه الأسماءَ إضافتُها مقلوبةٌ، وكذلك الإضافةُ في كلام العجم يقولون في غلام زيدٍ: زيدُ غلامٍ، فعلى هذا يكونُ « إيل » عبارةً عن العبدِ، ويكونُ أوّلُ الاسمِ عبارةً عن اسمٍ من أسماء الله، ألا تَرى كيف قال في حديث ابن عبّاسٍ : « جبرئيل » و« ميكائيل » كما تقول : عبد الله وعبد الرّحمن، ألا ترى أنّ لفظَ « عبد » يتكرّرُ إذا قلتَ : عبد الله وعبد العزيز وعبد الرّحمن، كما أنّ « إيل » في هذه الأسماء يتكرّرُ بلفظٍ واحدٍ والأسماءُ ألفاظُها مختلفةٌ »[3].

ثمّ[4] قال : « واتّفقَ في اسم جبريل عليه السّلام أنّه مُوافِقٌ من جهة العربيّة لمعناهُ وإن كان أعجميّا فإنّ الجَبْرَ هو إصلاحُ ما وَهَى، وجبريلُ مُوَكَّلٌ بالوحي، وفي الوحيِ إصلاحُ ما فسدَ وجَبْرُ ما وَهى من الدِّين، ولم يكن هذا الاسمُ معروفاً بمكّة ولا بأرض العرب، فلمّا أخبر النّبيُّ ﷺ خديجةَ

(١) في الرّوض الأنف : أصله ، وهو تحريفٌ .

(٢) الرّوض الأنف ١/٢٧٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) غير مثبتة في م .

انطلقتْ تسأل مَن عندهُ علمٌ من الكتاب كعَدَّاسٍ ونَسْطُورٍ الرّاهب فقالا: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، أنّى لهذا الاسمِ أن يُذْكَرُ بهذه البلادِ ! »[١].

وسُئل مالكٌ عن التّسمّي بجبريل ؟ فكره ذلك و لم يُعجبهُ[٢] .

وحقًا : مصدرٌ مُؤَكِّدٌ لمعنى الجملة المتقدّمة أي أَحُقُّ ذلك حَقًا، أو حُقَّ أنتَ إنّك[٣] رسولُ اللهِ حقًا .

قولُها : « فيسكن لذلك جَأشُه، وتقرّ نفسُه، فيرجعُ فإذا طال عليه فترةُ الوحيِ غَدَا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبلٍ تَبدَّا له جبريلُ فقال له مثلَ ذلك » :

لذلك : أي لأجل قول جبريل ذلك .

« والجَأْشُ : جَأْشُ القلبِ وهو رُواعُه إذا اضطربَ عند الفـزعِ يُقال: فلانٌ رابطُ الجَأْشِ أي يربطُ نفسَهُ عند[٤] الفرار لشجاعتِه »[٥].

« والقَرارُ في المكان : الاستقرارُ فيه تقول منه: قَرِرْتُ بالمكان بالكسر أَقَرُّ قراراً، وقَرَرْتُ أيضاً بالفتح أَقِرُّ قراراً وقُرُوراً، وقَرِرْتُ به عيناً وقَرَرْتُه عَيْناً قُرَّةً وقُرُوراً فيهما، ورجلٌ قَريرُ العَيْنِ، وقد قَرَّتْ عينُه تَقَرُّ وتَقِرُّ نقيضُ سَخُنَتْ، وأَقَرَّ اللهُ عينَه أي أعطاهُ حتّى تَقَرَّ فلا تطمح إلى مَنْ هو فوقَه،

---

(١) الرّوض الأنف ٢٧٣/١ .

(٢) المصدر نفسه ٢٧٣/١ لكن فيه : « وفي كتاب المُعَيْطِي عن أشهب قال: سُئل مالكٌ ...».

(٣) في م : إنّك أنت .

(٤) الصّحاح ٧٩٠/٢ .

(٥) في الصّحاح : عن .

ويُقال: حتّى تبرُدَ ولا تسخن؛ فللسُّرورِ دمعةٌ باردةٌ وللحزنِ دمعةٌ حارّةٌ »، قال ذلك كلَّهُ الجوهريُّ[١].

فقولُه : « وتقرّ نفسُه » أي تستقِرُّ ويزول ما[٢] كان بها من الاضطراب والقلق.

وقال الهرويُّ : « أقرَّ اللهُ عينَك أي صادفَ فؤادَك ما يُرضيك فيُقِرّ عينَك[٣] من النّظر إلى غيره »[٤].

قال : « وقيل : أقَرَّ اللهُ عينَهُ أي أنامَها »[٥] .

قولُه في حديث جابرٍ في « الصّحيحين » : قال رسولُ اللهِ ﷺ وهو يُحدِّثُ عن فترة الوحيِ قال في حديثه : « فبينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السّماء فرفعتُ رأسي فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحراء جالساً على كرسيٍّ بين السّماء والأرض » :

وفي رواية صالحٍ عن الزُّهري : « فبينا أنا أمشي إذا أنا بالمَلَكِ الذي أتاني في غار حراء على سريرٍ بين السّماء والأرض » .

بَيْنا : هي « بَيْنَ » أُشبِعَتْ فتحتُها فصارت « بَيْنَا » بوزن فَعْلَى، ومنهم من يزيدُ على « بَيْنَ » لفظةَ « مَا » فيقولُ[٦]: « بينَما »، ويجوزُ أن

---

(١) الصّحاح ٣/٩٩٧ .

(٢) في م : وتزول عمّا .

(٣) في الغريبين : فتقرُّ عينُك .

(٤) الغريبين ٥/١٥٢٤ ـ تحقيق المزيدي .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) في م : يقول .

تكونَ « بَيْنا » محذوفةَ الميمِ من « بَيْنَما » توسُّعاً في اللُّغة لمّا عرف موضعُها الذي تُستعمل فيه وهو إضافتُها إلى الجُمل على حذف مضافٍ من أسماء الزّمان.

فقولُه : « فبينا أنا أمشي » أي فبينَ أوقاتِ مشيي كما أنّ تقديرَ قولك: أتيتُك زمنَ الحجّاجُ أميراً، أي زمنَ إمارتِه.

وقوله : « سمعتُ صوتاً » أي إذ سمعتُ صوتاً فحُذفَ « إذ » وهو الأفصح عند الأصمعيّ وغيرِه من الأئمّة كما قال :

بَيْنَا نحنُ نرقبُه أتانا

أي سمعتُ الصّوتَ في أثناء أوقات مشيي، ولو كان في الكلام لفظةُ « إذ » لكان التّقديرُ: فاجأني سماعُ الصّوتِ في أثناء أوقات مشيي لأنّ « إذ » أُقيمتْ في ذلك مقامَ المُفاجأة، وكذلك « إذا » كما قال في الحديث بعد ذلك وهو جبريلُ عليه السّلام دلّ عليه الحديثُ المتقدّم .

وفي حديث عُبيد بن عُميرٍ : « سمعتُ صوتاً من السّماء يقول: يا محمّد، أنت رسول الله وأنا جبريلُ، فرفعتُ رأسي فإذا جبريلُ في صورة رجُلٍ صافٌّ قدميه في أفق السّماء » .

قال السُّهيليُّ : « وفي حديث جابرٍ أنّه رآه على رفرفٍ ، ويُروى : « على عرشٍ بين السّماء والأرض »[١] .

وقال يعقوبُ بن سفيان الحافظ : ثنا ابن بكيرٍ[٢]، ثنا عبدُ الله بن لهيعة، حدّثني محمّدُ بن عبد الرّحمن[٣]، عن عروة، عن عائشة أنّ نبيّ الله

(١) تقدّم تخريجُه ص ٦٣ .

(٢) يحيى بن عبد الله بن بكيرٍ .

(٣) ابن نوفلٍ الأسدي يتيم عروة .

ﷺ كان أوّل شأنِه يرى في المنامِ، فكان أوّل ما رأى جبريل بأجياد أنّه خرجٍ لبعض حاجتِه فصرخَ به: يا محمّد، يا محمّد، فنظرَ يميناً وشمالاً فلم يرَ شيئاً، ثمّ نظر فلم ير شيئاً، فرفع بصرَه فإذا هو يراهُ ثانِياً إحدى رجليه على الأخرى على أفق السّماء فقال: يا محمّد، جبريلُ جبريلُ، يُسَكِّنُهُ، فهرب محمّدٌ ﷺ حتّى دخل[1] في النّاس فنظر فلم ير شيئاً، ثمّ خرج من النّاس ثمّ نظرَ فرآهُ فدخل في النّاس (فنظر)[2] فلم يـر شيئاً، ثـمّ خرجَ فنظرَ فرآهُ، فذلك قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾ يعني إلى قوله: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ وهو جبريلُ ﴿**ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى**﴾[3].

وفي « صحيح البخاري »[4] عن عائشة أنّ النّبيّ ﷺ رأى جبريلَ مرّتين في صُورتِه وخَلْقِه سادّاً ما بين الأفق، فهذه هي المرّةُ الأولى في ابتداء النّبوّة، والثّانية عند سدرة المنتهى ليلةَ الإسراءِ .

وفي « صحيح البخاري » أيضاً عن علقمة، عن عبد الله في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾[5] قال: « رأى رفرفاً أخضرَ قد

---

(١) في م : فدخل .

(٢) من م .

(٣) النّجم : الآيات ١ ـ ٧ . والحديثُ في إسناده ابنُ لهيعة وهو ضعيفٌ من قبل حفظه.

(٤) أخرجه البخاري ٨/٦٠٦، رقم: ١، ومسلم ١/١٥٩، رقم: ٢٨٧، واللّفظُ له عن عائشة في حديثٍ طويلٍ فيه : « إنّما هو جبريلُ لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرّتين، رأيتُه منهبطاً من السّماء سادّاً عِظَمُ خَلْقِه ما بين السّماء إلى الأرض ».

(٥) النّجم : الآية ١٨ .

ملأ[١] الأفقَ »[٢].

قال الحافظُ البيهقيُّ : « يريدُ بذلك أنّه رأى جبريلَ عليه السّلام في صُورتِه على رفرفٍ أخضر ».

ووقع في « صحيح مسلمٍ »[٣] : « جالساً » بالنّصب على الحال، وخبرُ المبتدأ يكونُ محذوفاً أي كائنٌ أو مستقرٌ أو موجودٌ أو نحو ذلك .

ومن رواهُ : « جالسٌ » بالرّفع فهو ظاهرٌ لأنه خبرُ المبتدأ ولا حاجة إلى الإضمار وهو المعروفُ المستعملُ في هذا الباب كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾[٤]، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[٥]، ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[٦]، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[٧]، ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[٨]، ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾[٩]، ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[١٠]، ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الذِينَ كَفَرُوا﴾[١١]، وهو كثيرٌ .

---

(١) في البخاري : سَدَّ .
(٢) صحيح البخاري ٦١١/٨ ، رقم : ٤٨٥٨ .
(٣) صحيح مسلم ١٤٣/١ ، رقم : ٢٥٥ .
(٤) الرّوم : الآية ٢٠ .
(٥) يس : الآية ٢٩ .
(٦) يس : الآية ٥٣ .
(٧) الزّمر : الآية ٦٨ .
(٨) النّحل : الآية ٤ .
(٩) يس : الآية ٣٧ .
(١٠) الأعراف : الآية ١٠٧ .
(١١) الأنبياء : الآية ٩٧ .

وهذه هي المسألةُ التي خالف الكسائيُّ فيها سيبويه لمّا تناظرا فقالها سيبويه بالرّفع (لا غيرُ)[١]، وقالها الكسائيُّ بالنّصبِ (والرّفعِ)[٢] والأرجحُ الرّفعُ لما ذكرناهُ، وسنُبيِّنُ ذلك في « شرح ما نظمتُه في النّحو »[٣] إن شاء الله تعالى بزيادةٍ على ما ذكرناهُ والله أعلم.

قولُه : « فَجُئِثْتُ منه فَرَقاً » :

وفي رواية : « رُعباً » .

وجُئْثتُ : أوّله جيمٌ مضمومةٌ بعدها همزةٌ مكسورةٌ ثمّ ثاءٌ مثلّثةٌ، ويُروى بثاءين بعد الجيم وكلاهُما بمعنى واحدٍ .

وفي روايةٍ : « فَجُئِثْتُ منه حتّى هويتُ إلى الأرض » .

أمّا جُئْثتُ : فقال الهرويُّ : « معناهُ ذُعِرْتُ يُقال: جُئِثَ الرّجلُ وجُئِفَ وجُثَّ أي[٤] فَزِعَ »[٥]، وقاله الأزهريُّ أيضاً[٦] .

وقال الجوهريُّ : « وجُئِثَ الرّجلُ إذا أُفزِعَ فهو مَجْؤُوثٌ أي مذعورٌ »[٧].

---

(١) من م .

(٢) من م .

(٣) نظم المصنّفُ كتاب المفصّل للزّمخشري ثمّ شرح هذا النّظم، وقد ذكر هذا الشّرح في كتابه الذّيل على الرّوضتين ص ٤٠، ولا أعلم لهذا الكتاب نسخةً.

(٤) في م : إذا .

(٥) الغريبين ٣٠٧/١ ـ تحقيق المزيدي .

(٦) تهذيب اللّغة ١٧٠/١١ .

(٧) الصّحاح ٢٧٧/١ .

وقال أبو عبيدٍ : « جُثَّ الرّجلُ جَثّاً فهو مجثوثٌ إذا فزعَ وخافَ »[١].

وقال المازريُّ : « يُروى : فَحُثِثْتُ بالحاء غير معجمةٍ ومعناهُ: أَسْرَعْتُ خوفاً منه »[٢].

وقال الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا أحمدُ بن إسحاق، ثنا محمّد بن أحمد بن سليمان، ثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا عبدُ الله بن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهابٍ فذكرَ الحديثَ وقال: « فحُثِثْتُ » .

قال محمّد بن أحمد[٣] : « هكذا قال لنا يُونس فحُثِثْتُ بالحاءِ، وكان يُنكرُ على أهل العراق فجُثِثْتُ بالجيم ».

قال : « والرُّواةُ اختلفت في هذه اللّفظة فرُويت: جُئِثْتُ وجُثِثْتُ وحُثِثْتُ بالحاء ».

قال عياض : « أكثرُ روايات الرُّواة في هذا الحرف في الموضعين الأوَّلَين في الأمّ[٤]: فَجُئِثْتُ بالجيم وهمزةٍ مكسورةٍ بعدها وثاءٍ مثلّثةٍ، وكذا للعذري في الموضع الثّالث، وعند الجماعةِ فيه: فَجُثِثْتُ بالجيم وثاءين مُعجمتين بثلاثٍ، وكذا عند السّمرقندي في المواضع الثّلاثة، وكذلك اختلفت فيه الرّوايةُ عن البخاري.

---

(١) انظر نحوه في غريب الحديث ٢/٧٠ ، ١٩٩ .

(٢) المعلم بفوائد مسلم ١/٣٢٧ .

(٣) الرّاوي عن يونس بن عبد الأعلى .

(٤) يعني صحيح مسلم .

ومعنى الرّوايتين المذكورتين : فَزِعْتُ ، كما تفسّر في الحديث من بعض رواية البخاري: « فرُعِبْتُ » مكان « جُئِثْتُ » .

قال الكسائيُّ[١] : المَجْؤوثُ والمَجْثُوثُ المَذْعورُ الفزع.

و لم نُقيِّدهُ عن شيوخنا بالحاء المهملة في « مسلمٍ » لكنّه وقع كذلك للقابسي في موضعٍ في « البخاري » وفسّرهُ بـ : « أسرعتُ »، ولا يصحُّ معناهُ وكيف يصحُّ تفسيرُه بـ « أسرعتُ » وهو قد قال في الحديث: « حتّى هَوَيْتُ إلى الأرض » أي سقطتُ من الفزع، فكيف يجتمعُ السّقوطُ والإسراعُ »[٢].

قلتُ : يمكنُ أن يكون ما زالَ يُسرعُ حتّى أعيا فسقطَ وهذا ظاهرٌ.

وقد روى الحديثَ أيضاً يحيى بن أبي كثيرٍ، عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظٍ بدل أبي سلمة، عن جابرٍ وقال فيه: « فحثثتُ منه أو كلمة تَشْبَهُها ».

قلتُ : فيحتملُ أن يكون : « فَجَثَيْتُ منه » بعد الجيم المفتوحة ثاءٌ مُثلَّثةٌ ثمّ ياءٌ مُثنّاةٌ من تحت من غير همزٍ[٣]، يُقال: جَثا على رُكبتيه يَجثُو ويَجْثي جُثُوّاً أو جُثِيّاً.

ثمّ قال القاضي : « وقال بعضُهم : صوابُه : أهوَيْتُ، وقد جاء كذا في موضعٍ في « البخاري » وهو أشهرُ وأصحُّ.

---

(١) حكاه عن الكسائي أبو عبيد في غريب الحديث ٢/٩٩ .

(٢) إكمال المعلم ١/٦٤٨ - ٦٤٩ .

(٣) في م : همزة .

وقال غيرُه : هَوى من قريبٍ ، وأَهْوى من بعيدٍ .

وقال الخليلُ : هَوى يَهْوي هُوِيّاً وهَوِيّاً .

قال الهرويُّ : « وقد يكونُ في الصُّعودِ والهُبوطِ يُقال فيه: هَوِيّاً بالفتحِ إذا هبطَ، وبالضّمِّ إذا صعدَ »[١]، وكذا قال الخطّابيُّ وغيرُه.

وقال لنا شيخُنا أبو الحسين[٢] بالعكس .

وقال غيرُه : هَوَتْ العُقابُ إذا انقضّتْ على صيدٍ، فإذا راوغتْهُ قيل: أَهْوَتْ، وقولُه تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾[٣] أي أهوى بها جبريلُ إلى الأرض، أي ألقَى بها فيها[٤] بعد أن رفعها إلى السّماء .

وقيل في قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[٥] أي سقطَ .

وقال أبو الهيثم[٦] : هَوَيْتُ أَهْوَى إذا سقطتُ .

وقال غيرُه : أَهْوَيْتُ يدي إلى السّيف وغيرِه أي أَمَلْتُ، ويقالُ: هَوَيْتُ فيه أيضاً[٧] »[٨].

---

(١) الغريبين ٦/١٩٥٣ ـ تحقيق المزيدي .

(٢) أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الأمويّ الوزير اللّغوي الحافظ، شيخ القاضي عياض، تقدّمت ترجمتُه ص ١٤٠ .

(٣) النّجم : الآية ٥٣ .

(٤) غير مثبتة في م .

(٥) النّجم : الآية ١ .

(٦) الرّازي أحدُ أئمّة اللّغة، توفّي سنة ٢٧٦هـ، انظر بغية الوعاة ٢/٣٢٩.

(٧) انظر الصّحاح ٦/٢٥٣٨ .

(٨) إكمال المعلم ١/٦٤٩ ـ ٦٥١ .

قلتُ :

والفَرَقُ : بفتح الفاءِ والرّاءِ الخوفُ، وكذلك الرُّعْبُ بضمِّ الرّاء والعَيْنِ وبإسكان العَيْنِ، وقُرِىء بهما.

وحَكى صاحبُ « العَيْنِ »(١) أيضاً بفتح الرّاءِ وإسكانِ العَيْنِ رَعْباً فقال: الرُّعْبُ والرَّعْبُ لُغتان يقولُ: رعبتُه رَعْباً ورُعْباً، وقيل: الرَّعْبُ المصدرُ والرُّعْبُ الاسمُ فهو مَرْعُوبٌ ورَعِيبٌ، ورَعَّبْتُهُ فهو مُرَعَّبٌ وهو مُرْتَعِبٌ أي فَزِعٌ.

وقال الجوهريُّ : « رَعَبْتُهُ فهو مَرْعُوبٌ إذا أفزَعْتَهُ ولا تقُل: أَرْعَبْتُهُ »(٢).

قال : « والفَرَقُ بالتّحريك الخَوفُ، وقد فَرِقَ بالكسر تقولُ: فَرِقْتُ منك ولا تقُل: فَرِقْتُكَ »(٣).

قلتُ :

فقولُه في الحديث : « فَرَقاً » أو « رُعْباً » كلاهُما نصبٌ على المصدر تأكيداً كقولك: ضربتُ ضرباً، إلاّ أنّه قُرن بالفعل غيرُ مصدرِه لأنّه بمعناه.

فقولُه : « جُئِثْتُ منه فَرَقاً » كقوله : فَرِقْتُ منه فَرَقاً، وكذا رعبتُ منه رعباً، وأمّا على رواية « حَثِثْتُ » بالحاء المهملة فتكون « فَرَقاً » مفعولاً من أجله نحو: هربتُ خوفاً من زيدٍ.

(١) كتاب العين ٢/١٣٠ لكن بأخصر ممّا هنا .

(٢) الصّحاح ١/١٣٦ .

(٣) المصدر نفسه ٤/١٥٤١ .

قولُه : « فرجعتُ فقلتُ: زَمِّلُوني زَمِّلُوني، فَدَثِّرُوني، فأنزلَ اللهُ تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ - إلى قوله - : وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ » :

قد سبقَ معنى قولِه: « زَمِّلُوني » و« دَثِّرُوني »، وفي روايةِ صالح بن أبي الأخضر عن الزُّهري : « فدُثِّرْتُ فجاءَ جبريلُ صلّى الله عليه وسلّم برجلِه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، قال أبو سلمة: والرُّجْزُ الأوثانُ التي كانوا يعبُدون من دون الله عزّ وجلّ » .

وقولُه : « زَمِّلُوني » أي غطّوني بثوبٍ، وإذا كان ذلك منه بنفسه قيل: تَزَمَّلَ وازَّمَّلَ فهو مُتَزَمِّلٌ ومَزَّمِّلٌ، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أي الذي تزمَّلَ في ثيابه أي تلفَّفَ بها، فالمُزَّمِّلُ هو المُتَزَمِّلُ أُدغمت التّاءُ في الزّاي، ونحوُه المُدَّثِّرُ في المُتَدَثِّرُ، وقُرىء: ﴿الْمُتَزَمِّلُ﴾ على الأصل، و﴿الْمُزَمَّلُ﴾ بتخفيف الزّاي وفتحِ الميم وكسرِها على أنّه اسمُ فاعلٍ أو مفعولٍ من: زَمَّلَهُ غيرُه أو زَمَّلَ نفسَهُ.

والمُدَّثِّرُ : لابِسُ الدِّثارِ وهو ما فوق الشِّعار وهو الثّوبُ الذي يلي الجسدَ، ومنه قولُه عليه السّلام: « الأنصارُ شِعارٌ والنّاسُ دِثارٌ »[١]، وقُرىء: ﴿الْمُدَثَّرُ﴾ على لفظ اسم المفعول من: دثرهُ، وقيل: المرادُ أنّه دُثِّرَ هذا الأمرَ وعُصِبَ به.

وقولُه : ﴿ قُمْ ﴾ أي من مضجعِك، أو قُم قيامَ عَزْمٍ وتصميمٍ .

---

(١) تقدّم تخريجُه ص ١٣٠ .

﴿ فَأَنْذِرْ ﴾ : أي فحذِّر النّاسَ من عذاب الله، فتركَ المفعولَ لأنّ المعنى: افعَل الإنذارَ من غير تخصيصٍ له بأحدٍ .

﴿ وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ : أي صِفْهُ بالكبرياء .

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : من النّجاسة، أو هو أمرٌ بتقصيرها ومخالفةِ العرب في تطويلهم الثّيابَ وجَرِّهم الذّيولَ وذلك ممّا لا يُؤْمَنُ معه إصابةُ النّجاسةِ.

وقيل : هو أمرٌ بتطهير النّفسِ ممّا يُسْتَقْذَرُ من الأفعال ويُسْتَهْجَنُ من العادات، يُقال: فلانٌ طاهرُ الثّيابِ وطاهرُ الجَيْبِ والذَّيْلِ والأَرْدانِ إذا وصَفُوهُ بالنَّقاءِ من المعايبِ ومَدانِسِ الأخلاق .

وفُلانٌ دنس الثّياب المغادر وذلك لأنّ الثّوبَ يُلابِسُ الإنسانَ ويَشتمِلُ عليه، فكنّي به عنه، ألا تَرى إلى قولهم: أعجبني زيدٌ ثوبُه، كما تقول[1]: أعجبني زيدٌ عقلُه وخُلُقُه، ويقولون: المجدُ في ثوبِه والكَرَمُ تحت حُلَّتِه.

قال الزّمخشريُّ : « ولأنّ الغالبَ أنّ من طهَّر باطنَهُ ونقّاهُ عَنِيَ بتطهير الظّاهرِ وتنقيتِه، وأبى إلاّ اجتنابَ الخَبَثِ وإيثارَ الطُّهْر »[2].

﴿وَالرّجْزَ﴾: قُرِىء بكسر الرّاءِ وضمِّها وهما لُغتان وهو العذابُ، ومعناهُ: اهجُر ما يُؤدِّي إليه من عبادة الأوثانِ وغيرِها من المآثمِ، والمعنى الثّباتُ على هَجْرِه لأنّه كان بريئاً منه.

---

(١) في م : يقولون .

(٢) الكشّاف ١٥٦/٤ .

قال الزّجّاجُ : « ودخلت الفاءُ على معنى جواب الجزاءِ، المعنى: قُمْ فأنذِرْ، وقُمْ فكبِّرْ »(١).

وقال الزّمخشريُّ : « دخلت الفاءُ(٢) بمعنى الشّرط كأنّه قيل: مهما(٣) كان فلا تدع تكبيرَهُ »(٤).

وفي « تفسير ابن القُشيري »(٥) قال: « وقال ابنُ جِنّي: هو كقولك: زيداً فاضرِبْ، أي زيداً اضرِبْ، فالفاءُ زائدةٌ ».

قولُه : « ثمّ حَمِيَ الوحيُ وتتابعَ » :

أي كثُر قال عياضٌ : « الكلمتان بمعنى واحدٍ أي كثُر نزولُه وقوي أمرُه وازداد، من قولهم: حَمِيَت النّارُ والشّمسُ إذا زاد حرُّهما، ومنه حَمِيَ الوَطيسُ أي قويَ حرُّه واشتدّ، ثمّ استُعير في الحرب »(٦).

قلتُ : لمّا اشتدّت الحربُ وهاجتْ يومَ حُنينٍ قال النّبيُّ ﷺ: « الآنَ حَمِيَ الوَطيسُ »(٧)، والوَطيسُ: التّنّورُ، شبّهها به .

---

(١) معاني القرآن ٥/٢٤٥ للزّجّاج .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ .

(٣) في م : وما .

(٤) الكشّاف ٤/١٥٦ .

(٥) هو المفسِّرُ العلاّمةُ أبو نصر عبدُ الرّحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري النّيسابوري، توفّي سنة ٥١٤هـ، انظر سير أعلام النّبلاء ١٩/٤٢٤ - ٤٢٦. وتفسيرُه هذا مشهورٌ ينقلُ عنه أبو شامة في بعض مؤلّفاته، ولا أعلمُ له نسخةً.

(٦) إكمال المعلم ١/٦٥٢ .

(٧) أخرجه مسلم ٣/١٣٩٩، رقم: ٧٦، من حديث العبّاس بن عبد المطّلب، وفيه قولُه ﷺ: « هذا حينَ حَمِيَ الوَطيسُ » .

قولُه في الرّواية الأخرى : « قبل أن تُفرض الصّلاةُ » :

يعني نزولَ أوّلِ سُورة المُدَّثِّر كان أوّل[1] أمر النّبوّة قبل أن يشرع أصل الصّلاة، وليس يعني هذه الصّلوات الخمس فإنّ هذه الصّلواتِ إنّما فُرضت ليلةَ الإسراء على ما شهدت به الأحاديثُ الصّحيحةُ، والإسراءُ كان قبل الهجرة بقليلٍ؛ فقد شارك أوّل سورة المدّثّر في ذلك جملةٌ من القرآن؛ فلا يليقُ تحديدُ وقتِ نزولِها بذلك، وإنّما يعني فرضَ الصّلاة التي كانت مأموراً بها قبل ذلك على ما يشهَدُ به أوّلُ سُورةِ المُزَّمِّل وآخرُها .

وفي « صحيح مسلم » عن عائشة قالت: « إنّ الله افترضَ القيامَ في أوّل هذه السُّورة فقام رسولُ الله ﷺ وأصحابُه حَوْلاً حتّى انتفختْ أقدامُهم »[2].

وقال قتادةُ : « كان بدءُ الصّلاةِ ركعتين بالغداة وركعتين بالعَشِيِّ »، أخرجهُ الحافظُ البيهقيُّ في « السُّنن »[3] .

وإنّما ذلك نظيرُ ما وقعَ في رواية موسى بن عقبة عن ابن شهابٍ قال: وكانت خديجةُ أوّلَ مَن آمنَ بالله وصدّقَ رسولَه قبل أن تُفرضَ الصّلاةُ، وقد أسلمَ قبلَ ليلةِ الإسراءِ طائفةٌ من الصّحابةِ كثيرٌ .

---

(١) في م : من أوّلِ .

(٢) أخرجه مسلم ٥١٣/١، رقم: ١٣٩، وأبو داود ٨٨/٢، رقم: ١٣٤٢ ـ تحقيق الدّعّاس، والنّسائي ٢٢٢/٣، رقم: ١٦٠٠ ـ دار المعرفة، وجملة: « حتّى انتفخت أقدامُهم » ليست عند مسلمٍ بل هي عند أبي داود والنّسائي.

(٣) أخرجه البيهقيُّ في السّنن الكبرى ٣٥٩/١ من طريق عبد الوهّاب بن عطاء، عن سعيد ابن سعيد، عن قتادة قال : فذكره .

فإن قلتَ : كانت هي أوّل من آمنَ منهم .

قلتُ : هي أوّلُ من آمن على الإطلاقِ فلم يبقَ لقوله: « قبل أن تُفرضَ الصّلاةُ » فائدةٌ، إلاّ أن تُقدِّرَ الكلامَ: آمنتْ قبل أن تُفرضَ الصّلاةُ، ولا تظهرُ فائدةُ هذا الكلامِ إلاّ أن يكون المرادُ قبل شرعيّة أصل الصّلاة، فحينئذٍ تتبيّنُ[1] منزلتُها ولهذا جاء أنّها أوّلُ من صلّى .

ووقعَ في بعض الرّوايات عن عائشة رضي الله عنها في حديث المبعث زيادةٌ: « ثمّ بحثَ جبريلُ في الأرض فنبعَ الماءُ، فعلّم رسولَ الله ﷺ كيف يتوضّأُ، فتوضّأ رسولُ الله ﷺ ثمّ صلّى ركعتين نحوَ الكعبةِ »[2].

قال السُّهيليُّ : « وذكرَ الحربيُّ أنّ الصّلاةَ قبل الإسراءِ كانت صلاةً قبل غروبِ الشّمسِ وصلاةً قبل طلوعِها ».

قال : « ويشهَدُ لهذا القولِ قولُه سبحانهُ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ يعني في سُورة غافر[3] ».

قال : « وقال يحيى بن سلاّمٍ مثلَهُ » .

وقال : « كان الإسراءُ وفَرْضُ الصّلواتِ الخَمْسِ قبل الهجرةِ بعامٍ، وقيل[4]: بعامٍ ونصفٍ. وقيل : كان[5] بعدما نُبِّىءَ بخمسةِ أعوامٍ ».

---

(١) في م : تبين .

(٢) قال السّهيليُّ في الرّوض الأنف ١/٢٨٣ : « وهذا الحديثُ مقطوعٌ في السّيرة، ومثلُه لا يكون أصلاً في الأحكام الشّرعيّة، ولكنّه قد رُوي مسنداً إلى زيد بن حارثة يرفعُه، غير أنّ هذا الحديثَ السّند يدورُ على عبد الله بن لهيعة وقد ضُعِّف ». وانظر ص ١٢٨، ح ٣.

(٣) غافر : الآية ٥٥ .

(٤) بعامٍ وقيل : ساقطة من م .

(٥) أي الإسراء .

قال ابنُ إسحاق : « وحدّثني بعضُ أهلِ العلم أنّ الصّلاة حين افتُرِضتْ على رسول الله ﷺ أتاهُ جبريلُ وهو بأعلى مكّة، فهمزَ له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عَيْنٌ، فتوضّأ جبريلُ ورسولُ الله ﷺ ينظرُ ليُرِيَهُ كيفَ الطُّهُورُ للصّلاة، ثمّ توضّأ رسولُ الله ﷺ كما رأى جبريلَ يتوضّأُ، ثمّ قامَ به[1] جبريلُ عليه السّلامُ فصلّى به، وصلّى رسولُ الله ﷺ بصلاتِه، ثمّ انصرفَ جبريلُ فجاء رسولُ الله ﷺ إلى خديجة فتوضّأ لها ليُريها كيف الطّهورُ للصّلاة كما أَراهُ جبريلُ، فتوضّأتْ كما توضّأ لها رسولُ الله ﷺ، ثمّ صلّى بها رسولُ الله ﷺ كما صلّى به جبريلُ عليه السّلامُ فصلّت بصلاتِه »[2].

قولُ أبي سلمة بن عبد الرّحمن: « سألتُ جابرَ بن عبد الله أيُّ القرآنِ أُنزل قبلُ؟ قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾، فقلتُ: أو اقرأ »[3] .

فَذِكْرُ الحديثِ في نُزول ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ كما تقدَّم محمولٌ ذلك من جابرٍ على أنّه لم يبلغهُ حديثُ نزولِ اقْرَأ .

قال الحافظُ أبو نعيمٍ في « دلائله »[4] : « وجهُ هذا الحديثِ وما رُوي عن عائشة أنّ أوّل ما نزلَ ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ أنّ ما روتهُ عائشةُ صحيحٌ لاقتصاصِها أوّل ما بُدىء به رسولُ الله ﷺ من الوحي، وأنّ المَلَكَ

---

(١) غير مثبتة في م .

(٢) سيرة ابن هشامٍ ١/٢٤٤ . وهو مقطوعٌ ، وانظر الكلام عنه ص ١٢٨ ، ١٩٥.

(٣) تقدم تخريجُه ص ٦٣ .

(٤) لا يوجد هذا الكلامُ في المنتخب من دلائل النبوّة لأبي نعيمٍ .

فَاجأهُ[1] بغار حراءٍ، وأنّه قال له - بعد ما غطَّهُ ثلاثَ مرّاتٍ -: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، وقالت في الحديث: ثمّ فَترَ الوحيُ فترةً حتّى حزِنَ رسولُ الله ﷺ، وغدا ليُلقي نفسَهُ من قُلّةِ الجبلِ، فتبدّا له جبريلُ عليه السّلامُ فسكَنَ لذلك جأشُه، وأنّ الذي رواهُ جابرٌ: إنّ أوّلَ ما نزلَ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ كان بعد فترة الوحي، فقد أعلمَ النّبيُّ ﷺ في حديث جابرٍ أنّه أُوحي إليه من قبلُ ثمّ فترَ الوحيُ، وأنّ المَلَكَ جاءهُ ثانياً بعد فترة الوحي، وفي ذلك لما قالت عائشةُ تصديق وتحقيق أنّ أوّل ما نزلَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ »، وقال الحافظُ البيهقيُّ في دلائله نحواً من ذلك[2].

وقال أبو عبد الله ابن الحافظ إسماعيلُ بن محمّد بن الفضل في « شرحه لكتاب مسلمٍ » :

« وجهُ الجمعِ بين حديثي جابرٍ وعائشة أنّ جابراً إنّما سمعَ من رسول ﷺ هذه القصّةَ مُختصرةً كما رواها، ولم يسمع قصّةَ الغطِّ والتّعليمِ والأمرِ بالقراءةِ، وهو محمولٌ على أنّه صلواتُ اللهِ عليه أوّل ما استُقرِىء وحُمل على التّعلُّمِ كان بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، فجرى ذلك مجرى التّعليم والهداية إلى القراءة، فلمّا وطّن نفسَهُ على ذلك وربطَ للتّبليغِ جأشَهُ أُنزل عليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، فأُمر بالأوامر وفُرضت عليه الفرائضُ وخُوطب بالشّرائع والله أعلم » .

---

(١) في م : فجئهُ .

(٢) انظر دلائل النّبوّة ٢/١٥٥ - ١٥٩ للبيهقي .

قولُه : « جَاورتُ بحراء شهراً فلمّا قضيتُ جِواري نزلتُ فاستبطنتُ بطنَ الوادي فنُوديتُ » :

يُقال : جاورتُه مُجاورةً وجِواراً وجُواراً والكسرُ أفصحُ .

فقولُه : « جِواري » أي مُجاورتي، والمجاورةُ : الاعتكافُ، وفي الحديث: « كان يُجاورُ في العشر الأواخر »(١) .

قولُه : « فرفعتُ رأسي فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبريلَ ﷺ، فأخذتني رجفةٌ شديدةٌ » :

قال القاضي عياض : « وعند السَّمَرْقَنْدِي(٢) : « وَجْفَةٌ » بالواو ومعناهما مُتقارِبٌ هو كلُّه من كثرة الاضطراب قال الله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾(٣)، وقال: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبَالُ﴾(٤) »(٥).

قال : وقولُه : « فإذا هو على العرشِ في الهواء »، وفي الحديث الآخر: « على عرشٍ بين السّماء والأرض »، وفي الآخر: « على كرسيٍّ »، هذا

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٩/٤، رقم: ٢٠١٨، ومسلم ٨٢٤/٢، رقم: ٢١٣، من حديث أبي سعيدٍ الخدري، لكن فيه أنّ المجاورة كانت في العشر التي في وسط الشّهر.

(٢) المحدِّثُ الثّقةُ أبو الفتح نصرُ بن الحسن التُّنْكُتِي الشّاشي نزيلُ سَمَرقند، روى صحيح مسلم عن عبد الغافر بن محمّد الفارسي، توفّي سنة ٤٨٦هـ، وقيل غير ذلك، انظر الصّلة ٦٠٢/٢ - ٦٠٤، وسير أعلام النّبلاء ٩٠/١٩ - ٩١.

(٣) النّازعات : الآية ٨ .

(٤) المزمّل : الآية ١٤ .

(٥) إكمال المعلم ٦٥١/١ .

تفسيرُ معنى العرش في الحديثين المتقدّمين وأنّه كالكرسيّ والسّرير[١] وليس بعرش الرّحمن العظيم قال الله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[٢]، قال أهلُ اللُّغة: العرشُ السّريرُ، وقيل: سريرُ الملك[٣] »[٤].

قال : « وفي هذا الحديث وشبهِهِ تحقيقُ العلمِ بتصوُّر الملائكة على صُورٍ مختلفةٍ، وإقدار الله لهم على التّركيب في أيِّ شيءٍ[٥] شاءُوا من صُور بني آدم وغيرِها، وأنّ لهم صُوراً في أصل خَلْقِهم مخصوصةً بهم، كلٌّ منهم على ما خُلق عليه وشُكِّل »[٦].

قال الحافظُ أبو نعيمٍ في « دلائله » : « وجميعُ ما تقدّم ذِكْرُنا له من هذه الأخبار داخِلٌ في المُعجزات، وجرى الأمرُ فيه مُرَتّباً فأوّلُه ما كان عليه السّلام يَراهُ في منامِه كما روته عائشةُ: « أوّل ما بُدىء به الرُّؤيا الصّادقةُ »»، إذ الرُّؤيا الصّادقةُ جزءٌ من أجزاء النّبوّة فكانت الرُّؤيا التي تجيءُ مثلَ فلقِ الصُّبح مُقدِّمةً للنّبوّة، ثمّ وجبَ أن يكون عليه السّلام عالِماً بمن يأتيه فكان التّخلِّي والتّوحُّدُ في الجبال والغِيران مُحَبّباً له لوقوع تَراءي المَلَكِ له خالياً، وليقع له عليه السّلامُ المعرفةُ بمن يأتيه ويُناديه، فإراءةُ جبريلَ عليه السّلام له

(١) وفي الآخر ... كالكرسيّ والسّرير : ساقطة من م .

(٢) النّمل : الآية ٢٣ .

(٣) انظر تهذيب اللّغة ١/٤١٣ ، ٤١٥ .

(٤) إكمال المعلم ١/٦٥٢ .

(٥) في إكمال المعلم : شَكْلٍ .

(٦) إكمال المعلم ١/٦٥٢ .

نفسَهُ على صُور مختلفةٍ من جملتها صورتُه التي هي صورتُـه لتكـون صورتُـه المباينةُ لصورة الآدميين آيةً له في صدق ما ادّعاهُ أنه مُرسَلٌ بالوحي إلى النّبيّ ﷺ، ويكون ما عَدا هذه الصُّورةِ التي هي صورتُه تقريراً عنـده لإتيانِـه إليـه في صُور مختلفةٍ حتّى كان أكثر مـا كـان[١] يـراهُ في صُـورة دِحْيَـةَ الكلبيّ، وفيما تأوّل عبدُ الله بن مسعودٍ وعائشةُ في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾[٢] بيانٌ أنّ جبريلَ عليه السّلام تَراءى للنّبيّ ﷺ بين السّماء والأرض في صُورتِه الـتي عليها خُلِقَ، وأنّ نظر النّبيّ ﷺ إليه حين دنـا منـه مُتدلِّيـاً حتّـى كـان قُـرْبُ المجلس منه قابَ قوسين أو أدنى، وأنّـه لم يُلاقِـه في هـذه الحالـة بـل جلس منتبذاً عنه[٣] على سبيل التّعظيم له، كالجالس منّا إلى سُلطانِه ومَلِكِه مُباينـاً له مُتباعِداً عنه، ففعل جبريلُ ذلك به ﷺ مُعَظِّمـاً لـه، ثـمّ عرّفـهُ حقيقـةَ مـا كان ناجاهُ به، فتقرّر بهذا عند رسول الله ﷺ أنّـه مَلَـكٌ وهـو رسـولُ الله أتاهُ بالوحيِ من قِبَلِ الله، و لم يكن التّدلّي والدّنوّ في أوّل تَرائيه له بل كـان ذلك بعد الأوّل ليكـون التّعريـفُ علـى تدريـجٍ، إذ في المناجـاةِ كونُـه غـيرَ مأمونٍ من دهشةٍ تلحقُه فجَرى الأمرُ فيه على المعقول من الأمر الجميل.

وأمّا غَـطُّ جـبريل لـه ﷺ غـيرَ مـرّةٍ وقولُـه لـه: اقـرأ، فيقـول: مـا أنـا بقارىءٍ، فيحتملُ أن يكون منه علـى وجـه التّقريـر لـه لما كـان عليـه مـن الأُمِّيَّة، فقرّرهُ بذلك ثمّ أقرأهُ كما قرّر الله موسى عليه السّلام بالعصا حـين

---

(١) غير مثبتة في م .

(٢) النّجم : الآية ٨ .

(٣) حتّى كان قرب ... منتبذاً عنه : ساقطة من م .

أرادَ أن يجعلَها حيّةً فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾(١) ليُخبرهُ بحقيقة ما في يمينِه حتّى إذا قلبها حيّةً تَسعى كان أبلغَ له في الحجّة والتّشجُّع في أداءِ الرّسالة وتحمُّلِها.

ويحتملُ أن يكون غَطُّه إيّاهُ إشارةً إلى ثِقَلِ الوحي، وأنّ وراءَ هذه القراءة وجهاً آخرَ لا يَظهرُ له فيه جبريلُ وإنّما يَعرفُ عليه السّلام نزولَه بما يحدثُ له من الثِّقَلِ والغَطيط والبُرَحَاءِ وما في معناهُ وغير ذلك.

ويحتملُ أن يكون المرادُ بالغَطِّ تهيُّؤه لقَبول الوحي كما فعلهُ في شَقِّ قلبِه وشَرْحِ صدرِه والله أعلم».

قال(٢): «وجميعُ ذلك من الأدلّة والآيات والمعجزات التي تكونُ له ﷺ في نفسه(٣)؛ إذ الواجبُ في إثبات النّبوّة إقامةُ البرهان للرّسول في نفسه ليتقرّر عنده حقيقةُ رسالتِه، فيُؤذن له عند ذلك في الدّعوة، ثمّ يُمَدُّ بالبراهين الإلاهية لأمّتِه وأهلِ دعوتِه والله أعلم»(٤).

❀ ❀ ❀

---

(١) طه: الآية ١٧.

(٢) أي أبو نعيمٍ.

(٣) في نفسه: غير مثبتة في م.

(٤) كلُّ هذا النّقل عن أبي نعيمٍ غيرُ موجودٍ في المنتخب منه.

فصلٌ

وإذ[١] فرغنا من شرح متن هذا الحديث لم يبق ممّا وعدنا به إلاّ الكلامُ في تعريف رُواته على طريقة أهل العلم بالحديث .

فاعلم أنّه حديثٌ واحدٌ صحيحٌ رواه الزّهريُّ عن رجالِه عن اثنين من الصّحابة مُعظَمُه عن عروة عن عائشة، وبعضُه عن أبي سلمة عن جابرٍ، وفُصل حديثُ جابرٍ من حديث عائشة في رواية غير الزُّهري على ما سبق بيانُه، فنتكلّمُ على كلٍّ واحدٍ من الصّحابيين، ثمّ على الرُّواة عنهم فمن بعدهم إلى آخرهم، مُقتصرين على مجرّد التّعريف بهم، فإن استقصاءَ أخبارِهم مُحْوِجٌ إلى كتابٍ مُفردٍ، وأكثرُهم قد ذكرتُهم في « المختصر الأكبر من تاريخ دمشق »[٢]، والله الموفِّقُ.

❁ ❁ ❁

(١) في م زيادة : قد .

(٢) لأبي شامة على تاريخ دمشق لابن عساكر مختصران أكبر وأصغر، ويقع الأكبر في خمسة عشر مجلّداً، ومنه بعضُ الأجزاء في برلين وباريس وبرنستن، انظر مقدّمة تحقيق الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٢٢ - ٢٣ لمشهور حسن .

عائشةُ زوجُ النّبيّ ﷺ وأحبُّ النّاس إليه[١] :

هي بنتُ أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهما ، وكنّاها رسولُ الله أمَّ عبدِ الله، ولم تلد قطُّ[٢]، ولم ينكِح بِكْراً غيرَها[٣].

وأنزل الله براءتَها في القرآن، ومات رسولُ الله ﷺ وهي بنتُ ثماني عشرة سنةً، وأقرأها النّبيُّ السّلامَ عن جبريل عليه السّلام[٤].

وأخبر أنّ فضلَها على النِّساء كفضل الثَّريد على سائر الطّعام[٥].

وتُوفّيت عائشةُ بالمدينة في رمضان سنة ثمانٍ أو سبعٍ أو ستٍّ وخمسين في خلافة معاوية، (وصلّى عليها أبو هريرة)[٦]، ودُفنت بالبقيع .

---

(١) ترجمتها في سير أعلام النّبلاء ٢/١٣٥ - ٢٠١، والمصادر التي في حاشيته .

(٢) أخرج أحمد في مسنده ٦/١٥١ عن عبد الرّزّاق، ثنا معمر، عن هشام، عن أبيه، أنّ عائشة قالت للنّبيّ ﷺ: يا رسول الله، كلُّ نسائكَ لها كنيةٌ غيري، فقال لها رسول الله ﷺ: اكتني، أنتِ أمُّ عبد الله، فكان يُقال لها: أمُّ عبد الله حتّى ماتت، ولم تلد قطُّ »، وإسنادُه صحيحٌ، وانظر السّلسلة الصّحيحة رقم: ١٣٢ للعلاّمة الألباني.

(٣) أخرج البخاريُّ ٨/٤٨٣، رقم: ٤٧٥٣ عن ابن عبّاس قال: « ... زوجةُ رسول الله ﷺ، ولم ينكح بِكْراً غيركِ، ونزل عذركِ من السّماء ... » .

(٤) أخرج البخاري ٧/١٠٦، رقم: ٣٧٦٨، ومسلم ٤/١٨٩٦، رقم: ٩١، من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: يا عائشُ، هذا جبريلُ يُقرئكِ السّلام، فقلتُ: وعليه السّلامُ ورحمةُ الله وبركاتُه، تَرى ما لا أَرى، تُريد رسولَ الله ﷺ ».

(٥) أخرج البخاري ٧/١٠٦، رقم: ٣٧٧٠، ومسلم ٤/١٨٩٥، رقم: ٨٩، من حديث أنس بن مالكٍ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « فضلُ عائشة على النّساء كفضل الثّريد على سائر الطّعام ».

(٦) من م .

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أبو عبد الله[١] :

ويُقال: أبو محمّد، ويُقال: أبو عبد الرّحمن، الأنصاريُّ الخزرجيُّ السَّلَمِيُّ بفتح السِّين واللاّم، أحدُ بني سَلِمَةَ بكسر اللاّم، من بني الخزرج من الأنصار.

شهدَ العقبةَ مع السّبعين من الأنصار وكان أصغرَهم يومئذٍ، وشهدَ المشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ غيرَ بدرٍ وأُحدٍ، وأبوه من كبار الصّحابة من الأنصار، وكان عَقَبِيّاً نَقيباً، وشهدَ بدراً واستُشهد يومَ أُحدٍ.

ومات جابرٌ بالمدينة سنة سبعٍ وسبعين، وصلّى عليه أَبانُ بن عثمان، وقيل: الحجّاجُ، ودُفن بالبقيع، وكان آخرَ من مات من الصّحابة بالمدينة، وقيل: إنّه مات سنة اثنتين أو ثلاثٍ أو أربعٍ أو ثمانٍ أو تسعٍ وسبعين، والله أعلم.



(١) ترجمته في تهذيب الكمال ٤/٤٤٣ - ٤٥٤ ، والمصادر التي في حاشيته .

فصلٌ

راوي الحديثِ عن عائشة هو ابنُ أختِها عروةُ بن الزُّبير، وراويه عن جابرٍ هو أبو سلمةَ بنُ عبدِ الرّحمن بنِ عوفٍ، فنُترجم لكلٍّ واحدٍ منهما .

عروةُ بن الزّبير بن العَوّام أبو عبد الله القُرشيّ الأسديّ[1] :

أحدُ فقهاءِ المدينةِ السّبعةِ من التّابعين، رَوى عن جماعةٍ من الصّحابة منهم: أبوهُ وأُمُّه أسماءُ وخالتُه عائشةُ وأخوهُ عبدُ الله بن الزّبير، روى عنه بنوهُ يحيى وعثمانُ وهشامُ ومحمّدٌ وجماعةٌ من التّابعين وغيرهم منهم عطاء وأبو سلمة وصفوانُ بن سليم وسليمانُ بن يسارٍ والزّهريُّ، وكان ثقةً، كثيرَ الحديث، فقيهاً فاضلاً، عالماً مأموناً ثَبْتاً، وهو أحدُ البُحورِ الأربعةِ من فقهاء التّابعين بالمدينة، مات سنة أربعٍ وتسعين وهي سنةُ الفقهاءِ لكثرة من مات منهم فيها، وقيل: مات قبل ذلك، وقيل: بعده، وذلك بناحية الفَرْعِ ودُفن هناك بمالٍ له بِمَجاحٍ - هو بفتح الميم والجيم وآخرُه حاءٌ مهملةٌ - .

أبو سلمةَ بن عبد الرّحمن بن عوفٍ القُرشيُّ الزُّهريُّ[2] :

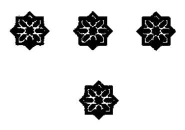
أحدُ فقهاءِ المدينة ، من كبار التّابعين وعُظمائهم ، يُقال : اسمُه عبدُ الله، ويُقال: إسماعيلُ، حدّث عن أبيه - وهو أحدُ العشرةِ المشهودِ لهم

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ٢٠/١١ - ٢٥ ، والمصادر التي في حاشيته .

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ٣٣/٣٧٠ - ٣٧٦ ، والمصادر التي في حاشيته .

بالجنّة -، وعن زيدِ بن ثابتٍ وأبي قتادةَ وعائشة وابنِ عمر وابنِ عبّاس وجابرٍ وأبي هريرة وأبي سعيدٍ وغيرِهم، روى عنه (ابنُه)(١) عمرُ بن أبي سلمة وابنا أخيه سعدُ بن إبراهيم بن عبد الرّحمن وعبدُ المجيد بن سهيل بن عبد الرّحمن ويحيى بن سعيد ويحيى بن أبي كثير والشّعبيُّ وعمرو بن دينار والزّهريُّ وعبدُ الملك بن عمير والأعرجان أبو حازمٍ وعبدُ الرّحمن وغيرُهم، ومات سنةَ ثلاثٍ أو أربعٍ وتسعين، وقيل: سنةَ مائةٍ، وقيل: سنةَ أربعٍ ومائة بالمدينة، وكان ثقةً فقيهاً، كثيرَ الحديثِ إماماً .



(١) من م .

فصلٌ

روى حديثَ عائشة عن عُروة ابنُ شهابٍ الزّهريّ، وروى حديثَ جابرٍ عن أبي سلمة الزّهريُّ أيضاً ويحيى بن أبي كثيرٍ، وكلاهما من صغار التّابعين، والزّهريُّ أكبرُ وأكثرُ علماً .

وهو محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة أبو بكر القرشيُّ الزّهريُّ(١) :

أحدُ الأعلامِ من أئمّة الإسلام، روى عن ابنِ عمر وأنسٍ وسهلِ بن سعد والسّائبِ بن يزيد وعبدِ الله بن ثعلبة بن صعير ومحمودِ بن الرّبيع وعبدِ الرّحمن بن أزهر وأبي الطُّفيل وغيرِهم من الصّحابة .

ومن التّابعين عن فقهاء المدينة السّبعة وغيرهم، روى عنه من التّابعين عمرُ بن عبد العزيز وعطاء وقتادةُ وعمرو بن دينارٍ وعمرو بن شُعيب ويحيى بن سعيد وصالحُ بن كيسان وغيرُهم، عليه يدورُ علمُ أهل(٢) الحجاز، وعنه أخذ أئمّتُهم وعلماؤُهم، ومات سنةَ أربعٍ وعشرين ومائة

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ٢٦/٤١٩ ـ ٤٤٣ ، والمصادر التي في حاشيته .

(٢) غير مثبتة في م .

وقيل: سنةَ ثلاثٍ، وقيل: خمسٍ وعشرين ، بضيعةٍ له في آخر عَمَلِ الحجاز وأوّلِ عَمَلِ فلسطين خلفَ شَغْبٍ و بَداً(١)، ودُفن هناك رحمه الله .

يحيى بن أبي كثيرٍ أبو نصر(٢) :

واسمُ أبي كثيرٍ دينارٌ، وقيل: يسارٌ، وقيل: صالح، ابنُ المتوكّل وهو مولى لِطَيٍّ، بصريٌّ سكن اليَمامةَ، رأى أنس بن مالكٍ وروى عنه مُرسلاً، وسمع أبا سلمة وسليمانَ بن يسارٍ وعبدَ الله بن أبي قتادة وإبراهيمَ بن عبد الله بن قارظٍ ومحمّدَ بن إبراهيم التّيميَّ وأبا قلابة وعكرمةَ وغيرَهم، روى عنه أيّوبُ والأوزاعيُّ ومعمرٌ وهشامٌ الدّستوائيُّ وأبان العطّارُ وهَمّامُ ابن يحيى وحسينٌ المعلِّمُ وابنُه عبدُ الله بن يحيى وغيرُهم، تُوفّي سنةَ تسعٍ وعشرين ومائة، وقيل: سنةَ ثلاثين، وقيل: سنةَ اثنتين وثلاثين .

قال شعبةُ : « يحيى بن أبي كثيرٍ أحسنُ حديثاً من الزُّهريّ »(٣).

وقال أيّوب : « ما بقي على وجه الأرض مثلُ يحيى بن أبي كثيرٍ »(٤).

قال عامرُ بن يسافٍ : « كان يحيى بن أبي كثيرٍ حسنَ اللّباسِ، حسنَ الهيئةِ، ومات و لم يترُك إلاّ ثلاثين درهماً كفّنوهُ بها »(٥).

---

(١) عن شغبٍ و بداً انظر معجم ياقوت ٤٢٤/١ ، ٣٩٨/٣ .

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ٥٠٤/٣١ ـ ٥١١ ، والمصادر التي في حاشيته.

(٣) انظر تهذيب الكمال ٥٠٨/٣١ .

(٤) أخرج قولَ أيّوب السّختياني ابنُ سعدٍ في الطّبقات ٥٥٥/٥، والبخاريُّ في التّاريخ الكبير ٣٠٢/٨، وابنُ أبي حاتمٍ في الجرح والتّعديل ١٤١/٩.

(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦٧/٣ .

فصلٌ

روى حديثَ عائشةَ وجابرٍ عن الزُّهريّ ثلاثةٌ عُقَيْلٌ ويونسُ ومعمرٌ.

عُقَيْلُ بن خالد بن عُقَيْلٍ[(١)] :

بضمِّ العَيْنِ وفتح القاف فيهما أبو خالدٍ الأيليُّ مولى عثمان بن عفّان، حدّث عن أبيه وعمِّه زيادِ بن عُقيلٍ وعكرمةَ وزيدِ بن أسلم ومكحولٍ ومحمّدِ بن إسحاق ويحيى بن أبي كثيرٍ وهشامِ بن عروة وعمرو بن شُعيبٍ وسلمةَ بن كهيلٍ، وهو أحدُ المكثرين عن الزّهريّ المختصّين به، كان يصحبُه حضراً وسفراً، روى عنه من أقرانِه يونسُ بن يزيد واللّيثُ بن سعدٍ وابنُ لهيعة وغيرُهم، وسأل القاسمَ بن محمّدٍ وسالمَ بن عبدِ الله، وكان ثقةً من أهل أَيْلَةَ مصرى[(٢)].

قال أحمدُ بن حنبلٍ : « هؤلاء الذين رووا عن الزُّهريّ الكثيرَ »[(٣)].

وفي روايةٍ : « هؤلاء نَقَّرُوا[(٤)] علمَ الزّهري؛ يونسُ وعُقَيْلٌ ومعمرٌ »[(٥)].

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ٢٠/٢٤٢ - ٢٤٥ ، والمصادر التي في حاشيته.

(٢) مصرى : كذا في الأصل ، م .

(٣) في تاريخ دمشق : الكبير ، وهو تصحيفٌ .

(٤) في تاريخ دمشق : نفروا ، وهو تصحيفٌ .

(٥) أخرج قولَ أحمد ابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٤١/٤٢ - ٤٣ .

تُوفِّي عُقَيْلٌ بفُسطاط مصرَ فجأةً بالمَعَافِرِ سنة أربعةٍ وأربعين، وقيل: سنةَ إحدى أو اثنتين وأربعين ومائة .

يونسُ بن يزيد بن أبي النّجاد أبو يزيد الأَيْلِيُّ أيضاً مولى قُريشٍ[1]:

حدّث عن هشام بن عروة ونافعٍ وعكرمة وأبي الزّناد وغيرِهم، وأكثر عن الزُّهريّ وصحبهُ بالشّام ثنتي عشرة أو أربعَ عشرة سنةً، وكان الزُّهريُّ إذا قدم أَيْلَةَ نزلَ عنده، وإذا سار إلى المدينة زاملهُ يونس، روى عنه اللّيثُ وابنُ المبارك ووكيع وابنُ وهبٍ وغيرُهم .

قال المُفضّلُ بن غسّان الغلابيُّ : « كان يونس وعُقيلٌ من أهل أَيْلَةَ وماتا بمصر، مات عُقيلٌ سنةَ إحدى وأربعين، ومات يونسُ سنةَ تسعٍ وخمسين ومائة »[2].

وقال ابنُ يونس : « مات[3] سنة ثنتين وخمسين ومائة »[4] .

وقال غيرُه : « سنةَ ستّين ومائة »[5] .

معمرُ بن راشدٍ أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي مولاهم البصريّ[6] :

سكن اليمنَ، حدّث عن زيدِ بن أسلم ويحيى بن أبي كثيرٍ وأبي إسحاق الهمدانيّ والأعمشِ وهشامِ بن عروة وعمرو بن دينارٍ وثابتٍ

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ٥٥١/٣٢ - ٥٥٨، والمصادر التي في حاشيته.

(٢) المصدر نفسه ٥٥٧/٣٢ .

(٣) في م زيادة : يونس .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) قاله محمّد بن عزيز الأيليُّ ، انظر المصدر نفسه .

(٦) ترجمته في تهذيب الكمال ٣٠٣/٢٨ - ٣٢١، والمصادر التي في حاشيته.

البنانيّ وأيّوب وابن طاوسٍ وعاصم بن أبي النّجود ومنصورٍ وغيرِهم، وقدم على الزُّهريّ الشّامَ وبها سمع منه، روى عنه أيّوب وعمرو بن دينارٍ وأبو إسحاق ويحيى بن أبي كثيرٍ وهم من شيوخِه وسفيانُ بن عيينة وسعيدُ ابن أبي عَروبة وابنُ المبارك وإسماعيلُ بن عُلَيّة وعبدُ الرّزّاق وغيرُهم، طلب العلمَ سنة مات الحسنُ .

قال ابن سعدٍ : « كان معمر رجلاً له حلمٌ ومروءةٌ ونُبلٌ في نفسه »[١].

قال أبو أحمد الحاكم : « سمع من الزُّهري وعمرو بن دينارٍ وأبي إسحاق والأعمش وقتادة ويحيى بن أبي كثيرٍ، وهؤلاء السّتّةُ الذين يدورُ عليهم حديثُ رسول الله ﷺ من التّابعين، لا أعلم أحداً من النّاس رآهم كلَّهم وسمع منهم سواه، ولا اجتمعُوا لأحدٍ من المشايخ غيرُه »[٢].

مات معمرٌ باليمن سنةَ خمسين أو سنةَ اثنتين أو ثلاثٍ أو أربعٍ أو خمسٍ وخمسين ومائة وله ثمانون سنةً .

❁ ❁ ❁

(١) طبقات ابن سعد ٥/٥٤٦ .

(٢) لم أقف عليه في القسم المخطوط من كتابه الكنى، وقد عزاه لأبي أحمد الحاكم ابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٥٩/٣٩٧ .

فصلٌ

روى حديثَ جابرٍ عن يحيى بن أبي كثيرٍ ثلاثةٌ أيضاً الأوزاعيُّ الإمامُ(١) وعليُّ بن المبارك وحربُ بن شَدّادٍ .

أمّا الأوزاعيُّ(٢) :

فهو أبو عمرو عبدُ الرّحمن بن عمرو بن يُحْمِد - بضمّ الياءِ وكسر الميمِ - إمامُ أهل الشّام في الحديث والفقه، روى عن الزُّهريّ ويحيى بن أبي كثيرٍ وأبي جعفر محمّد بن عليّ وعطاء بن أبي رباحٍ وقتادة والأعمش ويحيى بن سعيد وميمون بن مهران وغيرِهم من أهل العراق والحجاز والشّام، روى عنه الزّهريُّ ويحيى بن أبي كثيرٍ وهما من شيوخِه، ومالكُ ابن أنسٍ وسفيان الثّوريّ وشعبةُ ويونسُ بن يزيد وسَعْد بن عبد العزيز وابنُ المبارك ويحيى القطّان وغيرُهم.

قال ابنُ سعدٍ : « والأوزاعُ بطنٌ من هَمْدَان وهو من أنفُسهم، وُلد سنة ثمانٍ وثمانين، وكان ثقةً مأموناً صادقاً(٣)، فاضلاً خيِّراً، كثيرَ الحديث والعلم والفقه، حُجّةً، وكان مكتبُه باليَمامة فلذلك سمع من يحيى بن أبي

---

(١) غير مثبتة في م .

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ١٧/٣٠٧ - ٣١٦ ، والمصادر التي في حاشيته.

(٣) في الطّبقات : صدوقاً .

كثيرٍ وغيرِه من مشايخ(١) اليَمامة، وكان سكن بيروت، وبها مات سنةَ سبعٍ وخمسين ومائة في آخر خلافة أبي جعفر وهو ابنُ سبعين سنةً »(٢).

قلتُ :

وقيل في سِنِّه وسنةِ موتِه غيرُ ذلك، وأجاب في سبعين ألفَ مسألةٍ أو نحوِها من العلم رحمه الله .

عليُّ بن المبارك الهُنائي البصريّ(٣) :

سمع يحيى بن أبي كثيرٍ، روى عنه وكيع وابنُ عُلَيَّة وهارون بن إسماعيل البصري وأبو قتيبة سالمُ بن قتيبة وعثمانُ بن عمر بن فارس وغيرُهم .

قال أبو بكر محمّد بن موسى الحازمي : « الهُنائي منسوبٌ إلى هُناءة ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بطن من الأزد وهم من الجهاضم وهم بالبصرة »(٤) .

حربُ بن شدّادٍ أبو الخطّاب اليَشْكُريّ البصريّ القطّان(٥) :

سمع يحيى بن أبي كثيرٍ ، و روى عنه عبدُ الرّحمن بن مهدي وعبدُ الصّمد بن عبد الوارث قاله أبو نصر الكلاباذي(٦) .

---

(١) في طبقات ابن سعد زيادة : أهل .

(٢) طبقات ابن سعد ٤٨٨/٧ .

(٣) ترجمته في تهذيب الكمال ١١١/٢١ - ١١٤، والمصادر التي في حاشيته.

(٤) عُجالة المبتدي وفُضالة المنتهي في النّسب ص ١٢٥ للحازمي .

(٥) ترجمته في تهذيب الكمال ٥٢٤/٥ - ٥٢٦، والمصادر التي في حاشيته.

(٦) رجال صحيح البخاري ٢١٨/١ - ٢١٩ ، رقم : ٢٨٧ للكَلاباذي.

وقال مسلمٌ : « أبو الخطّاب حربُ بن شدّادٍ القطّان، سمع شهرَ بن حوشبٍ ويحيى بنَ أبي كثيرٍ والحسنَ، روى عنه عبدُ الصّمد وأبو داود وابنُ رجاء »(١).

فصلٌ

راوي حديث عائشة وجابرٍ عن عُقيلٍ هو اللّيثُ بن سعدٍ، وعن يونسَ عبدُ الله بن وهبٍ، وعن معمرٍ عبدُ الرّزّاق .

اللّيث بن سعد بن عبد الرّحمن أبو الحارث الفهميّ مولاهم المصري(٢) :

فقيهُ أهل مصر، سمع يزيدَ بن أبي حبيبٍ والزُّهريَّ وأبا الزُّبير المكّيَّ ونافعاً مولى ابن عمر وابنَ أبي مُليكة وعطاءً والمقبُريَّ وغيرَهم من التّابعين.

روى عنه محمّدُ بن عجلان وهو من شيوخه وابنُ لهيعة وابنُ المبارك وهُشَيمٌ وابنُ وهبٍ والوليدُ بن مسلمٍ وقُتيبة وغيرُهم، ومع كونه من أصحاب الزُّهريّ فقد روى عن جماعةٍ من أقرانه من أصحاب الزُّهريّ، كما روى هذا الحديثَ عن عُقيلٍ عن الزّهري .

---

(١) الكنى والأسماء ٢٨٦/١ ، رقم : ١٠٠٩ لمسلم .

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ٢٥٤/٢٤ ـ ٢٧٩، والمصادر التي في حاشيته. وللحافظ ابن حجر جزءٌ مفردٌ في ترجمة الإمام اللّيث بن سعدٍ سمّاه الرّحمة الغيثيّة بالتّرجمة اللّيثيّة مطبوعٌ متداولٌ .

ومن أعجبِ ما وقع لي من روايته أنّه روى عن ثلاثةٍ من أصحاب الزُّهريّ بعضِهم عن بعضٍ عن الزُّهريّ، وقع ذلك في « كتاب الأربعين » لأبي المعالي ابن الجُويني الفقيه رحمه الله، قال يحيى بن عبد الله بن بكيرٍ: حدّثني اللّيثُ بن سعدٍ، عن ابن الهاد، عن إبراهيم بن سعدٍ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهابٍ الحديث .

قال محمّد بن سعدٍ : « وكان اللّيثُ قد استقلّ بالفتوى بمصر، وكان ثقةً كثيرَ الحديثِ صحيحَهُ، وكان سَرِيّاً من الرّجال نبيلاً، سخيّاً[1] له ضيافةٌ »[2].

ومات بمصر في شعبان سنةَ خمسٍ وسبعين ومائةٍ، وقيل: سنةَ أربعٍ وسبعين، ومات مالك بن أنسٍ سنةَ تسعٍ وسبعين[3].

قال الإمام الشّافعيُّ : « ما فاتني أحدٌ فأسِفتُ عليه ما أسِفتُ على اللّيث وابن أبي ذئبٍ »[4].

وقال أيضاً : « اللّيثُ أفقهُ من مالكٍ إلاّ أنّ أصحابَه لم يقوموا به »[5].

---

(١) في م : شيخاً .

(٢) طبقات ابن سعد ٥١٧/٧ .

(٣) ومائة .

(٤) أخرجه أبو نعيمٍ في حلية الأولياء ١٠٨/٩ ـ ١٠٩، والبيهقيُّ في مناقب الشّافعي ٥٢٤/١، والخطيبُ في تاريخ بغداد ٣٠٠/٢ ـ ٣٠١، وابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٨/٥٠، وانظر تهذيب الكمال ٢٧٠/٢٤.

(٥) أخرجه البيهقيُّ في مناقب الشّافعي ٥٢٣/١ ـ ٥٢٤، وابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٨/٥٠، وانظر تهذيب الكمال ٢٧٠/٢٤.

عبدُ الله بن وهب بن مسلم أبو محمّد القرشيّ مولاهم المصريّ[(١)]:

من كبار أهل مصر في العلم والزّهد والورع، صنّف الكتبَ ونشر العلم ولزِم النُّسك .

سمع عمرو بن الحارث وابنَ جُريجٍ ومالكاً والثّوريَّ واللّيثَ وحيوةَ وغيرَهم، روى عنه اللّيثُ وسعيدُ بن أبي مريم وإسماعيلُ بن أبي أويسٍ وسعيدُ بن منصورٍ وغيرُهم، وكثُر أصحابُه من أهل مصر وغيرها.

وعرض عليه يحيى بن خالدٍ القضاءَ فكتب إليه: « إنّي لم أكتب العلمَ أُريد أن أُحشر به في زمرة القضاة ولكنّي كتبتُ العلمَ أُريد أن أُحشر (به)[(٢)] في زمرة العلماء »[(٣)].

ثمّ طلبه لولاية القضاء أميرُ مصر من قِبَلِ المأمون وهو عَبّادُ بن محمّدٍ فتغيّب فسُمع وهو يقول : « يا ربِّ، يقدُمُ عليك إخواني غداً علماءَ حكماءَ فقهاءَ وأقدُمُ عليك قاضياً، لا يا ربِّ، ولو قُرضتُ بالمقاريض ».

وقال له أهلُه : « لعلّ الله يُحيي الحقَّ على يديك، فقال: أردتُم أن تأكلوا ديني ».

وقال لبعضهم : « ألم تعلم أنّ القضاةَ يُحشرون يومَ القيامة مع السّلاطين، ويُحشر العلماءُ مع الأنبياء »[(٤)].

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ١٦/٢٧٧ - ٢٨٧، والمصادر التي في حاشيته.

(٢) من م .

(٣) انظر ترتيب المدارك ٣/٢٤٠ - ٢٤١ ، و السّير ٩/٢٢٨ .

(٤) قاله ابنُ وهبٍ لرشدين بن سعدٍ في قصّةٍ ذكرها المزيُّ في تهذيب الكمال ١٦/٢٨٥.

وُلد ابنُ وهبٍ سنةَ خمسٍ وعشرين ومائةٍ، ومات بمصر سنةَ سبعٍ وتسعين ومائةٍ، قُرىء عليه «كتابُ أهوال القيامة» فخرَّ مغشيّاً عليه فلم يتكلّم بكلمةٍ حتّى مات[1].

عبدُ الرّزّاق بن همام بن نافع أبو بكر الحميري مولاهم الصنعانيّ[2]:

إمامُ أهل اليمن بعد معمرٍ وهو[3] مثل وكيعٍ بالكوفة وابن وهبٍ بمصر وابنِ المبارك بخراسان.

أخذ العلمَ والحديثَ عن معمر بن راشدٍ باليمن، ومالك بن أنس بالمدينة، وابن جريج بمكّة، وسفيان الثّوري بالكوفة، والأوزاعيّ بالشّام وغيرِهم، روى عنه من الأئمّة أحمد ويحيى وإسحاق وعبدُ بن حُميدٍ ومن لا يُحصى كثرةً.

يُقال: لم يُرحل إلى أحدٍ بعد النّبيّ ﷺ كما رُحل إلى عبد الرّزّاق، وُلد سنة ستٍّ وعشرين ومائةٍ، ومات بعد أن عَمِي سنةَ إحدى عشرة ومائتين بصنعاء.

---

(١) أخرج ذلك أبو العبّاس محمّد بن إسحاق السّرّاج في تاريخه قال: نا الجوهريُّ، قال: نا خالدُ بن خداشٍ، قال: فذكره. ذكر هذا ابنُ عبد البرّ في الانتقاء ص ٤٩، وانظر تهذيب الكمال ١٦/٢٨٥، والسّير ٩/٢٢٦.

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ١٨/٥٢ - ٦٢، والمصادر التي في حاشيته.

(٣) وهو: غير مثبتة في م.

فصلٌ

راوي حديث جابرٍ عن الأوزاعيّ هو الوليدُ بن مسلمٍ، وعن عليّ ابن المبارك هو وكيع بن الجرّاح وعثمان بن عمر، وعن حرب بن شدّادٍ عبدُ الرّحمن بن مهدي وعبدُ الصّمد بن عبد الوارث، فهذه خمسةُ رجالٍ وهم :

الوليدُ بن مسلمٍ أبو العبّاس القُرشيُّ الفقيهُ مولى بني أميّة[1] :

قرأ القرآن على يحيى بن الحارث الذّماريّ وسعيد بن عبد العزيز، وروى عن محمّد بن عجلان وابن جريجٍ والأوزاعيّ ومالك واللّيث والثّوريّ وأبي إسحاق الفزاريّ وابن لهيعة وغيرهم. قرأ عليه هشامُ بن عمّارٍ، وروى عنه اللّيثُ بن سعدٍ وبقيّةُ بن الوليد وابنُ وهبٍ وأحمدُ بن حنبلٍ وابنُ المدينيّ والحُميديُّ وزهيرُ بن حربٍ وغيرُهم.

وهو من ثقات النّاس وأفاضلهم، كثيرُ الحديث والعلم، حجّ سنةَ أربعٍ وتسعين ومائةٍ في خلافة محمّد بن هارون، ثمّ انصرف فمات في الطّريق قبل أن يصل إلى دمشق وذلك بذي المَرْوَة ودُفن بها، وقيل: مات سنةَ خمسٍ[2] أو ستٍّ[3] وتسعين ومائةٍ وله ثلاثٌ وسبعون سنةً أو نحوها .

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ٣١/٨٦ - ٩٩، والمصادر التي في حاشيته.

(٢) وعليه الأكثر .

(٣) قاله معاوية بن صالح الأشعري، وذكر المزيُّ في تهذيب الكمال ٣١/٩٩ أنّه لم يُتابعهُ على هذا القول أحدٌ .

وكيع بن الجرّاح بن مليح أبو سفيان الرُّؤاسيّ من أنفسهم الكوفيُّ[١] :

أحدُ أركان الحديث .

روى عن أبيه والأعمش وهشام بن عروة وإسماعيل بن أبي خالدٍ وابن عون والثّوري وشعبة وابن جريج وسعيد بن عبد العزيز وغيرهم.

روى عنه ابنُ المبارك وابنُ مهديّ ويزيدُ بن هارون ويحيى بن آدم وأحمدُ بن حنبلٍ ويحيى بن معين وعليٌّ بن المديني وزهيرُ بن حرب وإسحاقُ ابن راهويه وابنا أبي شيبة أبو بكر وعثمان وأبو بكر الحميديُّ وأبو كريبٍ وقتيبةُ بن سعيدٍ وغيرُهم.

قال ابنُ سعد : « حجّ سنةَ ستٍّ وتسعين ومائةٍ، ثمّ انصرف من الحجِّ فمات بفَيْدٍ في المحرّم سنةَ سبعٍ وتسعين ومائةٍ في خلافة محمّد بن هارون، وكان ثقةً مأموناً عالياً[٢] رفيعاً كثيرَ الحديث حجّةً »[٣].

وقيل : مات سنةَ ستٍّ أو سبعٍ أو ثمانٍ وتسعين .

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ٣٠/٤٦٢ - ٤٨٤، والمصادر التي في حاشيته.

(٢) « عالياً » : هكذا نقل هذه الكلمة عن ابن سعدٍ ابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٣/٦١ - كما في نسخةٍ منه -، والمزيُّ في تهذيب الكمال ٣٠/٤٨٢ن والذّهبيُّ في السّير ٩/١٤٥، والذي ف طبقات ابن سعد المطبوع : « عالماً ».

(٣) طبقات ابن سعد ٦/٣٩٤ .

عثمانُ بن عمر بن فارس أبو بكر البصريُّ[١] :

سمع ابنَ عونٍ ويونسَ بن يزيد وعليَّ بن المبارك وكهمسَ بن الحسن وهشامَ بن حسّان وسَلْمَ بن زَرير وشعبة وغيرهم، روى عنه إسحاقُ بن راهويه ومحمّدُ بن بشّار بُندار وأحمدُ بن منصورٍ الرَّماديُّ وغيرُهم، تُوفِّي سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ ومائتين، وهو ثقةٌ صدوقٌ .

عبدُ الرّحمن بن مهديّ بن حسّان بن سعيد البصريّ العنبريّ، وقيل مولى الأزد[٢] :

سمع من الثّوريّ ومالكٍ وشعبة والحمّادين[٣] وشريكٍ وابن عيينة وغيرِهم، روى عنه ابنُ المبارك وابنُ وهبٍ وأحمدُ بن حنبل وابنُ معين وابنُ المدينيّ وإسحاق وأبو ثورٍ وأبو عبيدٍ وابنا أبي شيبة وغيرُهم.

قال أبو بكر الخطيب : « وكان من الرّبّانيّين في العلم، وأحدَ المذكورين بالحفظ، وممّن برع في معرفة الأثر، وطرق الرّوايات، وأحوال الشُّيوخ »[٤].

وُلد سنةَ خمسٍ وثلاثين ومائةٍ، ومات سنةَ ثمانٍ وتسعين ومائةٍ وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين.

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ١٩/٤٦١ - ٤٦٤، والمصادر التي في حاشيته.

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ١٧/٤٣٠ - ٤٤٣، والمصادر التي في حاشيته.

(٣) حمّاد بن سلمة وحمّاد بن زيدٍ .

(٤) تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠ .

عبدُ الصّمد بن عبد الوارث بن سعيد أبو سهل بن أبي عبيدة التّميميّ العنبريّ مولاهم البصريّ[١] :

سمع أباهُ وشعبةَ وهمّاماً وسليمَ بن حيّان وعبدَ الله بن المثنى وحربَ ابن شدّادٍ، روى عنه إسحاق الحنظليُّ[٢] وعبدُ الله المُسْنَدِيّ[٣] وإسحاق الكوسج وبندار وغيرُهم، مات آخرَ سنة ستٍّ أو أوّلَ سنةِ سبعٍ ومائتين، ومات أبوهُ في أوّل المحرّم سنةَ ثمانين ومائةٍ .

فصلٌ

راوي حديث عائشة وجابرٍ عن اللّيث هو يحيى بن بُكيرٍ وعبدُ الله ابن يوسف وأبو صالح وابنُه شعيبُ بن اللّيث، وعن ابن وهبٍ هو أبو الطّاهر بن السَّرْحِ، وعن عبد الرّزّاق عبدُ الله بن محمّدٍ ومحمّدُ بن رافعٍ فهؤلاء سبعةٌ .



(١) ترجمته في تهذيب الكمال ١٨/٩٩ - ١٠٢، والمصادر التي في حاشيته.

(٢) إسحاق بن راهويه .

(٣) عبد الله بن محمّد المسندي .

يحيى بن عبد الله بن بُكيرٍ أبو زكريّاء القُرشيُّ المخزوميُّ مولاهم المصريُّ[١] :

سمع مالكَ بن أنسٍ واللّيثَ بن سعدٍ وابنَ لهيعة وبكرَ بن مُضرٍ والمغيرةَ ابن عبد الرّحمن ويعقوبَ بن عبد الرّحمن، روى عنه البخاريُّ في بدء الوحي[٢] وغيرِ موضعٍ[٣]، وروى عن محمّد بن عبد الله ــ وهو محمّدُ بن يحيى بن عبد الله الذُّهْلِيُّ - عنه[٤].

عبدُ الله بن يوسف أبو محمّد المشهور بالتِّنِّيسيّ[٥] :

وهو دمشقيٌّ سكنَ تنّيس فنُسب إليها، روى عن مالكٍ واللّيثِ بن سعدٍ وسعيدِ بن عبد العزيز ويحيى بن حمزة القاضي وغيرِهم، روى عنه يحيى بن معينٍ ومحمّدُ بن يحيى الذُّهْلِيُّ والبخاريُّ والرّبيعُ بن سليمان الجيزيُّ وأبو حاتمٍ الرّازيُّ وغيرُهم.

قال ابنُ يونس : « تُوفِّي بمصر سنةَ ثماني عشرة ومائتين، وكان ثقةً حَسَنَ الحديثِ، وعنده « الموطّأُ » ومسائلُ سوى « الموطّأ » عن مالكٍ »[٦].

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ٣١/٤٠١ - ٤٠٤، والمصادر التي في حاشيته.

(٢) صحيح البخاري ١/٢٢ ، رقم : ٣ .

(٣) أي مباشرةً بلا واسطةٍ .

(٤) يعني أنّ البخاريَّ روى عن ابن بكير بواسطة الذّهليّ. ورواية الذّهلي عن ابن بكيرٍ أخرجها البخاريُّ في كتاب التّوحيد، انظر تهذيب الكمال ٣١/٤٠٣، وهدي السّاري ص ٢٣٥ .

(٥) ترجمته في تهذيب الكمال ١٦/٣٣٣ - ٣٣٦ ، والمصادر التي في حاشيته.

(٦) نقل قولَ ابن يونس المزيُّ في تهذيب الكمال ٣١/٣٣٦ .

أبو صالحٍ عبدُ الله بن صالحٍ بن محمّد بن مسلم المصريُّ الجُهنيُّ مولاهُم كاتبُ اللّيث بن سعدٍ[١] :

حدّث عن سعيد بن عبد العزيز التّنوخيّ واللّيثِ وابن لهيعة ومعاوية ابن صالحٍ وإبراهيمَ بن سعدٍ وابنِ وهبٍ وغيرهم، روى عنه اللّيثُ وهو أستاذُه وابنُ وهبٍ وأبو عُبيدٍ القاسمُ بن سلاّمٍ ومحمّدُ بن يحيى الذّهليُّ ويحيى بن معينٍ والبخاريُّ وأحمدُ بن منصورٍ الرَّماديُّ والرّبيعُ بن سليمان ومحمّدُ بن إسحاقٍ الصّغانيُّ ويعقوبُ بن سفيان وأثنى عليه وغيرُهم، وقد تُكُلِّمَ فيه .

وقال أبو أحمد بن عديّ : « هو عندي مستقيمُ الحديثِ، إلاّ أنّه يقعُ في أحاديثه في أسانيده ومتونه غلطٌ »[٢].

قال ابن سعدٍ : « مات بمصر يومَ عاشوراء سنةَ ثلاثٍ وعشرين ومائتين »[٣] .

وقيل : سنةَ اثنتين وعشرين .

شُعيب بن اللّيث بن سعدٍ[٤] :

روى الحديثَ[٥] عنه ابنُه عبدُ الملكِ بن شُعيبٍ، وعنه مسلمُ بن الحجّاج .

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ١٥/٩٨ - ١٠٩، والمصادر التي في حاشيته.
(٢) الكامل ٤/١٥٢٤ - ١٥٢٥ لابن عدي وتمامه : « ولا يتعمّد الكذب ».
(٣) طبقات ابن سعد ٧/٥١٨ .
(٤) ترجمته في تهذيب الكمال ١٢/٥٣٢ - ٥٣٣ .
(٥) يعني حديث جابر في فترة الوحي ، وقد تقدّم ذلك ص ٦٢ .

أبـو الطّـاهر أحمـدُ بـن عبـد الله بـن عمـرو بـن سَرْح ـ بالحـاءِ ـ المصريُّ[١] :

سمع عبدَ الله بن وهبٍ هكذا نسبهُ مسلمٌ في « كتاب الكنى ».

وقال في « صحيحه » : « أحمدُ بن عمرو بن عبد الله بـن عمـرو بـن سَرْحٍ »[٢] وهو الصّوابُ.

قال أبو نصر بن ماكولا : « عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السَّـرْحِ مولى نهيك مولى عتبة بـن أبـي سـفيان أبـو عبـد الله، روى عنـه ابنُـه أبـو الطّاهر أحمدُ بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السَّرْحِ، يـروي عـن ابـن وهبٍ وغيرِه، تُوفِّي في ذي القعدة سنةَ خمسين ومائتين »[٣].

عبـدُ الله بـن محمّـد بـن جعفـر بـن اليمـان أبـو جعفـر الجُعْفـيُّ البخاريُّ[٤] :

من أرباب الحديث وهو المعروفُ بالمُسْنِدِيّ لأنّـه تطلّـب المُسـندَ مـن حداثتِه وأعرضَ عن المقاطيع والمراسيل، ويُنسَبُ هذا قبـل الإمـامِ البخـاريِّ الجعفيُّ لأنّ والدَ جـدِّه المغيرة أسـلم علـى يـد اليَمـان والـد جـدٍّ صـاحب التّرجمة، وكان والي بُخارَى فنُسب إليه، سمع المُسْنِدِيُّ ابنَ عيينة ويحيى بـن آدم وعبدَ الرّزّاق وأبا عاصمٍ وأبا عامرٍ العَقَدِيَّ وهاشـمَ بـن القاسـم وعبـدَ

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ١/٤١٥ ـ ٤١٧، والمصادر التي في حاشيته.

(٢) صحيح مسلم ١٣٩/١ ، رقم : ٢٥٢ .

(٣) الإكمال ٢٨٧/٤ لابن ماكولا .

(٤) ترجمته في تهذيب الكمال ٥٩/١٥ ـ ٦٢ ، والمصادر التي في حاشيته.

الصّمد بن عبد الوارث ويحيى بن معينٍ وغيرَهم، روى عنه البخاريُّ في غير موضعٍ، ومات سنةَ تسعٍ وعشرين ومائتين في ذي الحجّة.

محمّد بن رافعِ بن أبي زيدٍ أبو عبد الله القشيريُّ النّيسابوريُّ(١) :

سمع حسيناً الجُعفيَّ وشَبابةَ بن سَوّارٍ وسُريجَ بن النُّعمان وابنَ أبي فديكٍ والنّضرَ بن شُميلٍ وعبدَ الرّزّاق وصفوانَ بن عيسى، روى عنه البخاريُّ ومسلمٌ في « صحيحيهما »، مات سنةَ خمسٍ وأربعين ومائتين.

قال زكريّا بن دَلُّوَيْه : « بعث طاهرُ بن عبد الله بن طاهرٍ إلى محمّد ابن رافعٍ بخمسة آلاف درهمٍ على يدي رسوله، فدخل عليه بعد صلاة العصر وهو يأكلُ الخبزَ مع الفُجْلِ، فوضع الكيس بين يديه فقال: بعث الأميرُ طاهرٌ بهذا المال إليك لتُنفقه على أهلك، فقال: خُذْ خُذْ لا أحتاجُ إليه؛ فإنّ الشّمسَ قد بلغت رؤوس الجبال(٢) إنّما تغربُ بعد ساعةٍ، قد جاوزتُ الثّمانين، إلى متى أعيشُ؟ فردّ المالَ و لم يقبل، فأخذ الرّسولُ المالَ وذهبَ، فدخل عليه ابنُه فقال: يا أبه، ليس لنا اللّيلةَ خبزٌ، قال: فذهب ببعض(٣) أصحابه خلفَ الرّسول ليرُدّ المالَ إلى حضرة صاحبه فزعاً من أن يذهب ابنُه خلفَ الرّسول فيأخُذ المال .

---

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ١٩٢/٢٥ - ١٩٥ ن والمصادر التي في حاشيته.

(٢) في م : الحيطان .

(٣) في تهذيب الكمال : بعضُ .

قال زكريّا : ورُبّما كان يخرجُ إلينا محمّدُ بن رافعٍ في الشّتاء الشّاتي وقد لبس لحافَهُ الذي يلبسُه باللّيل »[١].

فصلٌ

راوي حديث جابرٍ عن الوليد بن مسلمٍ هو زهيرُ بن حربٍ، وعن وكيعٍ هو يحيى بن جعفرٍ، وعن عثمان بن عمر محمّدُ بن المثنّى، وعن عبد الرّحمن بن مهديّ محمّدُ بن بشّارٍ، وعن عبد الصّمد إسحاقُ بن منصورٍ؛ فهلاء خمسةٌ :

زهيرُ بن حرب بن شدّادٍ أبو خيثمة النّسائيُّ[٢] :

سكن بغداد وحدّث بها عن ابنِ عيينة وابنِ عُلَيّة وهُشيمٍ وابنِ مهديّ ووكيعٍ والوليدِ بن مسلم وغيرِهم، روى عنه ابنُه أحمدُ[٣] والبخاريُّ ومسلمٌ في « صحيحه »[٤] وأبو زُرعة وأبو حاتمٍ الرّازيان وخَلْقٌ يتّسِعُ ذِكْرُهم.

قال أبو بكر الخطيب : « وكان ثقةً ثبتاً حافظاً مُتقناً »[٥].

---

(١) أخرجه الحاكمُ أبو عبد الله الحافظُ قال: سمعتُ أبا جعفر محمّد بن سعيدٍ المُذَكِّر يقول: سمعتُ زكريّا بن دَلّويه يقول: فذكره. انظر تهذيب الكمال ٢٥/١٩٤ - ١٩٥.

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ٩/٤٠٢ - ٤٠٦، والمصادر التي في حاشيته.

(٣) أحمد بن زهير بن أبي خيثمة صاحب التّاريخ المشهور .

(٤) في م : الصّحيحين .

(٥) تاريخ بغداد ٨/٤٨٢ .

ومات في خلافة المتوكّل سنة أربعٍ وثلاثين ومائتين، وله أربعٌ وسبعون سنةً.

قال النّسائيُّ :« هو ثقةٌ مأمونٌ »(١) .

يحيى بن جعفر بن أَعْيَنَ أبو زكريّا البخاريُّ البيكَنْدِيُّ(٢) :

سمع ابنَ عيينة ووكيعاً وأبا مُعاوية ويزيدَ بن هارون وعبدَ الرّزّاق .

قال أبو أحمد بن عديّ : « وهو الذي قال لمحمّد بن إسماعيل البخاريّ: مات عبدُ الرّزّاق ولم يكن قد مات في ذلك الوقت وكان حيّا، وكان البخاريُّ مُتوجِّهاً إلى عبد الرّزّاق فانصرف، فلمّا مات عبدُ الرّزّاق سمع البخاريُّ كُتُبَ عبدِ الرّزّاق من يحيى هذا »(٣).

محمّد بن المثنّى بن قيس بن دينار أبو موسى العَنَزِيُّ الزَّمِن(٤) :

من أهل البصرة، سمع سفيانَ بن عيينة وإسماعيلَ بن عُلَيّة ومعتمرَ بن سليمان ويزيدَ بن زُريعٍ ويحيى القطّان وابنَ مهديٍّ وغُندراً ووكيعاً وأبا معاوية وغيرَهم، روى عنه محمّدُ بن يحيى الذُّهليُّ وأحمدُ بن منصور الرَّمَادِيُّ والبخاريُّ ومسلمٌ وأبو زرعة وأبو حاتمٍ وأبو داود والنّسائيُّ والتّرمذيُّ وغيرُهم .

---

(١) المصدر نفسه ٨/٤٨٣ .

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ٣١/٢٥٤ - ٢٥٦، والمصادر التي في حاشيته.

(٣) نقله المزيُّ في تهذيب الكمال ٣١/٢٥٦ عن أبي أحمد بن عديّ .

(٤) ترجمته في تهذيب الكمال ٢٦/٣٥٩ - ٣٦٥، والمصادر التي في حاشيته.

قال الخطيب : « وكان ثقةً ثبتاً احتجّ سائرُ الأئمّةِ[١] بحديثه »[٢].

ومات بالبصرة سنةَ ثنتين وخمسين ومائتين.

محمّد بن بشّار بن عثمان بن كيسان أبو بكر البصريُّ يُعرف بِبُنْدار[٣] :

سمع محمّدَ بن جعفرٍ غُنْدَراً ووكيعاً وابنَ مهديٍّ ويحيى القطّان وروحَ ابن عُبادة وغيرَهم، روى عنه البخاريُّ ومسلمٌ وإبراهيمُ الحربيُّ وأبو بكر ابن أبي الدُّنيا وعبدُ الله بن أحمد بن حنبلٍ وعبدُ الله بن محمّد البغويُّ وأبو بكر بن أبي داود وغيرُهم، مات سنةَ ثنتين وخمسين ومائتين .

إسحاقُ بن منصور بن بهرام أبو يعقوب الكَوْسَجُ[٤] :

من أهل مرو، سكن نَيْسابُورَ، سمع سفيان بن عيينة وأبا أسامة[٥] وعبدَ الرّزّاق وعبدَ الصّمد بن عبد الوارث وعبدَ الله بن نُمير والنّضرَ بن شُمَيْلٍ ويحيى القطّان وابنَ مهديٍّ ووكيعاً وغيرَهم، روى عنه البخاريُّ ومسلمٌ وأبو زرعة وأبو حاتمٍ وابنُ أبي داود وغيرُهم، تُوفِّي سنةَ إحدى وخمسين ومائتين بنيسابور، وكان ثقةً ثَبْتاً مأموناً عالماً فقيهاً .

قال الخطيبُ : « وهو الذي دوّنَ عن أحمد بن حنبلٍ وإسحاق بن راهويه « المسائلَ في الفقه » »[٦].

---

(١) في م : الأمّة .

(٢) تاريخ بغداد ٢٨٤/٣ .

(٣) ترجمته في تهذيب الكمال ٥١١/٢٤ - ٥١٨، والمصادر التي في حاشيته.

(٤) ترجمته في تهذيب الكمال ٤٧٤/٢ - ٤٧٨، والمصادر التي في حاشيته.

(٥) أبو أسامة حمّاد بن أسامة .

(٦) تاريخ بغداد ٣٦٣/٦ .

فصلٌ

الرّاوي للحديثين عمّن سُمّي في هاذين الفصلين الآخِرين هما (الإمامان)(١) البخاريُّ ومسلمٌ رحمهما الله .

محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله الجعفيُّ مولاهم البخاريُّ الإمام صاحب « الصّحيح » و« التّاريخ »(٢) :

إمامُ أهلِ الحديث، سمع خَلْقاً يكثرُ تَعدادُهم كأبي اليمان(٣) وهشامِ ابن عمّار وأبي بكر الحُميديّ وأبي عاصمٍ النّبيل وعفّانَ بن مُسلمٍ وأبي نُعيمٍ وإسماعيل بن أبي أُوَيْسٍ ويحيى(٤) وآدمَ بن أبي إياسٍ وغيرهم، روى عنه مسلمٌ وأبو حاتمٍ وأبو زرعة وصالحُ بن محمّد جَزَرَة والتِّرمذيُّ وأبو بكر ابن خزيمة ويحيى بن محمّد بن صاعدٍ وغيرُهم.

قال محمّد بن إسحاق بن خزيمة - وهو إمامُ الأئمّة -: « ما تحت أديمِ السّماءِ أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ولا أعرف به من البخاريّ »(٥).

---

(١) من م .

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ٢٤/٤٣٠ - ٤٦٨، والمصادر التي في حاشيته.

(٣) أبو اليمان الحكم بن نافع .

(٤) يحيى بن معين .

(٥) أخرج قولَ ابن خزيمة الحاكمُ أبو عبد الله - كما في السّير ١٢/٤٣١ - قال: سمعتُ أبا الطّيِّب محمّد بن أحمد المُذَكِّر، سمعتُ أبا بكر محمّد بن إسحاق بن خزيمة يقول: فذكره.

وقال عمرو بن عليّ(١) : « حديثٌ لا يعرفُه محمّدُ بن إسماعيل ليس بحديثٍ »(٢) .

وُلد في شوّال سنةَ أربعٍ وتسعين ومائةٍ، وتُوفِّي ليلة الفطر سنة ستٍّ وخمسين ومائتين بقريةٍ من قُرى سَمَرْقَنْد يُقال لها خَرْتَنْك ودُفن بها، وقبرُه معروفٌ يُزارُ(٣) .

روى « صحيحه » عنه أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربريّ(٤) شيخٌ ثقةٌ راويةُ « كتاب الصّحيح »، وبروايته اشتهر الكتابُ، وسمع أيضاً عليَّ بن خشرمٍ وحاشدَ بن إسماعيل، وُلد سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وتُوفِّي في شوّال سنة عشرين وثلاثمائة .

قال الفربريُّ : سمعتُ « الجامع الصّحيح » من أبي عبد الله بفربر، وكان يقرأُ عليه في ثلاث سنين في (سنة)(٥) ثلاثٍ وخمسين وأربع وخمسين وخمس وخمسين.

وقال الفربريُّ : « سمع « كتاب الصّحيح » لمحمّد بن إسماعيل سبعون ألف رجلٍ فما بقي أحدٌ يروي عنه غيري »(٦).

---

(١) الفلاّس .

(٢) هدي السّاري ص ٤٨٣ .

(٣) لا يخفى ما أحدثه النّاس من بدعٍ وشركيّاتٍ حول قبر الإمام البخاري، وهو بريءٌ من ذلك كلّه، والمسلمُ إنّما يُشرع له زيارةُ المقابر تذكُّراً للآخرة، ودعاءً لأصحابها المسلمين.

(٤) ترجمته في سير أعلام النّبلاء ١٥/١٠ ـ ١٣، والمصادر التي في حاشيته.

(٥) من م .

(٦) ذكره الذّهبيُّ في السّير ١٢/١٥، وأفاد أنّه لم يصحّ ثمّ قال: « قد رواهُ بعد الفربريّ أبو طلحة منصور بن محمّد البزدوي النّسفي، وبقي إلى سنة تسعٍ وعشرين وثلاث مائة ».

قلتُ :

وفربر(١) بلدةٌ على طرف جيحون ممّا يلي بُخارى .

ثمّ روى الكتابَ عن الفربريّ جماعةٌ أجلُّهم الفقيهُ أبو زيدٍ محمّد بن أحمد بن عبد الله المروزيّ الشّافعيّ الزّاهدُ، مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة(٢)، فلمّا تُوفِّي سمع من أبي عليٍّ الشّبوي عن الفربريّ، فلمّا تُوفِّي سمع من أبي الهيثم محمّد بن المكّي الكشميهنيّ، مات سنة تسع وثمانين وثلاثمائة(٣) .

وانقطعت الرّوايةُ بهذه الطّرق في هذه الأعصار، ولم تبق الرّغبةُ إلاّ في رواية أبي محمّد عبد الله بن أحمد بن حمويه الحموي السّرخسيّ وهو أحدُ الرُّواة عن الفربريّ لأنّها العالية يومئذٍ، روى « الصّحيح » عنه أبو الحسن عبدُ الرّحمن بن محمّد بن المظفّر الدّاوديُّ وكان من العلماء الصّالحين، تلمذ في الفقه للشّيخ أبي حامد الإسفراييني شيخ العراق وللقفّال المروزيّ شيخ خُراسان، وفي الطّريقة(٤) للشّيخ أبي عبد الرّحمن السُّلميّ والأستاذ أبي علي الدّقّاق .

---

(١) بكسر الفاء وفتحها حكى الوجهين القاضي عياض وابنُ قرقول والحازمي وقال: الفتح أشهر، وأمّا ابنُ ماكولا فما ذكرَ غير الفتح، انظر السّير ١٥/١٢ - ١٣.

(٢) ترجمته في سير أعلام النّبلاء ٣١٣/١٦ - ٣١٥ .

(٣) ترجمته في سير أعلام النّبلاء ٤٩١/١٦ - ٤٩٢ ، والمصادر التي في حاشيته.

(٤) يعني طريقة التّصوّف، ولا يخفى أنّها شيءٌ حادثٌ لم يعرفها السّلفُ الصّالحُ، وخيرُ الهدي هدي محمّدٍ ﷺ، ففيه الصّلاح والفلاح والنّجاة.

وروى الصّحيح عنه الشّيخُ أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى بن سعيد السّجزي ثمّ الهروي، وهو الذي عمّر حتّى ألحق الصّغار بالكبار والأحفاد بالأجداد، وفي رواية هذا الكتاب وغيره، ورواه لنا جماعة منهم من سمّينا في أوّل الإسناد والله أعلم.

مسلم بن الحجّاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النّيسابوريّ[1]:

الحافظ المبرّز سمع قتيبة بن سعيد ويحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وخلف بن هشام وشريح بن يونس والقعنبي ومحمّد بن رافع ومحمّد بن رمح وحرملة بن يحيى وغيرهم.

روى عنه أبو بكر بن خزيمة وأبو محمّد عبد الله وأبو حامد أحمد ابنا الشّرقي وأبو عوانة الإسفراييني وأبو العبّاس السَّرّاج وغيرهم.

ومات في رجب سنة إحدى وستّين ومائتين بنيسابور وهو ابن خمس وخمسين سنة، ذكر سِنَّهُ الحاكمُ أبو عبد الله في «كتاب المزكّين لرواة الأخبار»[2].

وكتاب مسلم مع شهرته اقتصر في روايته عنه على صاحبه أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سفيان النّيسابوري وكان فقيهاً زاهداً مُجابَ الدّعوة، مات في رجب سنة ثمان وثلاثمائة[3]، وله في الكتاب فَوْتٌ لم

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ٢٧/٤٩٩ - ٥١٤، والمصادر التي في حاشيته.

(٢) وهو ممّا فقد من تراث الحاكم أبي عبد الله.

(٣) ترجمته في سير أعلام النّبلاء ١٤/٣١١ - ٣١٣.

يسمعه من مسلم في ثلاثة مواضع في الحجّ والوصايا والإمارة وكلُّها معروفةٌ محدّدةٌ[١] عند الحفّاظ وا لله أعلم.

ورواه عن إبراهيم أبو أحمد محمّد بن عيسى بن محمّد بن عبد الرّحمن ابن عمرويه بن منصور الزّاهد النّيسابوري الجُلودي بضمّ الجيم، سمع أبا بكر بن خزيمة وغيره، ومات في ذي الحجّة سنة ثمان وستّين وثلاثمائة وهو ابن ثمانين سنة[٢].

ورواه عن الجلودي أبو الحسين عبد الغافر بن محمّد بن عبد الغافر بن أحمد بن محمّد بن سعيد الفارسي النّسوي ثمّ النّيسابوري جدّ أبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر مذيّل « تاريخ نيسابور »، توفّي في شوّال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وله خمس وستّون سنةً، ألحق أحفادَ الأحفادِ بالأجداد، قرأ عليه كتاب مسلمٍ جماعةٌ من الأئمّة والحُفّاظ نحو سبعين مرّةً منهم القشيريُّ والواحديُّ والبحيريُّ، وممّن رواه عنه الإمامُ أبو عبد ا لله محمّد بن الفضل بن أحمد الصّاعديّ الفراوي ثمّ النّيسابوريّ، كان أبوه من فراوة بليدة من ثغر خُراسان، ويقال بضمّ الفاء وفتحها، وكان يُقال له: فقيه الحرم، رحلت إليه الطّلبةُ من الأقطار حتّى قيل فيه: للفراوي ألف راوي، سمع الكتابَ من الفارسي بقراءة أبي سعيد البحيري عليه في السَّنَةِ التي مات فيها، وتفقّه على الإمام أبي المعالي، ومولدُه سنة إحدى وأربعين وأربعمائة تقديراً، وتُوفّي في شوّال سنة ثلاثين وخمسمائة، روى

---

(١) قال الذّهبي : « وذلك محرّرٌ مقيّدٌ في النّسخ يكون مجموعُه سبعاً وثلاثين قائمةً ».

(٢) ترجمته في سير أعلام النّبلاء ١٦/٣٠١ - ٣٠٣ .

الكتابَ عنه خَلْقٌ كثيرٌ منهم حافظُ الشّام أبو القاسم عليُّ بن الحسن وحفيدُه أبو القاسم منصور بن عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله فقيه الحرم المذكور وأبو عبد الله محمّد بن عليّ بن الحسن بن صدقة الحرّاني وأبو الحسن يزيد بن محمّد بن عليّ بن الحسن الطّابراني الطّوسي النّيسابوري، وقد سمعتُ على جماعةٍ من أصحاب هؤلاء وقرأتُه على بعضهم، وأنبأني الشّيخُ المؤيَّدُ إجازةً وكان شيخاً معمّراً، سمع الكتابَ من الفراوي في السَّنَةِ التي مات فيها، وعاش حتّى تفرّد به عنه وحتّى ألحق الأحفاد بالأجداد، رحمةُ الله عليهم أجمعين، والحمدُ لله ربّ العالمين[1] .

وافق الفراغُ من نسخه غرّة يوم الإثنين ثامن شهر الأوّل من شهور سنة خمس وخمسين وستّمائة للهجرة النّبويّة.

كتبه العبدُ الفقيرُ إلى رحمة ربّه القدير محمّدُ بن عليّ بن أبي بكر للمولى الشّيخ الفاضل البارع شرف الدِّين موسى بن داود بن أحمد المزّي، نفعه الله بالعلم وجميعَ المسلمين .

❁ ❁ ❁

---

(١) في م بعد هذا : آخره و لله الحمدُ، وصلواتُه على سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه أجمعين. يتلوه كتاب ضوء السّاري إلى معرفة رؤية الباري عزّ وجلّ، للعلاّمة أبي شامة الإمام المشهور، وحسبُنا الله ونعم الوكيلُ.

فهارس الكتاب



فهرسُ الآيات

فصّلت

الشّورى

الفتح

الذّاريات

النّجم

الواقعة

الجنّ

المزمّل

المدّثّر

المرسلات

النّازعات

التّكوير

الضّحى

الشّرح

العلق

❁ ❁ ❁

فهرس الأحاديث

طرف الحديث الصّفحة

فهرس الآثار و الأقوال

طرف الأثر والقول **الصّفحة**

❁ ❁ ❁

فهرسُ الشِّعْرِ



أنصافُ الأبيات



فهرسُ الكلمات الغريبة

فهرسُ المصطلحات العلميّة

فهرسُ الكتب



فهرسُ الأماكن

فهرسُ الأعلام



فهرس القبائل



فهرس الموضوعات

❁ ❁ ❁

فهرس المصادر والمراجع

● آرثر ج . آربري :

١ ـ فهرس المخطوطات العربيّة في مكتبة تشستربتي

● ابن الأبّار : أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسيّ ت ٦٥٨هـ

٢ ـ التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: د. عبد السّلام الهرّاس، دار المعرفة ـ المغرب.

● ابن الأثير : مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمّد ت ٦٠٦هـ

٣ ـ النّهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمّد الطّناحي، المكتبة الإسلاميّة.

● أحمد بن حنبل الشّيباني ت ٢٤١ هـ

٤ ـ العلل ومعرفة الرّجال، رواية ابنه عبد الله، تحقيق: وصي الله عبّاس، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ودار الخاني ـ الرياض، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥ ـ المسند ، أعاد نشره المكتب الإسلامي، ودار صادر، ط الأولى، ١٣٨٩هـ.

● الأزهر

٦ ـ فهرس المكتبة الأزهريّة، مطبعة الأزهر، ط الأولى، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٦م.

● الأزهري : أبو منصور محمّد بن أحمد ت ٣٧٠ هـ

٧ ـ تهذيب اللّغة ، تحقيق عبد السّلام هارون، طبع المؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف، سنة ١٣٨٤هـ.

● الألباني : محمّد ناصر الدّين

٨ ـ أحكام الجنائز، المكتب الإسلاميّ، ١٩٨٦ م .

٩ ـ تخريج أحاديث مشكاة المصابيح للتّبريزي، المكتب الإسلامي، ط الثّانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م .

١٠ ـ تخريج أحاديث مشكلة الفقر ، المكتب الإسلامي .

١١ ـ دفاع عن الحديث النّبويّ ، دمشق .

١٢ ـ سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م ، الرّياض .

١٣ ـ سلسلة الأحاديث الضّعيفة وأثرها السّيّء على الأمّة، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، ط الأولى، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م ، الرّياض .

١٤ ـ صحيح سنن النّسائي باختصار السّند، المكتب الإسلامي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، بيروت .

١٥ ـ ضعيف سنن التّرمذي، المكتب الإسلامي، ط الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، بيروت .

● امرؤ القيس : امرؤ القيس بن حُجر الكندي ت نحو ٨٠ ق هـ

١٦ ـ ديوانه، دار بيروت و دار صادر، ١٣٧٧هت ـ ١٩٥٨ م .

● ابن الأنباري : أبو بكر محمّد بن القاسم ت ٣٠٤ هـ

١٧ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الفكر .

● البخاري : أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل ت ٢٥٦ هـ

١٨ ـ التاريخ الكبير، طبع جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، الهند ، ط الأولى ، ١٣٦١هـ .

١٩ ـ صحيح البخاري = انظر : ابن حجر : فتح الباري .

● بروكلمان : كارل بروكلمان هلك سنة ١٩٥٦ م

٢٠ ـ تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربيّة د. رمضان عبد التّوّاب ود. السيّد يعقوب بكر، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م .

● ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت ٥٧٨هـ

٢١ ـ الصّلة في تاريخ أئمّة الأندلس، عني بنشره عزّت العطّار الحسيني، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط الأولى، ١٣٧٤هـ .

● ابن بطّال : أبو الحسن عليّ بن خلف ت ٤٤٤ هـ

٢٢ ـ شرح صحيح البخاري، مخطوط المكتبة الأزهريّة، ولها صورة فلميّة في قسم مخطوطات الجامعة الإسلاميّة.

● البغدادي : عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣ هـ

٢٣ ـ خزانة الأدب ، دار صادر ، بيروت .

● البغدادي : إسماعيل باشا ت ١٣٣٩ هـ

٢٤ ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

● البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ

٢٥ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السّقا، طبع لجنة التأليف والترجمة بمصر، ١٣٦٤هـ.

● البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ

٢٦ ـ دلائل النّبوّة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ .

٢٧ ـ السّنن الكبرى ، دار المعرفة ، بيروت، عن الطّبعة الأولى بحيدر آباد.

٢٨ ـ المدخل إلى السّنن الكبرى، حقّقه: د. محمّد ضياء الرّحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ .

٢٩ ـ مناقب الشّافعيّ ، حقّقه أحمد صقر، دار التّراث، القاهرة، ١٩٧١م.

● التّرمذي : أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩ هـ

٣٠ ـ الجامع، تحقيق أحمد شاكر وغيره، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط الأولى، ١٣٥٦هـ، وطبعة عطوة .

● ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تَغْرِي بَرْدِي الأتابكي ت ٨٧٤هـ

٣١ ـ المنهل الصّافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، مطبعة دار الكتب المصريّة، ط الأولى ، ١٣٧٥ هـ .

● التّهامي : أبو الحسن عليّ بن محمّد ت ٤١٦ هـ

٣٢ ـ ديوان أبي الحسن التّهامي .

● ثعلب : أبو العبّاس أحمد بن يحيى ت ٢٩١ هـ

٣٣ ـ مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار المعارف، ١٣٦٨هـ.

● ابن الجزري : أبو الخير محمّد بن محمّد ٨٣٣ هـ

٣٤ ـ غاية النّهاية في طبقات القرّاء، عني بنشره ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط الثّالثة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

● ابن جماعة : أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم ت ٧٣٣ هـ

٣٥ ـ مشيخة ابن جماعة، تخريج علم الدّين البرزالي ت ٧٣٩هـ، تحقيق: د. موفّق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، بيروت .

● جميل بثينة : أبو عمرو جميل بن عبد الله العذري ت ٨٢ هـ
٣٦ ـ ديوان جميل بثينة .
● ابن جنّي : أبو الفتح عثمان بن جنّي ٣٩٢ هـ
٣٧ ـ المحتسب في توجيه شواذّ القراءات .
● الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حمّاد ت ٣٩٣ هـ .
٣٨ ـ الصّحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩ هـ .
● ابن أبي حاتم الرّازي : عبد الرحمن بن محمد ت ٣٢٧ هـ
٣٩ ـ آداب الشّافعيّ ومناقبه، تحقيق: عبد الغنيّ عبد الخالق، حلب، ١٩٥٣م.
٤٠ ـ الجرح والتعديل، تحقيق عبد الرحمن ابن يحيى المعلمي اليماني، حيدر آباد، ١٣٧٣هـ .
● حاجّي خليفة : مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧ هـ
٤١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبع إستنبول ١٩٤١م.
● الحازمي : أبو بكر محمّد بن موسى ت ٥٨٤ هـ
٤٢ ـ عُجالة المبتدي وفُضالة المنتهي في النّسب، حقّقه عبد الله كنّون، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، ط الثّانية، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .
● الحاكم : أبو عبد الله محمّد بن عبد الله النّيسابوري ت ٤٠٥ هـ
٤٣ ـ المستدرك على الصّحيحين ، طبع دار المعرفة ، بيروت .
٤٤ ـ معرفة علوم الحديث، تصحيح وتعليق: د. معظم حسين، دار الكتب العلميّة، بيروت ، ط الثّانية ، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

● ابن حبّان : أبو حاتم محمد بن حبان البستي ٣٥٤هـ

٤٥ ـ الثقات، طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، ط الأولى، ١٣٩٣هـ.

٤٦ ـ المجروحين ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، ط الثانية، ١٤٠٢هـ، حلب .

● ابن حجر العسقلاني : أبو الفضل أحمد بن عليّ ت ٨٥٢ هـ

٤٧ ـ الإصابة في تمييز الصّحابة، المكتبة التّجارية الكبرى، القاهرة .

٤٨ ـ تهذيب التهذيب ، طبع دائرة المعارف النظامية في حيدر آباد ، الهند ، ط الأولى ، ١٣٢٥هـ .

٤٩ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبع: دار الجيل ببيروت .

٥٠ ـ الرّحمة الغيثيّة بالتّرجمة اللّيثيّة، تحقيق: د. يوسف عبد الرّحمن المرعشلي، دار المعرفة ، ط الأولى ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ، بيروت ـ لبنان .

٥١ ـ فتح الباري، دار الريّان للتراث، والمكتبة السلفية، حققه محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٢ ـ النّكت على مقدّمة ابن الصّلاح، دراسة وتحقيق: الشّيخ ربيع بن هادي عمير، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة، ط الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٥٣ ـ هدي السّاري مقدّمة فتح الباري = انظر فتح الباري .

● الحريري : أبو القاسم بن عليّ ت ٥١٦ هـ

٥٤ ـ دُرّة الغوّاص في أوهام الخواص، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر .

● الحليمي : أبو عبد الله الحسين بن الحسن ت ٤٠٣ هـ
٥٥ ـ المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمّد فوده، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
● أبو حيّان : محمّد بن يوسف ت ٧٤٥ هـ
٥٦ ـ البحر المحيط ، مطبعة السّعادة، القاهرة .
● الخطّابي : أبو سليمان حمد بن محمّد البستي ت ٣٨٨ هـ
٥٧ ـ إصلاح غلط المحدّثين .
٥٨ ـ أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، طبع جامعة أمّ القرى، ١٤٠٩هـ .
٥٩ ـ غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، نشر مركز البحث العلمي بجامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة، ط الأولى، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .
● الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ
٦٠ ـ تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، والمكتبة العربية ببغداد، ط : الأولى، ١٣٤٩هـ .
٦١ ـ شرف أصحاب الحديث، تحقيق: د. محمّد سعيد خطيب أوغلي، دار إحياء السّنّة النّبويّة، أنقرة ـ تركيا .
٦٢ ـ الكفاية في علوم الرّواية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثّانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م .
● الخليل بن أحمد : أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥ هـ
٦٣ ـ كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السّامرّائي،

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

● الخليلي : أبو يعلى الخليل بن عبد الله القزويني ت ٤٦٦ هـ

٦٤ ـ الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: د. محمّد سعيد بن عمر إدريس، الرّياض، مكتبة الرّشد، ط الأولى، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م.

● الدّارمي : أبو محمّد عبد الله بن عبد الرّحمن ت ٢٥٥ هـ

٦٥ ـ مسند الدّارمي، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني، طبع شركة الطّباعة الفنّيّة بمصر، ١٣٨٦ هـ .

● الدّاني : أبو عمرو عثمان بن سعيد ت ٤٤٤ هـ

٦٦ ـ التّيسير في القراءات السّبع .

● أبو داود : سليمان بن الأشعث السّجستاني ٢٧٥ هـ

٦٧ ـ سنن أبي داود، تحقيق عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، حمص .

● الدّاودي : محمّد بن عليّ ت ٩٤٥ هـ

٦٨ ـ طبقات المفسّرين، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان .

● ابن دريد : أبو بكر محمّد بن الحسن ت ٣٢١ هـ

٦٩ ـ جمهرة اللّغة، بالأوفست عن طبعة دائرة المعارف العثمانيّة ، ١٣٤٤ هـ .

● الدّمياطي : أبو محمّد عبد المؤمن بن خلف ت ٧٠٥ هـ

٧٠ ـ معجم الدّمياطي ، مخطوط مصوّر في مكتبة شيخنا حمّاد بن محمّد الأنصاري رحمه الله تعالى .

● الذّهبيّ : أبو عبد الله محمّد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ

٧١ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وفيات ٦٦٥هـ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط : الأولى، ١٤٠٧هـ .

٧٢ ـ تذكرة الحفاظ، صححه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمـي، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ .
٧٣ ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠١هـ .
٧٤ ـ معرفة القرّاء الكبار على الطّبقات والأعصار، حقّقه بشّار عوّاد معروف وزميليه، مؤسّسة الرّسالة، ط الثّانية، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .
● الرّامهرمزي : أبو محمّد الحسن بن عبد الرّحمن ت ٣٦٠ هـ
٧٥ ـ المحدّث الفاصل بين الرّاوي والواعي، تحقيق: عجّاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ١٣٩١ هـ .
● رؤبة بن العجّاج ت ١٤٥ هـ :
٧٦ ـ ديوان رؤبة بن العجّاج، اعتنى بتصحيحه: وليم بن الورد، ١٩٠٣ م.
● ابن رجب : أبو الفرج عبد الرّحمن بن أحمد ت ٧٩٥ هـ
٧٧ ـ الذّيل على طبقات الحنابلة، مطبعة السّنّة المحمّديّة، القاهرة، ط الأولى، ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م .
● الرّعيني : أبو الحسن عليّ بن محمّد ت ٦٦٦ هـ
٧٨ ـ برنامج شيوخ الرّعيني، تحقيق: إبراهيم شبّوح، ط الأولى، دمشق، ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م .
● الزّجّاج : أبو إسحاق إبراهيم بن السّريّ ت ٣١١ هـ
٧٩ ـ معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، المكتبة العصريّة، ١٩٧٨ م .

● الزّركشي : أبو عبد الله محمّد بن عبد الله ت ٧٩٤ هـ
٨٠ ـ النّكت على ابن الصّلاح، تحقيق: زين العابدين بن محمّد بالافريج، مكتبة أضواء السّلف ، ١٤١٩ هـ .
● الزّركلي : خير الدّين بن محمود بن محمّد الدمشقي ت ١٣٩٦هـ
٨١ ـ الأعلام،، دار العلم للملايين، ط التاسعة، ١٩٩٠م، بيروت ـ لبنان.
● الزّمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ
٨٢ ـ الكشّاف عن حقائق التّنزيل ، ط الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
● السّبكي : أبو نصر عبد الوهّاب بن عليّ ت ٧٧١ هـ
٨٣ ـ طبقات الشّافعيّة الكبرى، تحقيق: محمود محمّد الطّناحي وعبد الفتّاح محمّد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط الأولى، مصر، ١٣٨٣ هـ .
● السّخاوي : أبو الخير محمّد بن عبد الرّحمن ت ٩٠٢ هـ
٨٤ ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، حققه وعلّق عليه بالإنكليزية : فرانز روزنثال، وترجم تعليقاته: د صالح أحمد العلي، نشرة دارالكتب العلمية .
● ابن سعد : أبو عبد الله محمّد بن سعد البصري ت ٢٣٠هـ
٨٥ ـ الطبقات الكبرى، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٠هـ .
● السِّلَفي : أبو طاهر أحمد بن محمّد ت ٥٧٦ هـ
٨٦ ـ شرط القراءة على الشّيوخ، مخطوط مصوّر عن الأصل المحفوظ بدار الكتب الوطنيّة بتونس تحت رقم : ١٨٦٤٢ .
● السّمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمّد ت ٥٦٢ هـ
٨٧ ـ الأنساب، تحقيق: عبد الرّحمن المعلّمي اليماني وآخرين، نشر محمّد أمين دمج عن طبعة دائرة المعارف العثمانيّة بالهند .

● السّهيليّ : أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله ت ٥٨١ هـ
٨٨ ـ الرّوض الأنف، تحقيق: طه عبد الرّؤوف سعد، مكتبة الكلّيّات الأزهريّة، القاهرة ، ١٩٧١ م .
● سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ
٨٩ ـ الكتاب ، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، دار القلم، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦ م .
● السّيوطي : عبد الرّحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ
٩٠ ـ البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر، تحقيق: د. أنيس أحمد طاهر، مكتبة الغرباء الأثريّة، المدينة النّبويّة ، ١٤٢٠ هـ .
٩١ ـ تدريب الرّاوي في شرح تقريب النّواوي، حقّقه عبد الوهّاب عبد اللّطيف، دار الكتب الحديثة، ط الثّانية، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م .
٩٢ ـ الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر ، ط الأولى ، ١٤٠٣هـ .
● ابن سيده : أبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأندلسي ت ٤٥٨ هـ
٩٣ ـ المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، تحقيق: مصطفى السّقّا وغيره، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، ١٩٥٨ م .
● أبو شامة المقدسيّ : أبو محمّد عبد الرّحمن بن إسماعيل ت ٦٦٥ هـ
٩٤ ـ الباعث على إنكار البدع والحوادث، حقّقه: مشهور حسن سلمان، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، ط الأولى، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .
٩٥ ـ البسملة ، مخطوط الظّاهرية رقم : ٢٣٥٢ (٤١٥ فقه شافعيّ) ، وله صورة ورقيّة في قسم مخطوطات الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة .
٩٦ ـ كرّاسة جامعة في مسائل نافعة، مخطوط مكتبة تشستربتي تحت رقم :

٣٣٠٧ (١٥٧ ـ ١٨٦)، وله صورة فلميّة في قسم مخطوطات الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة .

٩٧ ـ مختصر المؤمّل ، وهو مطبوع ضمن مجموعة الرّسائل المنيريّة .

٩٨ ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز، حقّقه طيّار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥ م .

٩٩ ـ نور المسرى في تفسير آية الإسرا، تحقيق: د. عليّ حسين البوّاب، مكتبة المعارف ، الرّياض ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

● ابن الصّلاح : أبو عمرو عثمان بن عبد الرّحمن ت ٦٤٣ هـ

١٠٠ ـ مقدّمة في علوم الحديث، تحقيق: د. نور الدّين عتر، المكتبة العلميّة، المدينة المنوّرة، ط الثّانية، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

● الطّبري : أبو جعفر محمّد بن جرير ت ٣١٠ هـ

١٠١ ـ تاريخ الرّسل والملوك، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ م .

● ابن عبد البرّ : أبو عمر يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣هـ

١٠٢ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، مكتبة النّهضة ، مصر ، ١٩٦٠ م .

١٠٣ ـ التّمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مجموعة من الباحثين، طبع وزارة الأوقاف بالمملكة المغربيّة، ط الأولى، ١٣٨٧ هـ ـ ١٤١٢م.

● عبد الرزّاق الصّنعاني : أبو بكر عبد الرّزّاق بن همام ت ٢١١ هـ

١٠٤ ـ المصنّف ، تحقيق: حبيب الرّحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠ م .

● أبو عبيد : القاسم بن سلاّم ت ٢٢٤ هـ
١٠٥ ـ غريب الحديث، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدّكن الهند، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
● العجّاج : أبو الشّعثاء عبد الله بن رؤبة ت نحو ٩٠ هـ
١٠٦ ـ ديوانه ، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: د. عبد الحفيظ السّطلي .
● ابن العربيّ : أبو بكر محمّد بن عبد الله ت ٥٤٣ هـ
١٠٨ ـ القبس في شرح موطّأ مالك بن أنس، تحقيق: د. محمّد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، بيروت .
● ابن عساكر : أبو القاسم عليّ بن الحسن ت ٥٧١ هـ
١٠٩ ـ تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدّين عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر ، ١٤١٥ هـ .
● العقيلي : أبو جعفر محمّد بن عمرو ت ٣٢٢ هـ
١١٠ ـ الضّعفاء ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، ط الأولى ، ١٤٠٤ هـ .
● القاضي عياض : أبو الفضل عياض بن موسى ت ٥٤٤ هـ
١١١ ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: د. شوّاط و تحقيق: د. يحيى إسماعيل .
١١٢ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة بالمغرب، ط الأولى، ١٣٨٣هـ.
١١٣ ـ الشّفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، طبع

عيسى البابي الحلبي ، بمصر .

١١٤ ـ الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرّار، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١١٥ ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض ٥٤٤هـ، نشر المكتبة العتيقة بتونس، ودار التّراث بالقاهرة تصويرا عن طبعة السّلطان عبد الحفيظ بفاس.

● فؤاد سيّد :

١١٦ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب المصريّة من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ م، مطبعة دار الكتب، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

● القتّال الكلابيّ : طهمان بن عمرو ت نحو ٨٠ هـ

١١٧ ـ ديوان القتّال الكلابيّ، حقّقه إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م .

● ابن قتيبة : أبو محمّد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ

١١٨ ـ الشّعر والشّعراء ، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م .

● القضاعي : أبو عبد الله محمّد بن سلامة القضاعي ت ٤٥٤ هـ

١١٩ ـ مسند الشّهاب ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السّلفي، مؤسّسة الرّسالة، ط الأولى ، ١٤٠٥ هـ .

● ابن القطّاع : أبو القاسم عليّ بن جعفر الصّقلّي ت ٥١٥ هـ

١٢٠ ـ الأفعال ، طبع دائرة المعارف في حيدر آباد ، ١٣٦٠ هـ ـ ١٣٦٤ هـ.

● الكتبي : صلاح الدّين محمّد بن شاكر ت ٧٦٤ هـ

١٢١ ـ فوات الوفيات والذّيل عليها ، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ، ط الأولى ، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

● ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي ت ٧٧٤هـ

١٢٢ ـ البداية والنهاية ، طبعة مكتبة المعارف، ط الثانية، ١٩٧٧م، بيروت.

● الكرماني : محمّد بن يوسف ت ٧٨٦ هـ

١٢٣ ـ الكواكب الدّراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التّراث العربي، بيروت ـ لبنان ، ط الثّانية، ١٤٠١ هت ـ ١٩٨١ م .

● الكَلاباذي : أبو نصر أحمد بن محمّد ت ٣٩٨ هـ

١٢٤ ـ رجال صحيح البخاري المسمّى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثّقة والسّداد، تحقيق: عبد الله اللّيثي، دار المعرفة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

● لبيد : أبو عقيل لبيد بن ربيعة الإيادي ت ٤١ هـ

١٢٥ ـ ديوان لبيد ، دار صادر .

● ابن ماجه : أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ

١٢٦ ـ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

● المازري : أبو عبد الله محمّد بن عليّ ت ٥٣٦ هـ

١٢٧ ـ المعلم بفوائد مسلم ، تحقيق : محمّد الشّاذلي النّيفر ، طبع بيت الحكمة ، تونس .

● المتنبّي : أبو الطّيّب أحمد بن الحسين الجعفي ت ٣٥٤ هـ

١٢٨ ـ ديوانه ، دار صادر ، بيروت .

● مسلم بن الحجّاج : أبو الحسين القشيري ت ٢٦١ هـ

١٢٩ ـ الجامع الصّحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، ط الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

١٣٠ ـ الكنى والأسماء ، تحقيق: د. عبد الرّحيم القشقري، طبع المجلس العلمي للجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

● المزّي : أبو الحجاج يوسف بن عبد الرّحمن ت ٧٤٢هـ

١٣١ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبط نصه وعلق عليه د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

● المنجّد : صلاح الدّين

١٣٢ ـ معجم ما أُلّف عن رسول الله ﷺ .

● ابن منظور : أبو الفضل محمد بن مكرم ٧١١ هـ

١٣٣ ـ لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

● النّابغة الجعدي : أبو ليلى قيس بن عبد الله العامريّ ت نحو ٥٠ هـ

١٣٤ ـ شعر النّابغة الجعدي، المكتب الإسلامي، ط الأولى، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

● النّحّاس : أبو جعفر أحمد بن محمّد ت ٣٣٨ هـ

١٣٥ ـ إعراب القرآن ، تحقيق: د. زهير غازي زاهد،مطبعة العاني، بغداد، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

● النّسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت ٣٠٣ هـ

١٣٦ ـ السنن النّسائي المسمّى بالمجتبى ، اعتنى به عبد الفتّاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط الثّانية، ١٤٠٦ هـ .

١٣٧ ـ السّنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار البندراوي وسيد كسروي ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط الأولى ، ١٤١١هـ.

● أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠هـ

١٣٨ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الثانية ، ١٣٨٧ هـ .

١٣٩ ـ دلائل النّبوّة ، تحقيق: عبد البرّ عبّاس ومحمّد روّاس قلعجي، المكتبة العربيّة ، بحلب، ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م ، وكذا طبعة دائرة المعارف النّظاميّة بحيدر آباد الدّكن ، سنة ١٣٢٠ هـ .

● الهرويّ : أبو عبيد أحمد بن محمّد ت ٤٠١ هـ

١٤٠ ــ الغريبين ، تحقيق: محمود الطّناحي، طبع المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٩٧٠م، وطبعة حديثة بتحقيق: المزيدي، عن مكتبة الباز بمكّة المكرّمة ، ١٤٢٠ هـ .

● الهرويّ : أبو إسماعيل عبد الله بن محمّد الأنصاري ت ٤٨١ هـ

١٤١ ـ ذمّ الكلام وأهله، تحقيق: أبي حابر الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثريّة، المدينة النّبويّة ، ١٤٢٠ هـ .

● ابن هشام : أبو محمّد عبد الملك بن هشام ت ٢١٨ هـ

١٤٢ ـ السّيرة النّبوية، تحقيق: مصطفى السّقا وزميليه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط الثّانية، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

● ابن هشام النّحويّ : أبو محمّد عبد الله بن يوسف ت ٧٦١ هـ

١٤٣ ـ مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، حقّقه محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مكتبة: محمّد علي صُبيح وأولاده بمصر .

● الهيثمي : أبو الحسن عليّ بن أبي بكر ت ٨٠٧ هـ

١٤٤ ـ كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب السّتّة، تحقيق: حبيب الرّحمن الأعظمي، مؤسّسة الرّسالة، ط الثّانية، ١٤٠٤ هـ .

● ياقوت الحموي : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ

١٤٥ ـ معجم الأدباء ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

● أبو يعلى : أحمد بن عليّ بن المثنّى ت ٣٠٧ هـ

١٤٦ ـ المسند ، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتّراث، دمشق، ط الأولى ، ١٤٠٤ هـ .

